

الوجود النصراني في المدينة

قبل الإسلام وفي العهد النبوي

د. حمد محمد بن صراي

الوجود النصراني في المدينة
قبل الإسلام وفي العهد النبوي

الدكتور حمد محمد بن صراي

قسم التاريخ والآثار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة الإمارات العربية المتحدة

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر

حمد محمد بن صراي.
الوجود النصراني في المدينة المنورة قبل الإسلام وفي العهد النبوي/ حمد محمد بن صراي. - ط1 - أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، المجمع الثقافي، 2009.
ص. : ؛ سم.
ت دم ك: 978-9948-01-215-3
ببليوجرافية: ص
يشتمل على ملخص باللغة الإنجليزية.
1- المدينة المنورة - تاريخ - العصر الجاهلي. 2- المدينة المنورة - تاريخ - عصر صدر الإسلام. 3- المسيحية - المدينة المنورة - تاريخ. أ- العنوان.

953,122 ديوي
ح م و ج



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1430هـ 2009م

صورة الغلاف مدفوعة الحقوق من Corbis.com
تصميم الغلاف: صالح المرزوقي

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380 ، هاتف: 300 6215 2 971 +
publication@cultural.org.ae
www.adach.ae

الوجود النصراني في المدينة

قبل الإسلام وفي العهد النبوي

الإهداء

إلى موزه . .

جدّتي، موزة بنت محمد بن إبراهيم الميّاحي، رحمها الله، معين الحب، ورمز الحنان، ومنبع العطف الذي تفيّأت ظلاله عمري، ووجدتُ فيها حياتي.

وأمّي، موزة بنت إبراهيم بن راشد، سلّمها الله، جنّة الحب، وظِلال المودّة، ومَعلَم الرحمة، التي كانت سبب وجودي وأصل بدايتي.

وابنتي، موزة بنت حمد بن صراي، حفظها الله، أصل الدلال، ومنطلق الحنان، وتعلّق الروح، ونبض القلب، التي رأيتُ فيها جدّتي بحبّها وحنانها، وأمّي برحمتها وودّها، ونفسي بحسّها وشعورها.

شكر وتقدير

يسعدني أن أقدّم شكري وتقديري للأستاذ الدكتور عبد العزيز بن صالح الهلابي، الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود، والأستاذ الدكتور محمد بن فارس الجميل، الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الملك سعود أيضاً، والأستاذ الدكتور أحمد السري، الأستاذ في قسم التاريخ بجامعة الإمارات، والدكتور يوسف بن محمد الشامسي، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الإمارات، لقراءتهم مسوّدة هذا الكتاب، وإبداء عدد مِن الملاحظات القيّمة التي استفدتُ مِنها كثيراً. كما تطلّب هذا البحث إجراء العديد مِن الحوارات والنقاشات مع عدد مِن المتخصّصين والعلماء الذين قدّموا لي ملاحظات وآراء قيّمة جعلتُها أساساً لبناء أفكار هذا البحث. وهؤلاء العلماء والأساتذة الكرام: الأستاذ الدكتور سليمان بن عبد الرحمن الذييب، والأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن الثنيّان، والدكتور سعيد بن عبد الله بن حارب، والأستاذ الدكتور علاء نورس والدكتور عايض الزهراني والدكتورة هند محمد التركي.

اختصارات بعض المراجع المعرّبة والأجنبية:

دراسات الجزيرة العربية: ك. 2: دراسات تاريخ الجزيرة العربية: الكتاب الثاني: الجزيرة العربية قبل الإسلام، تحرير: عبد الرحمن الطيّب الأنصاري ومحمد جمال الدين مختار وعبد القادر محمود عبد الله ووفيق محمد غنيم وسامي الصقّار ورتشارد مورتيل، تصحيح: عبد القادر محمود عبد الله وسامي الصقّار ورتشارد مورتيل، إشراف: عبد الرحمن الطيّب الأنصاري، الرياض، 1984.

دراسات الجزيرة العربية: ك. 3: دراسات تاريخ الجزيرة العربية: الكتاب الثالث: الجزيرة العربية في عصر ﷺ والخلفاء الراشدين، تحرير وتصحيح: عبد القادر محمود عبد الله وسامي الصقّار ورتشارد مورتيل، إشراف: عبد الرحمن الطيّب الأنصاري، الرياض، 1989.

المسيحية، تحرير: حبيب بدر وسعاد سليم وجوزيف أبو نهرا، **المسيحية عبر تاريخها في المشرق،** مجلس كنائس الشرق الأوسط، (برنامج الدراسات والأبحاث)، مراجعة وتدقيق: وديعة جبارة بدر ونسيب عون، القاهرة، 2002.

CMH: The Cambridge Medieval History, planned by: J. B. Bury, ed. H. M. Gwatkin & J. P. Whitney, Cambridge, 1936.

EQ: Encyclopaedia of the Qur'an, General Ed.J.D. McAuliffe, Leiden, 2001.

HUCA: Hebrew Union College Annual.

IC: The Islamic Culture.

JNES: Journal of Near Eastern Studies.

JQR: Jewish Quarterly Review.

JQS: Journal of Qur'anic Studies.

MW: The Muslim World.

المقدّمة

يهدف هذا البحث إلى عدّة أمور، هي:

1 بيان أهمية المدينة بوصفها موطناً لأصحاب الديانات المختلفة.

2 إثبات أنّه لم يكن اليهود وحدهم مِن أصحاب الديانات السماوية يقيمون في المدينة. وعلى الرغم مِن غلبة وجودهم في يثرب إلا أنّهم لم يكونوا متفرّدين فيها.

3 إثبات وجود الحريّة العقدية مِن قيام العديد مِن جلسات الحوار العقدي بين المسلمين مِن جهة واليهود والنصارى مِن جهة أخرى مما يشير إلى الحرية العقدية لأصحاب الأديان، وتمكّنهم مِن عرض آرائهم وأفكارهم بكل حريّة حتى أمام النبي عليه الصلاة والسلام.

4 الإشارة إلى مَن وُجد مِن العبيد والرقيق النصارى في المدينة.

5 بيان أنّ النصارى كانوا أكثر استجابة، وأسرع إقبالاً على الإسلام في مقابل تعنّت اليهود ونكرانهم وجحودهم.

6 مناقشة زيارات النصارى مِن خارج المدينة للقاء النبي ﷺ مثل وفد نجران.

7 استجلاء إشارات القرآن الكريم إلى الديانة النصرانية، وحديثه عن طبيعة النصارى مما يوحي بأنهم معاصرون أو ربّما كانوا زائرين للمدينة أو مقيمين فيها.

وسنحاول تحقيق هذه الأهداف مِن خلال عدد مِن الموضوعات والعناوين؛ أَوّلها موضوع: دخول النصرانية إلى بلاد العرب وإقليم الحجاز، إذ تطرّقنا إلى البدايات المحتملة لدخول النصرانية إلى إقليم الحجاز، واستشهدنا ببعض الأخبار والنقولات حول هذه البدايات في الحجاز. وفي موضوع وصول النصرانية إلى يثرب أوردنا دليلاً يشير إلى قِدم وصولهم مِن خلال نقش عُثر عليه على أحد جبال المدينة حسب زعم مَن عثر عليه وترجمه

إلى العربية. وأفردنا للتواصل النصراني مع يثرب عنواناً باسم معرفة النصارى بدار هجرة النبي عليه الصلاة والسلام، وبيّنّا فيه أنّ رجال النصارى كانوا على عِلم بدار الهجرة، مما يشير إلى احتمال مجيء بعض هؤلاء المتدينين إلى المدينة لعلمهم بقدوم النبي المنتظر إليها كما فعل بعض أحبار اليهود. وبناء على هذه المعرفة والوصول النصراني مِن الخارج دخل أفراد مِن اليثربيين النصرانية، وهم معروفون بأعيانهم وأشخاصهم وأسمائهم. وفي موضوع أفراد نصارى مِن يثرب حاولنا استقصاء كلّ مَن تنصّر مِن اليثربيين أو مِن المقيمين فيها، أو فكّر في الدخول في النصرانية حسب ما ورد في المصادر. ومما لا شكّ فيه أن مِن أهم مظاهر الوجود النصراني في يثرب هو القِيان والجواري والإماء اللواتي أتين مِن بلدان نصرانية، وربّما كنّ على النصرانية، وكنّ يمتهنّ الغناء والأعمال المنزلية المتعددة والبغاء، وهي وظائف ومِهَن كانت منتشرة في المجتمع العربي قبل الإسلام وبقيت حتى حرّم الإسلام بعضاً مِن هذه الأعمال السيئة.

وكانت المدينة موطناً للتجار النصارى القادمين مِن الشام، والذين كانوا يقيمون في أماكن خاصّة بهم، وربما تسرّبت بسببهم بعض المبادئ النصرانية إلى المجتمع اليثربي كما كان شأن القيان والإماء. وحاولنا في موضوع آثار نصرانية في يثرب استقصاء ما يمكن إطلاق عليه اسم آثار نصرانية؛ غير أنّ المصادر لا تقدّم دليلاً واضحاً على ذلك سوى بيت شعر لأحد اليثربيين المتنصّرين. وإشارة وحيدة في بعض المصادر حول أطلال دير سمّته المصادر الدير اليهودي. وبعد الإسلام كانت المدينة مهوىً لكثير مِن الوفود النصرانية الفردية والجماعية، أتت المدينة لأهداف مختلفة أهمها الاطلاع على الدين الجديد ومبادئ هذا الدين، وكان كثير مِن هؤلاء الوافدين يأتون وهم على ديانتهم ثم يعتنقون الدين الجديد. وكان وفد نصارى نجران أكبر هذه الوفود عدداً وأكثرهم جدالاً مع النبي ﷺ، وكان وصولهم إلى المدينة منذ السنوات الأولى للهجرة النبوية. وقد صرح القرآن والروايات التاريخية أن أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى كانوا أكثر ثقافة وأعمق علماً من عرب الجاهلية؛ وذلك لأنّهم أهل كتاب، ومن هذا المنطلق سنناقش موضوع الجانب الثقافي والفكري والكتابة عند النصارى، مستشهدين بما ثبت مِن أنّ الصحابي الجليل زيد بن ثابت

تعلّم السريانية بأمر مِن النبي ﷺ، وهي لغة كانت في تلك المرحلة خاصّة بالنصارى، وقد تعلمها مِن بعض هؤلاء.

أمّا موضوع قبائل نصرانية وأمّهات نصرانيات في يثرب وأمّهات ينتمين إلى قبائل شاعت فيها النصرانية فهو موضوع حاولنا فيه استقصاء مَن سكن يثرب مِن قبائل ذات أصول شمالية، وهي قبائل عربية متنصّرة غالباً كبقية القبائل العربية الشمالية. وحاولنا استقصاء مَن كانت أمّه نصرانية أو أتت مِن قبيلة شاعت فيها النصرانية. ومما لا شك فيه أن للأسماء الشخصية دلالات على ديانة أصحابها، أو على أقلّ تقدير أنّ مَن سمّوا بها كانوا على عِلم بها مِن خلال النصارى المقيمين في المدينة أو الزائرين لها، وليس بالضرورة أن يكون أصحابها نصارى.

ويعد القرآن الكريم أوضح دليل على الوجود النصراني الزائر أو المقيم مِن خلال مَن جاء للحوار والجدال أو المعاندة، وبسبب تفنيد عقائدهم الباطلة في آيات السور المدنية. ومَن يتمعّن في هذه الآيات يُلاحِظ أنّها كانت تخاطب أناساً معينين كانوا يفهمون لغة القرآن، فيتأثّرون ويستوعبون مرامي القرآن، وهي وإنْ كانت آيات نزلت في أشخاص بأعيانهم؛ إلا أنّها عامّة وشاملة في دلالة ألفاظها لتكون لكلّ مَن أتى بعد ذلك مِن النصارى.

منهجي في البحث:

سيلاحظ القارئ في هذا البحث عدّة أمور:

أولاً: كثرة الاستشهادات في كثير مِن الحواشي بهدف تقديم صورة واضحة للقارئ عن صدق الرأي أو الفكرة أو الحادثة أو الرواية الواردة في متن الكتاب. وفي الوقت نفسه نقدّم للقارئ والباحث إثراءً كبيراً في مصادر الموضوع الواحد.

ثانياً: الاعتماد على كتب الحديث وكتب الجرح والتعديل وأقوال العلماء في الرواة مِن توثيق وتضعيف، بعد أن نثبت الحادثة أو الحكاية في متن البحث ثم نشير إلى أقوال العلماء في الراوي. وعلى الرغم مِن أن بعض الرواة غير مرضيين عند علماء الحديث وعلماء الجرح التعديل؛ ولكنّنا نتناول مسائل تاريخية ربما حدثت بغضّ النظر عن الراوي، كما أن كثيراً مِن الحوادث التاريخية لا تدخل في إطار التشريع أو الحلال والحرام. ومِن الجدير بالذِّكر أن بعض العلماء لا يقبل رواية أيّ راوٍ متّهم، وهذا مسألة ليس مكان بحثها في هذه الدراسة[1].

ثالثاً: وضعنا قائمة للمصادر والمراجع، وذكرنا مع كلّ مؤلِّف اسمه الكامل إذا كان مِن القدماء، ثم سنوات وفيات المؤلفين القدماء، ومَن توفي مِن المعاصرين الذين تمكّنت مِن معرفة سنوات وفياتهم. ومَن أراد تتبّع المعلومات في المصادر التي اعتمدنا عليها عليه الانتباه إلى الطبعات المحقّقة التي تتعدّد أحياناً.

رابعاً: التركيز على الجانب الثقافي والفكري عند النصارى سواء مَن كان مِنهم مقيماً أو زائراً أو مَن جاء محاوراً ومجادلاً، وسواء تعلّق ذلك باللغة أو الكتابة أو الترجمة.

خامساً: الاستدلال بالآيات القرآنية على الوجود النصراني سواء أَكَانَ أصحابه مقيمين أم زائرين.

سادساً: ذكرنا المعلومات المتعلقة بالمصادر والمراجع في الهوامش كاملة في أول مرّة يرد فيها هذا المصدر أو ذاك المرجع، وعندما يكون أكثر مِن مصنَّف لمؤلِّف واحد نذكر عنوان الكتاب أو المقال مختصراً لكونه سبق ذِكره مفصّلاً. وسيلاحظ القارئ أنّنا في الإحالات رتّبنا المصادر والمراجع أبجدياً بناء على اسم المؤلف بغضّ النظر عن كونه قديماً أو حديثاً، إلا في

(1) يقول الإمام السيوطي: أن مَن عُرف بالكذب في الحديث لا تقبل رواياته أبداً، ولو تاب وحسنت توبته، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل. (انظر: **كتاب التحديث بنعمة الله**، تحقيق: إليزابيث ماري سارتين، كيمبردج، 1975، ص. 234).

تخريج الأحاديث فإنّنا قدمنا الصحيحين على غيرهما مِن كتب الحديث.

أمَا مصادر الموضوع ومراجعه وأماكن وجودها فهي متعدّدة ومتنوّعة، وقد بحثت عن بعضها في مكتبة جامعة مانشستر بالمملكة المتحدة في أثناء زيارتي العلمية للجامعة في صيف عام 2007. وكان لمكتباتنا النصيب الأوفر، وهي مكتبة زايد المركزية في جامعة الإمارات، ومكتبة مركز زايد للتراث والتاريخ في العين، ومكتبة المركز الثقافي برأس الخيمة ومكتبة مركز عمر بن الخطّاب ومكتبة هيئة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومكتبة مسجد الشيخة جازية وكلّها في رأس الخيمة.

الدكتور حمد محمد بن صراي

رأس الخيمة – دولة الإمارات العربية المتحدة

ذو الحجّة 1428 هـ. = ديسمبر 2007 م.

تمهيد:

اختلفت الآراء حول طبيعة الوجود النصراني في المدينة وعلاقة هذا الوجود بالوجود اليهودي والوثني قَبْل الإسلام وبعده. ولا سيما أن معلوماتنا– كما يقول أكرم ضياء العمري– عن تاريخ يثرب الذي يسبق الإسلام قليلة ومشتّتة، وتبدو أكثر وضوحاً كلّما اقتربنا مِن الفترة الإسلامية[2]. وقد ركّز كثير مِن الباحثين والدارسين على فئات المجتمع اليثربي المشهورة، وهم العرب واليهود، أو المسلمون واليهود والوثنيون، أمّا النصارى فتقول غادة عثمان: إنّ موضوع الوجود النصراني في مكة والمدينة شغل بال الكثيرين. ولكنّه إلى الآن لم تخصّص دراسة خاصّة بهم. سوى ما تطرّقت له بعض الدراسات حول النصرانية في بلاد العرب بصورة عامّة[3].

وقد جذب الوجود اليهودي في يثرب أنظار الباحثين والمؤرخين الأقدمين والمحدَثين فكتبوا عنه، وتناولوه بالدراسة والتمحيص، وذكروا أن اليهود نزلوا بالحجاز بعد أن أجلاهم بختنصّر (نبوخذ نصّر) عن بيت المقدس، وكانت عندهم صفة رسول الله ﷺ وبعْثه، وأنّه يبعث بمكة ويهاجر إلى يثرب، فأقاموا ينتظرون ظهوره، فلمّا بعثه الله حسدوه وبغوا له الغوائل فنصره الله عليهم، فأجلى بني قينقاع وبني النضير، وأوقع ببني قريظة فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم ونساءهم[4]. وكما قال القرطبي: لما قدِم ﷺ المدينة كان بها اليهود والمشركون[5]. وذُكر أن اليهود كانوا منتشرين في نواحي يثرب كلّها، فاتّخذوا بها الآطام[6] والأموال

(2) أكرم ضياء العمري، **المجتمع المدني في عهد النبوة: خصائصه وتنظيماته الأولى**، المدينة، 1983، ص. 57.

(3) aOsman,Gh., "Pe-Islamic, Aab Convets to Chistianity in Mecca and Medina: an In vestiga tion into Aabic Souces", The Muslim Wold, 69/,1p.76 انظر كذلك: فاطمة علي باخشوين، **الحياة الدينية في الحجاز قبل الإسلام، منذ القرن الأوّل الميلادي حتى ظهور الإسلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات بالرياض، 1993، ص 184.

(4) ابن واصل الحموي، **تجريد الأغاني**، تحقيق: طه حسين وإبراهيم الأبياري، القاهرة، 1955، ق. 1، ج. 1، ص365.

(5) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مراجعة وضبط: محمد إبراهيم الحفناوي، تخريج أحاديث: محمود حامد عثمان، القاهرة، 1996، مج. 2، ج. 4، ص. 313.

(6) الآطام هي كل بيت مرتفع مربّع مسطّح، وقيل: هي القصور. وهي مبانٍ ضخمة تحتوي على عدد مِن الغرف والمستودعات والممرّات. وكانت تستخدم أبراجاً للمراقبة وحصوناً للحماية. ويحتمل أن اللفظة تشير إلى الغلق وسدّ المنافذ، وهذا هو معنى الكلمة في السريانية. وكانت عظيمة الأهمّيّة في يثرب إذ كانت تمثّل الملجأ والملاذ الآمن لأهالي البلدة. وكانت تستعمل مخاون للغلال والثمار والتمور والأسحلة والأموال. وكان بعضها ملكاً خاصّاً لعدد مِن الأسر العريقة الغنيّة. وكانت آطام اليهود بالذّات تضمّ أيضاً معابدهم ودور علمهم وأماكن =

والمزارع ولبثوا بيثرب زماناً طويلاً[7]. وكان لهم تأثير واضح في المجتمع اليثربي قبل الإسلام في النواحي الاقتصادية والسياسية والفكرية والثقافية. واتّضح ذلك في بناء الآطام وزراعة الحبوب والفواكه كالرمّان والأعناب وتربية الدواجن والماشية وصناعة المنسوجات، ويقال إن اليهود قد جلبوا معهم هذه الخبرات المعمارية والزراعية والصناعية مِن الشام. وبالمقابل تأثّر اليهود بالمجتمع العربي مِن كرم وعصبية واهتمام بالشعر وتدريب للسلاح وطغيان النزعة القبلية[8].

وإلى جانب القبائل اليهودية الكبيرة إلا أنّه استقرّت في يثرب عشائر يهودية صغيرة الحجم قليلة العدد لم تكنْ مشهورة أو معروفة كالقبائل اليهودية الثلاث[9]، ومِن هذه القبائل بنو عكرمة وبنو ثعلبة وبنو زغورا وبنو زيد وبنو عوف. وكان في يثرب أيضاً قبائل عربية غير يهودية مِثل بني أُنيف مِن بلي وبنو معاوية مِن سليم[10]، وسوف نتكلّم عنها لاحقاً. ولشهرة يهود يثرب فإنّهم قد أصبحوا محطّ الأنظار وكانوا أكثر أهل الكتاب عدداً. ولهذا لم يَرِدْ ذِكر للنصارى في الوثيقة النبوية المشهورة إمّا لقلّتهم، أو لكونهم مشمولين ضمناً مع اليهود، مثلما كان النصارى في نجران هم الأكثر وهم الذين عُقدت معهم المواثيق، وكان

= حفظ كتبهم المقدّسة. ويحتمل أن هذه الآطام بُنيت قبل هجرة العرب إلى يثرب. ويبدو على طرازها المعماري التأثير العربي الجنوبي. وقد عُرفت المدينة بمدينة الحصون أو الآطام والنخيل. (انظر: أحمد إبراهيم الشريف، «الحجاز قبيل ظهور الإسلام»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 1، ص. 32-33؛ المؤلف نفسه، **مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول** ﷺ، القاهرة، 1965، ص. 317؛ الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق: علي شيري، بيروت، 1994، مج. 16، ص. 22؛ صالح أحمد العلي، **الدولة في عهد الرسول** ﷺ، بغداد، 1988، مج. 1، ص. 22؛

Rubin, U., "Jews and Judaism", EQ, vol. 3, p. 29; Wensinck, A. J., Muhammad & the Jews of Medina, trans. W. Behn, Berlin, 1975, pp. 22, 29; Smith, J. P., A Compendious Syriac Dictionary, Oxford,1990, p.12.

(7) أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، إعداد: مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1994، مج. 11، ج. 22، ص. 343. يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: وقد عُلم بالنقل الصحيح المستفيض أن أهل المدينة كان فيهم يهود كثير مِن العرب وغيرهم.» (**التفسير الكبير**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، بيروت، 1988، ج. 4، ص. 37.)

(8) أكرم ضياء العمري، **المرجع السابق**، ص. 58-60.

(9) أحمد إبراهيم الشريف، **دور الحجاز في الحياة السياسية العامّة في القرنين الأول والثاني للهجرة**، بيروت، 1984، ص. 55، 60؛ جعفر الخليلي، «المدينة المنورة قديماً»، في كتاب: **موسوعة العتبات المقدّسة: قسم المدينة المنورة**، بيروت، 1987، ص. 33، 92.

(10) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. 11، ج. 22، ص. 344.

يهود نجران مع النصارى في الصلح إذ كان اليهود كالأتباع لهم[11]، وفي رأيي أن هذا نفسه، حدث مع نصارى يثرب، ومما يشير إلى ذلك ما رواه أبو عبيد بن سلّام في ديباجة معاهدة المدينة: «هذا الكتاب مِن محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين مِن قريش وأهل يثرب، ومَن تبعهم فلَحِق بهم فحلّ معهم وجاهد معهم أنّهم أمّة واحدة دون الناس....»[12].

وبعد إسلام أهل يثرب ثم الهجرة النبوية إليها حدث تغيّر كبير في المجتمع المدني، ويتّضح ذلك في أمور عدّة مِن أهمّها تنوّع سكان المدينة، إذ لم يعودوا يقتصرون على الأوس والخزرج واليهود؛ بل نزل بين ظهرانيهم مهاجرون مِن قريش وقبائل عربية أخرى. كما بُنيت وأُسِّست قواعد جديدة للمجتمع المدني الذي أصبح يرتكز على روابط العقيدة والدين، وبرزت مِن خلاله فكرة الأمّة الواحدة. كما تغيّر تقسيم السكان وفئات المجتمع إذ قُسّم على أساس العقيدة، وصاروا ينقسمون إلى ثلاث مجموعات هي: المؤمنون أو المسلمون واليهود والمنافقون[13]. وهذا الخليط مِن العرب واليهود جعل يثرب تغلي بالخلافات وتضارب المصالح والأهواء مما أصاب الجميع بأضرار كبيرة[14]. وهو كما وُصف سكان المدينة عند هجرة النبي ﷺ بأنّ أهلها أخلاط[15].

ويرى بعض الباحثين أن بيت حسان بن ثابت يؤكد وجود نصارى في يثرب[16]، وهو

(11) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، 1970، ج. 14، ص. 550، رقم: 18862؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، تحقيق: عبد الله وأنيس عمر الطبّاع، بيروت، 1987، ص. 89؛ قدامة بن جعفر، **الخراج وصنعة الكتابة**، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، بغداد، 1981، ص. 272. وهذه الشمولية أيضاً تضمّ عشائر اليهود الأخرى الأقلّ عدداً والأضعف شأناً التي لم يكن لها ذِكر في كثير مِن الأحداث التي ألّمت بيهود القبائل الثلاث المعروفة. انظر تعليق:

Serjeant, R. B., "The Sunnah Jamiah, Pacts with the Yathib Jews and the Tahim of .351-Yathib", in Rubin, U. (ed.) The Life of Muhammad, Aldeshot,1998,pp.152

(12) **كتاب الأموال**، تحقيق: محمد خليل هراس، بيروت، 1986، ص. 215.

(13) أكرم ضياء العمري، **المرجع السابق**، ص. 70.

(14) أحمد إبراهيم الشريف، **دور الحجاز في الحياة السياسية العامّة**، ص. 58.

(15) الواحدي، **أسباب النزول**، تحقيق: أيمن صالح شعبان، القاهرة، 1998، ص. 114.

(16) حسين العودات، **العرب النصارى: عرض تاريخي**، دمشق، 1992، ص. 50؛ محمد لقمان الأعظمي الندوي، **مجتمع المدينة المنورة في عهد الرسول** ﷺ، القاهرة، 1985، ص. 415.

قوله:

فـــرحت نصـــارى يثرب ويـــهـــودهـــا
لّما تـــوارى في الضـــريـــح الملـــحـــد(17)

وعلى الرغم مِن ذلك إلا أن عدداً كبيراً مِن المؤرخين والباحثين وقعوا في خلط كبير وتناقضات واختلاف في كنه هذا الوجود النصراني وطبيعته وتأثيره ومظاهره؛ فمِنهم مَن يقول: «وعُرفت النصرانية في يثرب»(18)، من دون تفاصيل، وبتعبير آخر: وحينما كان رسول الله ﷺ في مكة أو في المدينة كان فيهما بعض النصارى...(19). ويقول آخر: إنّه بعد تَتبّع الأسفار وكُتب التفسير والسير والتاريخ يتبيّن أن صلة يثرب بالنصرانية قديمة. ثمّ يقول في موضع آخر ليس لدى أهل الأخبار ما يستحق الذِكر عن النصرانية في يثرب، مما يدلّ على أنّها لم تكن قويّة فيها، وأن جاليتها لم تكن كثيرة العدد كبيرة الحجم(20). وقال مؤرّخ آخر: وليس مِن شكّ في أن بلاد العرب الداخلية وبخاصّة مدن الحجاز التجارية لم تكن تجهل كلّ الجهل تعاليم النصرانية وتقاليدها بسبب اتّصالها الدائم بقبائل الشمال(21).

وقال مؤرخ آخر: لم يذكر أهل الأخبار شيئاً يستحقّ الذِكر عن النصرانية في يثرب. وقد أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة مِن الآيات المدنية إلى النصارى؛ غير أن تلك الإشارات

---

(17) حسّان بن ثابت، **الديوان**، تحقيق: وليد عرفات، بيروت، 1969، ج. 1، ص. 270.

(18) منذر معاليقي، **صفحات مطويّة من تاريخ عرب الجاهلية**، بيروت، 1995، ص. 133. وهو أيضاً قول:
Beliaev, E. A., Arabs, Isalm and the Arab Caliphate, trans. A. Gourevitch, London, 1969, p. 47.
و Rahman, F., "Pre-Foundation of the Muslim Community in Mecca", in Peters, F. E. (ed), op,cit., pp. 186, 191.

(19) عبد الحميد السايح، «مدخل إلى معاملة غير المسلمين في الإسلام»، في كتاب: **معاملة غير المسلمين في الإسلام**، تحرير: ناصر الدين الأسد، عَمان، 1989، ج. 1، ص. 30. وانظر شبيهاً لهذا القول: برهان الدين لدّو، **جزيرة العرب قبل الإسلام**، بيروت، 2004؛ ص. 612؛ عبد الرحمن حللي، «المجتمع العربي قبل الإسلام»، **مجلة التسامح**، س. ع. 9 (2005)، ص. 132). فاطمة علي باخشوين، المرجع السابق، ص 184.

(20) محمد لقمان الأعظمي الندوي، **المرجع السابق**، ص. 414، 415. يقول رتشارد بِل إنّ أوّل اتّصال مباشر بين النبي عليه الصلاة والسلام والنصارى كان بعد هجرته إلى المدينة.
Bell, R., The Oigin of Islam in its Chistian Envionment, London, 1968, P. 136.,

(21) كارل برولكمان، **تاريخ الشعوب الإسلامية: 1: العرب والإمبراطورية العربية**، ترجمة: نبيه فارس ومنير البعلبكي، بيروت، 1948، ص. 30.

عامّة في طبيعة المسيح وفي النصرانية نفسها لا في نصارى يثرب وفي صلاتهم بالإسلام. ثمّ إنّ أهل السِّير لم يشيروا إلى تصادم وقع بين النصارى والمسلمين، ولا إلى مقاومة نصارى يثرب للرسول ﷺ كالذي وقع بين يهود يثرب والرسول عليه الصلاة والسلام، مما يدلّ على أن النصرانية لم تكن قويّة في المدينة، وأن جاليتها لم تكن كثيرة العدد فيها، غير أن هذا لا يعني غياب النصارى عن هذا الموقع الزراعي المهم(22). وذكر آخر أنّه لم يكنْ للنصرانية وجود يُذْكَر في يثرب، ولم يُعْرَف أن أحداً مِن اليثربيين تنصّر إلا ما كان مِن أمر أبي عامر الراهب(23).

ويفترض آخر احتمالية الصّلة القديمة بين يثرب والنصرانية، وأنّها تعود إلى الأيّام الأولى لانتشارها، وبقي لها تأثير حتى الهجرة(24). وافترض آخر أن النصرانية في يثرب متأثّرة أكثر بنصرانية الحيرة التي كانت على صلة وثيقة بها، ومن ثم فإنّ المذهب النسطوري يبدو هو الغالب في نصرانية أهل يثرب. ولكن لا يُعرف بالتحديد هل كان نصارى يثرب يشكّلون جالية لها أثر أم هم أفراد دخلوا النصرانية في فترة مِن فترات حياتهم(25). وقال آخر: والمظنون أنّه كان في المدينة بعض النصارى. وقال مؤرخ آخر: كان في يثرب مَن اعتقد بالتوحيد واعتنق أفكاراً تشبه أفكار النصرانية(26). وقال باحث آخر: ولم يكن النصارى في يثرب يشكّلون ثقلاً سياسياً أو اجتماعياً بسبب قوّة يهودها، وربما كان نصارى يثرب يعانون مِن اضطهاد اليهود لذا وجدوا في النبي ﷺ منقذاً لهم(27).

---

(22) جواد علي، **المُفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت، 1993، ج. 6، ص. 601—602.

(23) محمد العيد الخطراوي، **المدينة في العصر الجاهلي**، بيروت/دمشق، 1982، ص. 268-269؛

Osman. Gh., op. cit., p. 80.

(24) عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، **مجتمع المدينة في عهد الرسول** ﷺ، الرياض، 1992، ص. 52؛ قصي الحسين، **موسوعة الحضارة العربية: العصر الجاهلي**، بيروت، 2004، 352.

(25) Osman, Gh., op. cit., pp. 81, 82, 83.

(26) شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي**، القاهرة، 2003، ص. 100؛ صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 144.

(27) سهيل حسين الفتلاوي، **دبلوماسية النبي محمد** ﷺ: **دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر**، بيروت، 2001، ص. 202، 203.

دخول النصرانية إلى بلاد العرب وإقليم الحجاز:

جاء في أعمال الرسل ضمن الحديث عن لقاءات واجتماعات النصارى أنّه حضرها العديد مِن الأتباع كان مِن ضمنهم: «.....كريتيون وعرب نسمعهم يتكلمون بألسنتا بعظائم الله»، وهذه العبارة تشير إلى الأمم الذين تعبوا من تعدد الآلهة، وزهدوا في الحياة اللاأخلاقية فجاؤوا إلى المَجْمَع ليتكلّموا عن الإله الواحد[28]. وهذه إشارة إلى وجود عرب في الأيّام الأولى للنصرانية كانوا على صلة بما يحدث في فلسطين، وسواء تنصّر هؤلاء العرب أم لا، فإن وجودهم نفسه يؤكّد عِلم العرب بالنصرانية ومعرفتهم بها منذ قرونها الأولى[29]. ويحتمل أن ديار العرب التي انطلق إليها بولس الرسول هي أرض الأنباط، وربما هم المعنيون بالعرب في أعمال الرسل[30]، ولهذا يرى بعض الباحثين أن وجود النصرانية بين العرب كان قديماً قِدم النصرانية نفسها[31]، ولكن المؤرخ جواد علي يرى أنّه مِن الصعب تعيين الزمن الذي دخلت فيه النصرانية إلى بلاد العرب[32].

أما تسرّب النصرانية إلى الحجاز فيبدو أنّه أتى مِن الحيرة وسوريا ومِن بيزنطة التي عرف التّجّار العرب طريقهم إليها بشكل أو بآخر. ويبدو أن تواصل العرب مع المناطق الشمالية في العراق وسوريا ومع الحبشة جعلهم على معرفة بالمذاهب النصرانية المختلفة، ولا يستبعد

(28) **أعمال الرسل**، الإصحاح: 2، الآية: 11. انظر كذلك: وليم باركلي، **تفسير العهد الجديد**: **أعمال الرسل**، ترجمة: جوزيف صابر، القاهرة، 1982، ج. 2، ص. 36. انظر كذلك:

Timingham, J., Chistianity among Aabsin Pe-Islamic Times, London, 1979, pp. 41-42.

(29) حسين العودات، **المرجع السابق**، ص. 31. انظر كذلك: أسد رستم، **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى 34–643 م.**، بيروت، ج. 1، ص. 392.

(30) فيلبيب حتي وإدوارد جرجي وجبرائل جيور، **تاريخ العرب**، بيروت، 2000، ص. 75؛

Giffith, S. H., "Chistians and Chistianity", EQ, vol. 1, p. 308.

(31) عصام السعيد، **تاريخ العرب في العصور القديمة**، الإسكندرية، 2000، ص. 186؛ فيلبيب حتي وإدوارد جرجي وجبرائل جيور، **المرجع السابق**، ص. 96. يقول الإمام النووي إنّ الخليفة عمر فرض الجزية على نصارى العرب وهم تنوخ وبهراء وبنو تغلب، وهم قبائل مِن العرب تنصّروا لا يُعلَم متى تنصّروا. (**روضة الطالبين**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، 2000، مج. 7، ص. 504.) وانظر كذلك: الماوردي، **الحاوي الكبير**، تحقيق: محمود مطرجي، بيروت، 1994، ج. 8، ص. 399.

(32) جواد علي، «أديان العرب قبل الإسلام»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية**: **ك. 2**، ج. 2، ص. 114؛ المؤلف نفسه، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 587. انظر كذلك: فاطمة علي باخشوين، **المرجع السابق**، ص 181–182.

الدارسون وجود صوامع في وادي القرى، وحضور الرهبان أسواق العرب لعرض أفكارهم وعقائدهم[33]. وهذا التأثّر العربي بالجيران هو ما عناه العلامة ابن القيّم بقوله: «إن العرب أمّة ليس لها في الأصل كتاب، وكانت كل طائفة تدين بدين مَن جاورها مِن الأمم؛ فكانت عرب البحرين مجوساً لمجاورتها فارس، وتنوخ وبهراء وبنو تغلب نصارى لمجاورتهم الروم»[34].

دخلت النصرانية إلى الحجاز بثلاث طرائق:

الأولى: الهجرة والتبشير إذ هاجر إلى الحجاز فئة مِن المبشّرين النصارى مِن اليهود المتنصّرين الذين كانوا يحافظون على تعاليم يهودية ونصرانية مختلطة كيوم السبت والختان والتوجّه إلى بيت المقدس في أثناء الصلاة. ويحتمل أن كثيراً مِنهم هاجر إلى الحجاز نتيجة لاضطهاد البيزنطيين لهم، واختلافهم معهم. فبنوا أديرة لهم على طرق التجارة وفي المدن الحجازية، ونشروا على قدر طاقتهم بالنصرانية. ووصول مثل هؤلاء لا يعني غياب غيرهم مِن المذاهب النصرانية الأخرى.

الثانية: الرقيق المجلوب مِن الشام والحبشة، وكانوا كثيرين في مدن الحجاز، وكانت لهم ثقافتهم وأفكارهم.

(33) أحمد محمد الحوفي، **الحياة العربية مِن الشعر الجاهلي**، بيروت، 1972، ص. 146؛ برهان الدين لدّو، **المرجع السابق**، ص. 612؛ دي لاسي أوليري، **جزيرة العرب قَبل البعثة**، ترجمة: موسى علي الغول، عَمان، 1990، ص. 156؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، **العرب في العصور القديمة**، الإسكندرية، 1990، ص. 392. يقول المؤرخ أسد رستم إنّه في القرنين الخامس والسادس الميلاديين تكاثر الرهبان فأصبحوا ألوفاً وعشرات الألوف وانتشرت الصوامع في البادية. (**المرجع السابق**، ج. 1، ص. 409.)

(34) **جامع الفقه**، جمع وتوثيق وتخريج: يسري السيّد محمد، المنصورة، 2000، ج. 4، ص. 83. انظر كذلك: الآلوسي، **بلوغ الأَرب**، بيروت، د.ت.، ج. 2، ص. 241؛ ابن صاعد، **طبقات الأمم**، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، 1998، ص. 60؛ أحمد محمد الحوفي، **المرجع السابق**، ص. 142-143؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 590، 591؛ عبّاس محمود العقّاد، «مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية»، في كتاب: **موسوعة أعمال عبّاس محمود العقّاد**، بيروت/القاهرة، 1978، مج. 7، ص. 269؛ الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج. 8، ص. 399.

الثالثة: التّجارة التي أوصلت أهالي الحجاز إلى الشام والعراق واليمن والحبشة ومصر فاتّصلوا بأهالي هذه المناطق، وكان كثير مِنهم نصارى. فاطّلع عرب الحجاز على النصرانية وفلسفتها ومذاهبها وثقافتها(35).

ومِن المؤكّد أن النصرانية قد انتشرت في بلاد العرب قبل الإسلام، ووُجد أفراد في قبيلة أو جماعات مِنها أو قبيلة كاملة على النصرانية. كما تفاوت تنصّر العرب بين منطقة وأخرى؛ فقد كان التنصّر كثيفاً في نجران والحيرة وغسّان وبادية الشام وشمالي سوريا، بينما كان فردياً أو قليلاً في الحجاز، إذ لم تنتشر النصرانية في هذا الإقليم كانتشارها في الشام والعراق واليمن، لا مِن حيث عدد المتنصّرين ولا حتى مِن حيث المفهوم اللاهوتي نفسه أو أسلوب التعامل معها إيماناً وسلوكاً، ولكن ذلك لا يعني غياب النصارى عن الحجاز(36). أمّا تأثير النصرانية في فكر العرب فيرى بعض الباحثين أن تأثير النصرانية لم يكن مِن الأهمية بحيث تصبح عنصراً مِن عناصر الحياة الجاهلية، وحتى القبائل العربية التي فشت فيها النصرانية كانت نصرانية سطحية غير عميقة الجذور، ومما يدلّ على ذلك سرعة إسلام هذه القبائل، وقيل: إنّها كانت نصرانية بدائية قريبة جداً مِن التوحيد(37).

---

(35) أحمد محمد الحوفي، **المرجع السابق**، ص. 142—143؛ برهان الدين لدّو، **المرجع السابق**، ص. 612، 613؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 587—588؛ حسين العودات، **المرجع السابق**، ص. 48-49؛ عبد الرحمن الطيّب الأنصاري، «الأحوال العامّة للجزيرة العربية عند البعثة النبوية» في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 1، ص. 11—12. انظر كذلك: عبّاس محمود العقّاد، «مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية»، ص. 243؛ عمر فرّوخ، **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، بيروت، 1981، ص 36؛ فاطمة علي باخشوين، **المرجع السابق**، ص 182—183، 186؛ محمد عزة دروزة، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، بيروت، 1964، ص. 752؛ نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، **العرب على حدود بيزنطة وإيران مِن القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي**، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، 1985، ص. 313-314. يؤكّد بعضهم أنّه كان هناك العديد مِن الكنائس على طرق التجارة في بلاد العرب. (انظر:
Sweetman, J. W., Islam and Chistian Theoplogy, London, 1945, prt. 1, vol. 1, p. 3.)

(36) أحمد محمد الحوفي، **المرجع السابق**، ص. 143؛ حسين العودات، **المرجع السابق**، ص. 31-32، 47. انظر مقولة الجاحظ: **الرسالة العاشرة مِن كتابة في الردّ على النصارى، رسائل الجاحظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، 2000، مج. 2، ج. ص. 223.

(37) أحمد محمد الحوفي، **المرجع السابق**، ص. 149-150؛ شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي**: **العصر الجاهلي**، ص. 100؛ عمر فرّوخ، **تاريخ الأدب العربي**: ج. 1: **الأدب القديم مِن مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية**، بيروت، 1984، ج. 1، ص. 63؛ محمد حامد الناصر وخولة درويش، **الحياة الدينية عند العرب بين الجاهلية والإسلام**، الرياض، 1997، ص. 68—69، 155.

وفي رأيي أن هذا حكم عامّ غير دقيق، لأنّ مَن تنصّر مِن العرب وتعمّق في الديانة النصرانية كان يدافع عنها ويتمسّك بها، بل كان يدخل في صراعات مع الدول الكبرى كالبيزنطيين عندما كانوا يخالفونهم الرأي، مثلما حدث بين البيزنطيين والغساسنة على الرغم مِن التحالف السياسي والعسكري بينهما. ومِن المعروف أن الغساسنة مِن النصارى القائلين بالطبيعة الواحدة المونوفيزية أو اليعقوبية[38]. وأظنّ أنّه بحلول القرن السادس الميلادي لم تعد الديانة النصرانية ديانة غريبة عن العرب بعد تواصلهم معها في بلادهم وخارج بلادهم[39].

وبما أنّه تتوافر في يثرب عوامل السكنى والاستيطان– ولا سيما الزراعة– كان مِن البديهي أن تكون مطمح الأنظار ومرغب المهاجرين والمستوطنين القادمين مِن جميع الجهات[40]. وكان النصارى العرب يرون أن انتشار النصرانية في الشطر الغربي مِن شبه الجزيرة العربية أمر مهمّ، حيث كانت توجد سلسلة مِن المدن العربية كيثرب ومكة ونجران. وما وصل إلى يثرب مِن معرفة بالنصرانية في قبيلتي الأوس والخزرج الأزديتين ربما كان بفضل الغساسنة الذين كانوا على صلات وثيقة بهم[41]. ومما يشير إلى الصّلة القديمة بين الأوس والخزرج وبين الغساسنة ما تذكره الروايات مِن أنّه بعد هجرة القبيلتين الأزديتين إلى يثرب، ومجاورتهما ليهود السابقين لهم في الإقامة بيثرب والهجرة إليها؛ تعرّضوا الضيم يهود

(38) أسد رستم، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 394؛ عرفان شهيد، «المسيحية قبل ظهور الإسلام»، في كتاب: **المسيحية**، ص. 439؛ لطفي عبد الوهاب يحيى، **المرجع السابق**، ص. 398؛ محمد أحمد باشميل، **العرب في الشام قبل الإسلام**، دمشق، 1973، ص. 216-217. انظر كذلك:

Khalidi,I. R.,"The Aab Kingdom of Ghassan: its Oigin, Rise and Fall", MW, 46/3 (), p. 204.

(39) Giffith, S. H., op.cit.,vol. 1, p. 309; Osman, Gh., op.cit., p. 67. يقول ف. إ. بيترز إنّ النصرانية قد شاعت في أجزاء كبيرة مِن شبه الجزيرة العربية، إذ أصبح الجزء الشرقي مِن البحر الأحمر نصرانياً، وكذلك في بلاد اليمن وبين قبائل العربية في شمالي شرق وشمالي غرب بلاد العرب. وبحلول عام 600 م كاد العرب وفي بضعة عقود أن يكونوا شعباً نصرانيا أسوة بالكلتيين والسلاف في أوربا. انظر:

Petes, F. E., "Intoduction", in Petes, F. E. (ed). The Aabs and Aabia on the Eve of Islam, Aldeshot, 1999, pp. xi, xviii.

(40) جعفر الخليلي، **المرجع السابق**، ص. 28.

(41) عرفان شهيد، **المرجع السابق**، ص. 439.

وظلمهم وبغيهم، ذهب أحدهم– وهو الرمق بن زيد بن امرئ القيس أحد بني سالم بن عوف بن الخزرج وقيل: مالك بن العجلان السالمي الخزرجي – لطلب النجدة مِن ملك ملوك غسّان المدعو أبو حبيلة عبيد بن سالم بن مالك بن سالم مِن ولد جفنة بن عمرو بن عامر، وكان قد أصاب مُلكاً بالشام وشرفاً، فشكا إليه الرمق حالهم وغلبة اليهود عليهم، فأَقْبَلَ أبو حبيلة في جمع كثير لنصرة الأوس والخزرج، وعاهد الله أن لا يبرح حتى يخرج مَن بها مِن اليهود ويذلّهم، أو يصيّرهم تحت أيدي الأوس والخزرج(42). وكان للتدخّل الغساني النصراني أثره الكبير في توطيد مركز الأوس والخزرج في يثرب. ولا يُستَبعد أن الغساسنة كانوا يرغبون في إيجاد حلفاء أقوياء لهم في مناطق يهود الحجاز؛ لكسر شوكتهم ولضمان عدم اتّصالهم بيهود اليمن(43). وذهب بعض الباحثين إلى أن قصّة استنجاد الأوس والخزرج بالغساسنة

---

(42) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: علي شيري، بيروت، 2004، مج. 1، ص. 429؛ ابن خلدون، **كتاب العِبَر (موسوعة العلامة ابن خلدون)**، بيروت / القاهرة، 1999، مج. 3، ص. 101، 104، 596—597، 600؛ ابن الضياء المكي، **تاريخ مكة المشرّفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف**، تحقيق: عادل إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري، بيروت، 1997، ص. 218؛ ابن الفرّاء الغسّاني، **نزهة الأبصار في فضائل الأنصار**، تحقيق: عبد الرزاق بن محمد مرزوق، الرياض، 2004، ص. 128؛ أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. 11، ج. 22، ص. 345-346. مِن المحتمل أن أبا حبيلة أو جبيلة لم يكن ملكاً مِن ملوك غسّان؛ بل كان عظيماً ومُقدَّماً عندهم. ويحتمل أيضاً أن حادثة الاستنجاد وقعت بين عامَي 492 و525 م. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص. 353، 354؛ Wensinck, A. J., op. cit., p. 25.

(43) عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، **المرجع السابق**، ص. 58، 59. ذكرت د. أماني خليفة البحر في بحث لها بعنوان: «آطام اليهود في يثرب قبل الإسلام» ألقته في الملتقى العاشر للجمعية التاريخية السعودية في المدينة 29 مايو 2007 أن دعم الغساسنة للأوس والخزرج كان بدافع سياسي بيزنطي، أو إنه يندرج ضمن الصراع بين النصرانية البيزنطية واليهودية. وقد نفى أ. د. حامد زيّان هذا الزعم لأنه لم يكن هناك أيّ عداء بين البيزنطيين واليهود. ولكن مِن الثابت أنّه حدث خلاف كبير وصراع بين البيزنطيين واليهود وبالذات في فلسطين. وكان عهد الإمبراطور هرقل مِن أكثر عهود الأباطرة البيزنطيين عنفاً على اليهود بسبب ما ارتكبوه مِن أعمال ضدّ الدولة، وما حاكوا مِن مؤامرات وأعمال تخريبية ضدّ عدد مِن الأديرة والكنائس في فينيقيا وفلسطين. (انظر: جرجي زيدان، **تاريخ التمدّن الإسلامي**، بيروت، ط. 2، ج. 1، ص. 47؛ رأفت عبد الحميد، «الصراع الدولي حول شبه الجزيرة العربية في القرن السادس الميلادي»، في كتابه: **بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة**، القاهرة، 1997، ص. 176؛
Shahid, I., "Heraclius and the Theme System: Futhe Obsevations", Byzantion, 59 (1989), pp. 218-219).

أسطورة[44]. وأظنّ أن هذا مجازفة في الحكم؛ لأنني أرى أن لهذه القصّة أصلاً صحيحاً وإنْ شَابَهُ شيء مِن التهويل والتضخيم. ولا أتّفق مع مَن يرى أن العلاقة بين يثرب والغساسنة كانت علاقة ضئيلة[45]، وأنّه ليس لها أثر بعد استنجاد الأوس والخزرج بهم، وأنه لو كان الغساسنة مدفوعين مِن البيزنطيين ضدّ يهود الحجاز فلماذا اقتصر ذلك على يثرب دون غيرها مِن مناطق نفوذ اليهود في الحجاز؛ لأنّ العلاقة الدائمة تتطلّب مِن الغساسنة وجوداً وحضوراً عسكرياً وسياسياً دائماً، وهذا أمر ليس في قدرة الغساسنة تحقيقه، ولا سيما أن البيزنطيين قد أَوْكَلوا للغساسنة مهمّة الدفاع عن تخوم الشام الطويلة مِن اعتداءات الفرس وغارات المناذرة وهجمات الأعراب، مما زاد في الأعباء الملقاة على عاتق الغساسنة[46]. ومِن

(44) جعفر الخليلي، **المرجع السابق**، ص. 38. لا يُستَبعد أن يكون تحرّك الغساسنة لنجدة الأوس والخزرج ضدّ اليهود في يثرب كان ضمن دائرة الصراع البيزنطي الفارسي في مدّ نفوذ الفريقين في بلاد العرب. وتشير بعض الروايات إلى أنّه كان للساسانيين مرزبان (أي والٍ أو مسؤول إداري وعسكري) يتولى جمع الضرائب المالية مِن أهالي يثرب، وكان على تعاون وثيق مع قبيلتي النضير وقريظة اليهوديّتَيْن. وذلك نحو الربع الأخير مِن القرن السادس الميلادي. ولكن يصعب تحديد نوعية هذا الارتباط بين اليهود والساسانيين ومداه. لمزيد مِن التفاصيل، انظر:
Kister M. J., "Al-Hira: Some Notes on its Relations with Aabia", in Petes, F. E. (ed), op. cit., pp.83-87;Lecker,M.,"King Ibn Ubayya and the Qassas", in People, Tribes and Society in Arabia Around the Time of Muhammad, Aldershot, 2005, p. 61; idem, "The Levying of Taxes for the Sasanians in Pre-Islamic Medina", in Lecher, M. (ed), People, Tribes and Society, pp. 109 ff.; Socholler, M., "medina", EQ, vol. 3, p. 369; Peters, F. E., op. cit., p. xxv.
يرى أحمد إبراهيم الشريف أن عدَّ النزاع بين الأوس والخزرج وبين اليهود وإنجاد الغساسنة لأبناء عمومتهم صراعاً دولياً أو نوعاً مِن الصراع بين اليهودية والنصرانية أمر محال. ويراه مجرّد نزاع محلي قبلي نتيجة للظروف الاقتصادية فحسب. (انظر كتابه: **مكة والمدينة**، ص. 354-355.) ولكنّنا نميل إلى ما ذكرناه أعلاه.

(45) أحمد إبراهيم الشريف، **دور الحجاز في الحياة السياسية العامّة**، ص. 62؛ السيّد عبد العزيز سالم، **دراسات في تاريخ العرب: تاريخ العرب قبل الإسلام**، الإسكندرية، 1969، ص. 349.

(46) حول العلاقة بين الغساسنة والبيزنطيين، وتكليفهم بمهام الدفاع عن الحدود، انظر مثلاً: السيّد عبد العزيز سالم، «أوّل اشتباك حربي بين العرب والروم على مشارف الشام قبل الشروع في حركة الفتوحات الإسلامية»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 1، ص. 143؛ محمد كرد علي، **خطط الشام**، بيروت/دمشق، 1983، ج. 1، ص. 66؛
Donner, F. M., The Early Islamic Conquesrs, Princeton, 1981, pp. 43, 44; Peters, F. M., op. cit., pp. xx, xxii-xxiii, Shahid, I., "Ghassan and Byzantoum: A New Terminus a quo", Der Islam, 33 (1958), pp. 232-255.
كان الغساسنة مخلصين في ولائهم للبيزنطيين، حتى مع الغزو الفارسي المدمّر على الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية. وكانوا يراقبون تحرّكات يهود فلسطين. انظر:
Shahid, I., "Heaclius and the Theme System", pp. 218-219

الأبيات المشهورة التي قالها حسّان في الغساسنة:

إنْ كـــنت سـائلة والحق

مغضبة فالأسد نسبتنا والماء غسان

شمّ الأنوف لهم مجد ومكرمة

كانت لهم كجبال الطود أركان(47)

ويُفهَم مِن هذين البيتين أنّه كان هناك نوع مِن الودّ والتواصل بين الأوس والخزرج وأبناء عمومتهم في الشام الذين كانوا يعدونهم سنداً لهم وأهلاً للنصرة والالتجاء وملاذاً آمناً.

ووجود أكثر مِن فئة دينية في المدينة بعد الهجرة ثابت في أكثر مِن رواية؛ بل إن انتشار الإسلام في المدينة لم يكن عامّاً في بداية الهجرة. ومع أنّه لم يَبقَ مِن دُور الأنصار دار ليس فيها مسلمون رجالاً ونساءً إلا بني أميّة بن زيد وخطمة وواقف وهم بطون مِن الأوس، وكانوا يقطنون في عوالي المدينة، فأسلم مِنهم أربعة نفر هم: خزيمة بن ثابت بن الفاكه وعمير بن عدي بن خرشة وحبيب بن حباشة وخميصة بن رقيم. وتأخّر إسلامهم إلى أن انقضت بدر وأُحد والخندق ثم أسلموا كلهم(48).

وصول النصرانية إلى يثرب:

ومِن الدلائل على وصول النصرانية إلى يثرب في زمن مبكّر ما رواه ابن زَبَالَة عن عمرو

(47) حسّان بن ثابت، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 183. يعد شعر حسّان بن ثابت مِن الأدلّة التي تبيّن الحياة الاجتماعية عند الغساسنة. Khalidi, I. R., op. cit., pp. 204-205.

(48) ابن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، اعتناء وداد القاضي، بيروت، 1962، ج. 16، ص. 341؛ ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: لجنة من العلماء، بيروت، 2001، ص. 345؛ المؤلف نفسه، **جوامع السيرة النبوية**، مراجعة: نايف العباسي، بيروت / دمشق، 1984، ص. 61؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج. ص. 605؛ ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: عمر غرامة، بيروت/دمشق، 1996، ج. 24، ص. 247.

بن سليم الزرقي[49]: قال: رقينا الجمّاء[50] فوجدنا قبراً إرميّاً (أو قبر آدمي) على رأسها، عنده

(49) هو عمرو بن سليم بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زرقي الأنصاري الزرقي المدني، أحد ثقات التابعين ومشاهيرهم، وكان قليل الحديث. روى عن ابن عمر وابن الزبير وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم، تُوفي سنة 104 هـ. (ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، تحقيق: محمد عوّامة، حلب، 1991، ص. 422؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، تحقيق: خليل مأمون شيحا وآخران، بيروت، 1996، مج. 4، ص. 330؛ الحسيني، **كتاب التذكرة بمعرفة رجال الكتب العشرة**، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، القاهرة، 1997، ج. 2، ص. 1269؛ الذهبي، **الكاشف**، تحقيق: صدقي جميل العطّار، بيروت، 1997، ج. 2، ص. 320؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت 1995، ج. 5، ص. 318؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، بيروت، 1993، ج. 2، ص. 322؛ العجلي، **كتاب الثقات**، تحقيق: عبد المنعم عبد العظيم الستوي، المدينة، 1985، ج. 2، ص. 177؛ قاسم علي سعد، **منهج الإمام أبي عبد الرحمن النسائي في الجرح والتعديل**، دبي، 2002، ج. 5، ص. 2079.) وابن زَبَالة هو أبو الحسن محمد بن الحسن بن أبي الحسن القرشي المخزومي مولاهم المدني، أحد مَن أرّخ للمدينة. علامة في التاريخ والأنساب والمغازي روى عنه أناس كثيرون، قال عنه أحمد بن صالح: ما رأيتُ أحداً أعلم بالمغازي والأنساب مِن ابن زَبَالَة. ولكنّه غير مرضي عند علماء الحديث إذ أُتّهم بالكذب، وأنّه غير ثقة، ولا مأمون، خبيث، وأنّه يروي عن الثقات ما ليس يسمع مِنهم. ولا يتابعه إلا مَن هو مثله أو دونه. روى ابن زبالة عن مالك بن أنس، وكان يُعدّ مِن أصحابه. وروى عن مالك المعضلات. وتوفي قبل عام 200 هـ. وقيل: بعد عام 179 هـ. (لمزيد مِن التفاصيل، انظر: أبا أحمد الحاكم، **كتاب الأسامي والكنى**، تحقيق: يوسف بن محمد الدخيل، المدينة، 1994، ج. ص. 312-314؛ ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 2002، مج. 7، ص. 306-307؛ ابن حِبّان، **كتاب المجروحين مِن المحدّثين**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الرياض، 2000، مج. 2، ص. 286؛ ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، تحقيق: عبد الله القاضي، بيروت، 1986، ج.ص. 51؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 474؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، مج. 5، ص. 70-71؛ ابن عدي، **الكامل في ضعفاء الرجال**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، 1997، ج. 7، ص. 370؛ الخزرجي، **خلاصة تذهيب تهذيب الكمال**، تحقيق: مجدي منصور الشورى، بيروت، 2001، مج. 2، ص. 496؛ الذهبي، **الكاشف**، ج. 3، ص. 19؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 6، ص. 108؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج. 2، ص. 469؛ العقيلي، **كتاب الضعفاء**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الرياض، 2000، ج. 4، ص. 1219-1220، رقم: 1614؛ عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين**، بيروت، 1957، مج. 5، ج. 9، ص. 191؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، بيروت، 1988، ج. 25، ص. 60—61، 65—66).

(50) يطلق على البنيان الذي لا شرف له أجمّ، ومؤنثه جمّاء، ومنه شاة جمّاء أي لا قرن لها. والجمّاء: جبيل على بُعد ثلاثة أميال مِن المدينة مِن ناحية العقيق إلى الجرف، وقيل: هي هضبة سوداء، وقيل: هما جمّاوان عن يمين الطريق مِن المدينة إلى مكة، وقيل: هي ثلاث جمّاوات: جمّاء تضارع وجمّاء أمّ خالد وجمّاء العاقر، وحالياً تشرف جمّاء تضارع على بئر عروة مِن الغرب، مِنها شعبة تصبّ على سدّ العقيق، وطرفها الجنوبي يسمى الغرابة يُرى مِن ذي الحليفة شمالاً. وجمّاء أم خالد غرب جماء تضارع بينهما فسحة يمر فيها طريق معبّد. أما جمّاء العاقر فلا تعرف الآن. وقيل: إن الجّماوات أربعة جبال غربي وادي العقيق، وسُمّيت كل جمّاء مِنها باسم مَن بنى فيها وقيل: إنّ الجمّاء سُمّيت بذلك لأنّها تقع بين جبلين هي أقصرهما يقول حسّان بن ثابت: (وكاد بأكناف العقيق وئيده / يحطّ مِن الجمّاء ركناً مُلَملما). (انظر: الزمخشري، **الجبال والأمكنة والمياه**، تحقيق: أحمد عبد التواب =

حجران (طويلان) مكتوبان لا تُقرأ كتابتهما فحملناهما، فثقل علينا أحدهما فرميناه في الجمّاء، وأخذتُ الآخر فكان عندي، فعَرَضتُه على أهل التوراة مِن يهود فلم يعرفوه، ثم عَرَضتُه على أهل الإنجيل مِن النصارى فلم يعرفوه، فأقام عندي حتى دخل المدينة رجلان مِن أهل ماه فسألتهما أن يقرأاه فكان فيه: أنا عبد الله الأسود رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل قرى عربية. وفي رواية أنّه مكتوب فيه: سود (أو أسود) بن سوادة (أو سواد) رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى هذه القرية. وقد أخبره الرجلان أن أسلافهما كانوا أهل هذه القرية في قديم الدهر[51]. وقيل: إنّ ما كُتب هو: أنا عبد الله ورسول (رسول) الله سليمان بن داود (بدلاً عن عيسى عليه السلام) إلى أهل يثرب، وأنا يومئذ على الشمال. وذُكر أن مَن عَثر على هذا الحجر هو عثمان بن عبد الرحمن، وأن مَن قرأه رجل مِن أهل اليمن[52].

= عوض، القاهرة، 1999، ص. 83؛ عاتق بن غيث البلادي، **معجم إقليم الحجاز**، مكة، 1979، ج. 2، ص. 169؛ المؤلف نفسه، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، مكة، 1982، ص. 84؛ العبّاسي، **عمدة الأخبار في مدينة المختار**، تصحيح: محمد الطيب الأنصاري، (مكتبة الأعيان)، ب.ت.، ص. 238؛ المَطَري، **التعريف بما آنست الهجرة مِن معالم دار الهجرة**، المدينة، 1402 هـ.، ص. 63. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، بيروت، 1990، ج. 2، ص. 184.) وانظر بيت شعر حسّان بن ثابت في **ديوانه**، ج. 1، ص. 34، وعن عبد الله بن عبّاس قال: أُمِرنا أن نبني المساجد جمّاً، وعن عبد الله بن شقيق قال: إنّما كانت المساجد جمّاً، وعن أنس يرفعه إلى النبي ﷺ: ابنوا المساجد واتّخذوها جمّاً، أي لا شرف لها. (ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 1، ص. 309؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، مع فهرسة للأحاديث إعداد: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، 1980، ج. 2، ص. 439.) وقد ضعّف الشيخ الألباني حديث أنس. (**سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة**، الرياض، 2000، مج. 4، ص. 169، رقم: 1674.)

(51) ابن زَبَالَة، **أخبار المدينة**، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز بن سلامة، المدينة، 2003، ص. 222؛ ابن الضياء المكي، **المصدر السابق**، ص. 242؛ ابن النجار، **الدُّرة الثمينة في تاريخ المدينة**، تحقيق: صلاح الدين بن عبّاس شكر، المدينة، 2006، ص. 159، 160؛ زين الدين المراغي، **كتاب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكة، 1997، ص. 223؛ السمهودي، **وفاء الوفا**، تحقيق: قاسم السامرائي، جدة، 2001، ج. 1، ص. 295-296، ج. 4، ص. 43؛ العبّاسي، **المرجع السابق**، ص. 237-238؛ غالي محمد الأمين الشنقيطي، **الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين ﷺ**، تحقيق: محمد أحمد سالم بيبه الشنقيطي، المدينة، 2003، ص. 277؛ الفيروزآبادي، **المغانم المُطابة في معالم طابة**، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، 1969، ص. 90. يقول المؤرخ جواد علي: لم يصل إلى علمي أن أحداً عثر على نصّ جاهلي نصراني فيه شيء مِن أمور الدين أو كلام له بالنصرانية. («أديان العرب قبل الإسلام»، ص. 114.)

(52) ابن الضياء المكي، **المصدر السابق**، ص. 242؛ ابن النجار، **المصدر السابق**، ص. 150؛ زين الدين المراغي، **المصدر السابق**، ص. 223؛ السمهودي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 295. وعثمان بن عبد الرحمن هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عمر بن سعد بن أبي وقّاص الوقّاصي الزهري، المتوفى في عهد هارون الرشيد. وهو غير مرضيّ لدى علماء الحديث والجرح والتعديل، فهو ذاهب الحديث، كذّاب، ليس بثقة، ضعيف لا يُكتب حديثه. (انظر: =

وتصحّف الاسم عند أبي عبيد البكري إلى عبد الله بن عثمان(53). والظاهر أنّه حدث نوع مِن الخلط في النقل وقلة التميز في ترجمة النصّ، وهذا لا يمنع مِن حدوث أصل الحكاية، وأن تَعَدُّد الروايات يشي بحصولها. وذكر محقّق كتاب الوفا للسمهودي أن الرجل اليمني استطاع قراءة النقش لأنه مكتوب بخط المسند الذي كتب به الثموديون والديدانيون(54). وبولغ في هذا الأمر إلى درجة ذُكر فيها أن هذا الحجر عُثر عليه في عهد الصحابة، وأنّهم لم يتمكّنوا مِن قراءته لأنّه مكتوب بالخط الحميري. وقيل: إنّ هذين الحجرين بقيا في المدينة، ثم اختفيا بعد القرن الخامس الهجري(55). ويقول محمد محمد حسن شُرّاب: والأخبار المنسوبة إلى عمرو بن سليم، وهو تابعي ثقة في الحديث، ولكن في صحّة نسبتها إليه شكّاً، بل لا يستبعد أن تكون موضوعة(56). ويبدو أن تسمية جمّاء أم خالد تسمية متأخرة جدّاً لم تكن معروفة في القرون الهجرية الأولى فكيف يكون اسمها معروفاً في القرون الميلادية الأولى، ويرد ذِكره في نصّ يعود إلى ما قبل الإسلام بمئات السنين(57)؟

وقيل: إنّ هذا القبر طوله 40 ذراعاً، مكتوب على حجر فيه: أنا عبد الله مِن أهل نينوى (أو تيسون) رسول رسول الله عيسى بن مريم إلى أهل هذه القرية، فأدركني الموت فأوصيت

= ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، مج. 6، ص. 200؛ ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ج. 2، ص. 169؛ ابن حِبّان، **كتاب المجروحين من المحدّثين**، مج. 2، ص. 72-73؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، مج. 4، ص. 84-85؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 271-272؛ البخاري، **كتاب التاريخ الصغير**، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، حلب/القاهرة، 1977، ج. 2، ص. 161؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 1142؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 268؛ الذهبي، **الكاشف**، ح. 2، ص. 247؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 5، ص. 56-57؛ العقيلي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 941—942، رقم: 1211؛ محمد صبحي بن حسن حلاق، **رجال تفسير الطبري**، بيروت، 1999، ص. 385).

(53) **المسالك والممالك**، تحقيق: جمال طلبة، بيروت، 2002، مج. 1، ص. 327.

(54) السمهودي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 295، ح. (1). يقول أبو عمرو بن العلاء: ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا. (ابن سلاّم الجمحي، **طبقات فحول الشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، القاهرة، 1974، ج. 1، ص. 11).

(55) غالي محمد الأمين الشنقيطي، **المرجع السابق**، ص. 276، 277.

(56) **أخبار الوادي المبارك العقيق**، المدينة، 1985، ص. 120.

(57) يقول محمد محمد حسن شُرّاب: ولا أعرف مَن هي أمّ خالد التي أضيفت إليها الجمّاء. (**أخبار الوادي المبارك العقيق**، ص. 119).

أن أُدفن في جمّاء أم خالد[58]. وتعني «أَرَمِيّاً» أي قبراً عليه حجارة شبيهاً بقبور عاد في الخراب والإندراس، أو أنّه مِن حجارة أو حصى منصوبة كالعَلَم. أو أن اللفظة تشير إلى الأرميين أو الآراميين بمعنى أنّه مكتوب بالخط الآرامي، وقرى عربية منسوبة إلى العرب، وهي قرى بالحجاز معروفة، وقيل: هي قرى خيبر وتيماء وفدك وتبوك، وكانت تعد مِن أعمال المدينة[59]. ورُوي أنّه كان في هذه القرى العربية اثنا عشر حَبَراً[60]. وذُكر أن عيسى

(58) ابن شبّه، **كتاب تاريخ المدينة المنورة**، تحقيق: علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان، بيروت، 1996، ج. 1، ص. 96؛ أحمد ياسين الخياري الحسيني المدني، **تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً**، المدينة، 1990، ص. 231. روى ابن شبّه حادثة العثور على القبر الطويل عن عبد العزيز بن عمران عن يزيد بن عياض بن جُعْدبة عن ابن شهاب. وفي الحادثة أن محمد بن يحيى سأل عبد العزيز بن عمران عن نينوى، فقال: هما موضعان؛ أحدهما بالسواد بالطف، والآخر قرية بالموصل، وهي القرية المعروفة التي بُعث فيها النبي يونس عليه السلام. ولا يُدرى أيّ الموضعين أراد. ويلاحظ أن أحوال اثنين مِن رواة الحادثة غير مرضية عند علماء الجرح والتعديل وعلماء الحديث، فيزيد قال عنه يحيى بن معين: ليس بشيء، ضعيف، ليس بثقة، ولا يكتب حديثه. وقال البخاري ومسلم: منكر الحديث، ورماه الإمام مالك بن أنس بالكذب. وقال عنه النسائي: متروك الحديث. وضعّفه الترمذي والدَّارْقُطْني، وقال عنه ابن حِبّان: كان ممن ينفرد بالمناكير عن المشاهير والمعلولات عن الثقات، فلمّا كثر ذلك في روايته صار ساقط الاحتجاج به. وقال يحيى عن عبد العزيز: ليس بثقة، وإنّما كان صاحب شعر. وقال عنه البخاري: لا يكتب حديثه، منكر الحديث. وقال الحافظ ابن حجر: متروك احترقت كتبه فحدّث مِن حفظه فاشتدّ غلطه، وكان عارفاً بالأنساب، توفي عام 197 هـ. (انظر: ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ج. 2، ص. 111، ج. 3، ص. 211-212؛ ابن حِبّان، **كتاب المجروحين من المحدّثين**، مج. 2، ص. 122، 459؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 358، 604؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 500، ج. 9، ص. 140-141؛ البخاري، **كتاب التاريخ الصغير**، ج. 2، ص. 752، 89؛ المؤلف نفسه، **كتاب الضعفاء الصغير**، تحقيق: بوران الضناوي، 1984، ص. 151، 255؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 204-205، مج. 3، ص. 282؛ الدارمي، تاريخ عثمان بن سعيد الدارمي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، بيروت/دمشق، 1400 هـ.، ص. 722، 169؛ الذهبي، **المُغني في الضعفاء**، تحقيق: حازم القاضي، بيروت، 1997، مج. 1، ص. 632، مج. 2، ص. 542؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 4، ص. 369، ج. 7، ص. 258-259.)

(59) ابن قدامة المقدسي، **التبيين في أنساب القرشيين**، تحقيق: محمد نايف الدليمي، بيروت، 1988، ص. 189، 191؛ أبو عبيد البكري، **معجم ما استعجم**، تحقيق: حمال طلبة، بيروت، 1998، مج. 2، ج. 3، ص. 193-194؛ الثعلبي، **التفسير (الكشف والبيان)**، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، بيروت، 2002، ج. 3، ص. 91؛ قدامة بن جعفر، **المصدر السابق**، ص. 1.80 ووردت اللفظة بضيغة: «قرى عُرينة» عند الواحدي في **أسباب النزول**، ص. 94. يرى أ.د. عبد الرحمن الطيّب الأنصاري أن اسم «قرى عربية» تحريف للاسم الإداري الروماني «الكورة العربية» أو «المقاطعة العربية» التي أنشأها الرومان بعد سقوط المملكة النبطية عام 106 م. (**المرجع السابق**، ج. 1، ص. 7).

(60) البَغَوِي، **التفسير (معالم التنزيل)**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، 2000، ج. 1، ص. 456؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 91؛ السيوطي، **الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، القاهرة، 2003، ج. 3، ص. 624-625.

عليه الصلاة والسلام بعث أحد حوارييه– وكان يدعى ابن ثلماء– إلى الأعرابية، وهي أرض الحجاز[61].

أمّا في المناطق القريبة مِن المدينة فقد كان في وادي القرى جماعة مِن النصارى تعيش جنباً إلى جنب مع اليهود[62]. وذهب بعضهم إلى أن وادي القرى مِن الأماكن التابعة ليثرب[63]. ويبدو أن عدداً مِن القبائل الشمالية العربية النصرانية كجذام كانت تتنقل بين شمالي المدينة وبلاد الشام[64]. وكان في هذا الوادي مجموعة مِن الرهبان كما يشير إلى ذلك شعر لجعفر بن سراقة:

نحن منعنا ذا القرى من عدونا *وعذرة إذ نلقى يهودا*

منعناه من عُلْيا مَعَدٍّ وأنتم *سفاسف رَوْح بين قُرح وخيبرا*

فريقان رهبان بأسفل ذي القرى *وبالشأم عرافون فيمن تنصّرا*[65]

ويقال إن تقويماً قديماً للكنيسة النسطورية يَذكر أن النساطرة أقاموا مطراناً في يثرب، وكان لهم ثلاث كنائس: إبراهيم الخليل وموسى الكليم وأيوب الصدّيق[66]. ولا يُستَبعد أنّه كان للنصارى أساقفة في مواضع عدة مِن بلاد العرب لتنظيم سياسة الكنائس والأديرة[67]. ولا يُستبَعد أن نصارى العرب كانوا يتعاملون بالربا حالهم حال اليهود، ومما يدلّ على ذلك

---

(61) ابن هشام، **السيرة النبوية**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، 1998، ج. 4، ص. 221.

(62) ابن سلاّم، **المصدر السابق**، ص. 316؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، تحقيق: محمد حميد الله، القاهرة، 1987، ص. 353.

(63) الجزيري، **الدُّرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، إعداد: حمد الجاسر، الرياض، 1983، ج.3، ص. 1592؛ جعفر الخليلي، **المرجع السابق**، ص. 28، 56، 58، 59.

(64) Timingham, J., op.cit., p. 259.

(65) أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. 7-8، ج. 8، ص. 320؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 601.

(66) جورج شحاته قنواتي، **المسيحية والحضارة العربية**، بغداد، 1984، ص. 59.

(67) عبّاس محمود العقّاد، «مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية»، ص. 270؛ نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، **المرجع السابق**، ص. 317.

كتاب الصلح الذي كتبه رسول الله ﷺ لنصارى نجران حيث ترد فيه الإشارة صريحة إلى التحذير مِن تعاملهم بالربا. ويبدو أن هذا التعامل الربوي بلغ مبلغاً جعل تنفيذ هذا الشرط والالتزام به أمراً صعباً[68].

معرفة النصارى بدار هجرة النبي ﷺ:

ذُكر أنّه كان لدى الرهبان النصارى معرفة بخروج النبي ﷺ، ومكان هجرته، وكانوا واليهود أعلم الناس برسول الله (قبل مبعثه وزمانه لما يجدونه في كتبهم مِن صفته، وما أثبت فيها عندهم مِن اسمه[69]. ومما يدلّ على ذلك أن طلحة بن عبيد الله كان في سوق بصرى بالشام، والتقى بأحد الرهبان، وأخبره أن خروج النبي ﷺ الخاتم في مكة، وأن دار هجرته أرض ذات نخل وحرار وسباخ[70]. وقيل: إنّ اسم هذا الراهب بحيرا، وهو نفسه الذي التقى بالنبي ﷺ في طفولته لأنّه كان مقيماً في بصرى. والأرجح أنّه غيره إذ إنه لم يدرك البعثة، وقيل: إنّ اسمه نسطورا[71]. وقيل: إنّ بحيرا ونسطورا هما اسمان لراهب واحد كان ينتمي إلى الطائفة النسطورية[72]. ويبدو أن هذا الراهب كان مقيماً في الصومعة نفسها التي كان مقيماً فيها بحيرا (أو نسطورا إذا كانا اثنين) مِن قبل؛ إذ يقول ابن سعد: «وكان علماء النصارى يكونون في تلك الصومعة يتوارثونها عن كتاب يدرسونه»[73]. كما أخبر أحد

(68) سعيد الأفغاني، **أسواق العرب في الجاهلية والإسلام**، دمشق، 1960؛ ص. 62.

(69) ابن إسحاق، **كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي (السيرة النبوية)**، تحقيق: محمد حميد الله، (معهد الدراسات والأبحاث والتعريب)، ب.ت.، ص. 62، فقرة: 60، ص. 90، فقرة: 119.

(70) ابن الجوزي، **الوفا بأحوال المصطفى** ﷺ، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، 1966، مج. 1، ص. 56؛ أبو نعيم الأصفهاني، **دلائل النبوة**، تحقيق: مساعد بن سليمان الحميد، الرياض، 1992، ج. 2، ص. 437-438؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، تحقيق: سيّد إبراهيم، القاهرة، 2007، مج. 2، ص. 117-118، رقم: 479. وقال محقّق كتاب **دلائل النبوة** لأبي نعيم (ج. 2، ص. 437-438، ح. (2). إن الحديث ضعيف جدّاً، وفي السند انقطاع. وقال عنه محقّق دلائل البيهقي: إسناده ضعيف جدّاً.

(71) الحلبي، **إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون** ﷺ، بيروت، 1980، مج. 1، ص. 301-302.

(72) دي لاسي أوليري، **المرجع السابق**، ص. 156.

(73) ابن سعد، **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، 2000، ج. 1، ص. 128. انظر كذلك: البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 2، ص. 32.

الرهبان النصارى سلمان الفارسي بأنّ مهاجر النبي ﷺ سيكون إلى أرض بين حرّتين بينهما نخل(74). وحدث الشيء نفسه مع المغيرة بن شعبة الثقفي لما سأل أحد الأساقفة الكبار في الإسكندرية عن النبي ﷺ فأخبره بصفته وهيئته، وأنّه سيهاجر إلى أرض ذات سباخ ونخل(75).

ونظراً لاشتهار معرفة النصارى بأخبار رسول الله ﷺ عنون كثير مِن العلماء بعض أبواب كتبهم: «ما جاء من أمر رسول الله ﷺ عن أحبار اليهود وعن الرهبان مِن النصارى». أو «جامع أبواب بشائره ﷺ مِن أخبار الأحبار والرهبان والكهنة، وما سُمع مِن الهواتف وأجواف الأصنام، ومن صدّق به قبل ولادته وبعثته ﷺ»(76). وقد علّق البيهقي على ذلك بقوله: «وكانت الأحبار والرهبان مِن أهل الكتاب هم أعلم برسول الله ﷺ قبل مبعثه، وبزمانه الذي يترقّب فيه مِن العرب لما يجدونه في كتبهم مِن صفته، وما أُثبِت فيما عندهم مِن اسمه، وبما أُخِذ عليهم مِن الميثاق له في عهد أنبيائهم وكتبهم في اتِّباعه....»(77). وقال النويري: وبشّر به أحبار يهود وعلماء النصارى عمّا انتهى إليهم مِن العلوم التي تلقّوها عن الأنبياء صلوات الله عليهم، ونقلوها مِن صحفهم، ومُخبّئات كتبهم وذخائر أسرارهم(78). وثبت عن النبي ﷺ أنّه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشّر بي عيسى بن مريم(79).

---

(74) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 261.

(75) ابن الجوزي، **الوفا بأحوال المصطفى** ﷺ، مج. 1، ص. 45.

(76) انظر مثلاً: أبا سعد النيسابوري، **مناهل الشفا ومناهل الصفا**، تحقيق: نبيل بن هشام الغمري آل با علوي، مكة، 2003، ج. 1، ص. 91؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، بيروت، 1978، مج. 1، ص. 286؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 2، ص. 56؛ الحلبي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 298؛ القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** ﷺ، تحقيق: محمد أمين قرة علي وآخرون، دمشق، 1972، ج. 1، ص. 027، 715؛ القاري، **شرح الشفا في شمائل صاحب الاصطفا** ﷺ، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، القاهرة، 1977، ج. 3، ص. 39.

(77) **دلائل النبوة**، مج. 2، ص. 56.

(78) النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، القاهرة، 1955، ج. 5، ص. 105.

(79) الإمام أحمد، **المسند (الموسوعة الحديثية)**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله التركي، بيروت، 1993، ج. 28، ص. 380-381، رقم: 17150، ج. 36، ص. 596، رقم: .22261 انظر كذلك: ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 124؛ ابن كثير، **السيرة النبوية**، مج. 1، ص. 287؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 1، ص. 82-85، أرقام: 14-.17

وقد آمن به في حياته كثير مِن اليهود والنصارى: بعضهم في مكة وبعضهم في المدينة، وكثير مِنهم كانوا خارج مكة والمدينة(80). وعن ابن عبّاس: لما بُعث النبي ﷺ ولم يبقَ مِنهم [أي الرهبان والمتعبدون] إلا القليل انحطّ صاحب الصومعة مِن صومعته، وجاء السائح مِن سياحته وصاحب الدير مِن ديره فآمنوا به وصدّقوه(81).

أفراد نصارى مِن يثرب:

أولاً: أبو عامر الراهب:

يُعدّ أبو عامر وجهاً نصرانياً بارزاً بين نصارى يثرب(82). وهو عبد عمرو بن صَيْفي بن النعمان، أحد شرفاء الأوس المطاعين، وكان يسامي عبد الله بن أُبيّ بن سلول الخزرجي. وكان يألف اليهود، ويسألهم عن الدين، ويخبرونه بصفة رسول الله ﷺ، وأن يثرب دار هجرته، ثمّ ذهب إلى الشام فسأل النصارى فأخبروه بصفة النبي ﷺ وأن مهاجره يثرب، فرجع أبو عامر وادّعى أنّه على دين الحنيفية، وأقام مترهّباً ولبس المسوح، وزعم أنّه ينتظر خروج النبي ﷺ، وقيل عنه: إنّه كان وصّافاً لرسول الله ﷺ قبل مبعثه. ولما قدِم الرسول ﷺ المدينة أتاه أبو عامر فقال له: ما هذا الدين الذي جئتَ به؟ فقال: جئتُ بالحنيفية دين إبراهيم. قال: فأنا عليها، فقال له رسول الله ﷺ: إنك لستَ عليها. قال: بلى؛ إنّك أدخلتَ يا محمد في الحنيفية ما ليس فيها. قال: ما فعلتُ ولكني جئتُ بها بيضاء نقيّة. قال أبو عامر: الكاذب أماته الله طريداً غريباً وحيداً، قال رسول الله ﷺ: أجل، فمَن كذب ففعل الله تعالى ذلك به. فكان أبو عامر كذلك إذ خرج مِن المدينة إلى مكة في بضعة عشر رجلاً مِن أتباعه مفارقاً المسلمين. فلمّا افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج أبو عامر إلى الطائف، فلمّا أسلم أهل الطائف لحق بالشام فمات بها طريداً وحيداً. وقد توفي أبو عامر عند الإمبراطور هرقل

(80) ابن تَيْميَّة، **الجواب الصحيح لِمَن بدّل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز بن إبراهيم العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، الرياض، 1993، مج. 1، ص. 166-167.

(81) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 14، ص. 290-291.

(82) عرفان شهيد، **المرجع السابق**، ص. 429. انظر ما كتبه محمد حميد الله:
Hamidullah, M., "The Chistian Monk: Abu Amir of Medina", JPHS, 7 (1959), pp. 231-240.

بالشام في عام 10 هـ فاختلف كلّ مِن كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي وعلقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب في ميراثه فقضي به لكنانة. وقال هرقل لعلقمة: هما مِن أهل المدر وأنت مِن أهل الوبر(83). وكان أبو عامر يعرف بأبي عامر الراهب، فقال رسول الله ﷺ: لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق(84).

وورد في بعض الروايات التصريح بأنّه قد ترهّب في الجاهلية وتنصّر ولبس المسوح، وأنّه كان على دين هرقل(85). وكان لِبْس المسوح علامة مِن علامات الرهبنة والتنصّر(86). ويقال إن أبا عامر الراهب غادر المدينة في مجموعة مِن الرجال ما بين خمسة عشر وخمسين رجلاً، وقيل: كان معه خمسون غلاماً(87). وقيل: خرج في جماعة مِن فتيان الأوس(88). كانوا اثني عشر رجلاً، وقيل: خمسة عشر(89). ويقال إنّه شجّع على بناء مسجد الضرار حين كان في الشام، وأرسل مِن هناك إلى المنافقين أن أعدّوا واستعدّوا بما استطعتم مِن قوة وسلاح، وطلب مِنهم بناء المسجد، وأخبرهم أنّه ذاهب إلى قيصر، وأنّه سيأتي المدينة بجند مِن الروم لإخراج المسلمين(90). وكانت بلاد الروم هي الملجأ للفارّين والراغبين في التحوّل للنصرانية(91).

(83) ابن الجوزي، **الوفا بأحوال المصطفى** ﷺ، مج. 1، ص. 43-44؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 177-178؛ أبو نعيم الأصفهاني، **دلائل النبوة**، تحقيق: محمد روّاس قلعجي وعبد البر عبّاس، بيروت، 1986، ج. 1، ص. 80-81، رقم: 41؛ الدياربكري، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، بيروت، د.ت.، ج. 1، ص. 28، 29؛ الطبري، **التاريخ**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت، 1969، ج. 3، ص. 140.

(84) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 177. وأشار محقّقا السيرة إلى ضعف إسناد هذا الحديث. انظر كذلك: الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، بيروت، 1960، مج. 1، ص. 142.

(85) ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت، 2001، مج. 3،ج. 5 ، ص. 23 ، الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 214. انظر كذلك: البلاذري، **أنساب الأشراف**، ص. 280.

(86) الرحبي الحنفي، **فقه الملوك مفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج**، تحقيق: أحمد عبيد الكبيسي، بغداد، 1973، ج. 1، ص. 480.

(87) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج. 2، ص. 104؛ أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. 8، ج. 15، ص. 126؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ص. 313؛ محمد بيومي مهران، **الحضارة العربية القديمة**، الإسكندرية، د.ت.، ص. 444.

(88) ابن عبد البر، **الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر**، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، 1991، ص. 147؛ أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. 8، ج. 15، ص. 126.

(89) ابن حجر العسقلاني، **العُجاب في بيان الأسباب**، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت، 2004، ص. 269.

(90) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، تحقيق: عبد الله بن يحيى السريحي، (المجمع الثقافي)، أبو ظبي، 2003، ج. 1، ص. 175؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 214.

(91) ابن حجر العسقلاني، **العُجاب في بيان الأسباب**، ص. 269؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج.3، ص. 654، 655.

ثانياً: قال جَعدة (أو الجعد) بن هانئ الحضرمي: إن رسول الله ﷺ بعثه إلى رجل نصراني في المدينة (وفي رواية إن النبي ﷺ بعث رجلاً وقيل: إنّه عمر بن الخطاب) يدعوه إلى الإسلام فإن أبى فعليه أن يقسم ماله نصفين، فأتاه فقسمه كذلك[92].

---

(92) ابن الأثير، **أُسد الغابة،** (طبعة دار الفكر)، بيروت، 1998، مج. 1، ص. 388، ابن حجر العسقلاني، **الإصابة في تمييز الصحابة،** تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، 1995، ج. 1، ص. 589، أورد أبو نعيم الأصفهاني هذه الرواية بهذا السند: حدّثنا محمد بن إسحاق، ثنا محمد بن عمرو بن إسحاق بن زبريق ثنا أبي، ثنا أبو علقمة نصر بن علقمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة أن أباه حدّثه عن نصر بن علقمة عن أخيه محفوظ عن ابن عائذ. **(معرفة الصحابة،** ج. 2، ص. 619.) ابن عائذ هو أبو عبد الله، وقيل: أبو عائذ عبد الرحمن بن عائذ الأزدي الثّمالي، ويقال: الكندي ويقال: اليحصبي. تابعي مشهور؛ بل هو مِن كبار علماء التابعين، وله مراسيل ذكره البخاري وابن شاهين والبَغَوي والطبراني في الصحابة، ولا يصح ذلك، وله عن النبي ﷺ حديثان. وكان مِن حملة العلم مِن أصحاب النبي ﷺ وأصحاب أصحابه. نزل حمص، ويعدّ في تابعي أهل الشام. وروى عن جماعة مِن الصحابة مِنهم أبو ذر وعمرو بن عبسة وعبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر والمقدام بن معد يكرب. (انظر: ابن حِبّان، **كتاب الثقات،** تحقيق: إبراهيم شمس الدين وتركي فرحان المصطفى، بيروت، 1998، مج. 2، ص. 323-324؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة،** ج. 4، ص. 270، ج. 5، ص. 180-181؛ المؤلف نفسه، **تقريب التهذيب،** ص. 343؛ الخزرجي، **المصدر السابق،** مج. 2، ص. 169؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات 101–120، هـ.،** تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، 1994، ص. 460؛ المؤلف نفسه، **سِيَر أعلام النبلاء** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 2004، مج. 4، ص. 594.) ومحفوظ هو أبو جنادة محفوظ بن علقمة الحمصي، روى عن سلمان الفارسي، ويقال مرسل. وروى عنه: نصر بن علقمة وغيره، وثّقه يحيى بن معين، وقال عنه أبو زرعة: لا بأس به. ونصر هو أبو علقمة نصر بن علقمة الحمصي، روى عن جبير بن نفير وأخيه محفوظ. وثّقه النسائي. وروى عنه ابن ابن أخيه خزيمة بن جنادة بن محفوظ بن علقمة وبقيّة بن الوليد. (ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل،** مج. 6، ص. 482، 534؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب،** ص. 522، 560؛ ابن منده، **فتح الباب في الكنى والألقاب،** تحقيق: محمد الفاريابي، الرياض، 1996، ص. 120، 201؛ أبو أحمد الحاكم، **المصدر السابق،** ج. 3، ص. 143؛ البخاري، **التاريخ الكبير،** تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 2001، مج. 7، ص. 364، 406؛ الحسيني، **المصدر السابق،** ج. 3، ص. 1462، 1765؛ الخزرجي، **المصدر السابق،** مج. 3، ص. 174؛ الدارمي، **التاريخ،** ص. 213؛ الذهبي، **الكاشف،** ج. 3، ص. 101؛ 186 الحافظ المزِّي، **تهذيب الكمال،** ج. 27، ص. 288؛ ج. 29، ص. 353-354.) أبو بكر محمد بن عمرو بن إسحاق بن إبراهيم بن زريق الحمصي، روى عن أبيه. وهو حفيد المحدّث المعروف بابن زِبريق. قدم دمشق وحدّث بها، وتوفي عام 339 هـ. (انظر: ابن حِبّان، **كتاب الثقات،** مج. 5، ص. 69؛ ابن عساكر، **المصدر السابق،** ج. 55، ص. 4؛ ابن منده، **المصدر السابق،** ص. 120؛ البخاري، **التاريخ الكبير،** مج. 1، ص. 356.) وأمّا محمد بن إسحاق فهو الإمام المشهور الرحّال الجوّال أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده المتوفى بأصفهان عام 395 هـ. (انظر: ابن أبي يعلى، **طبقات الحنابلة،** تحقيق: أسامة ابن حسن وحازم علي بهجت، بيروت، 1997، ج. 2، ص. 142-143؛ ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القرّاء،** نشر: ج. برجستراسر، طبعة جديدة مصححة، بيروت، 2006، ج. 2، ص. 89؛ ابن عساكر، **المصدر السابق،** ج. 52، ص. 29-34؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء،** مج. 11، ص. 13-19؛ المؤلف نفسه، **تذكرة الحفّاظ،** تحقيق: زكريّا عميرات، بيروت، 1998، مج. 2، ص. 157-160.)

ثالثاً: رُوي أيضاً أن أبا الحصين الأنصاري السالمي (أحد بني سالم بن عوف) كان له ابنان، فقدِم تجّار قبل الإسلام من الشام إلى يثرب يحملون الزيت، فدعوهما إلى النصرانية فتنصّرا وذهبا معهم بالشام، ثم قدِما المدينة في نفر مِن النصارى بالطعام فأتاهما أبوهما ولزمهما، وقال: والله لا أدعكما حتى تسلما، فأبيا أن يسلما، فأتى أبو الحصين النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أَيَدْخلَ بعضي النار وأنا أنظر. وفي رواية قاله له: إنّهما قد ابتدلا النصرانية ألا استكرههما؟ فأنزل الله تعالى:«لا إكراه في الدين»، ولم يؤمر يومئذ بقتال، فوجد أبو الحصين في نفسه، فنزلت: «فَلا وربّك لا يؤمنون حتى يُحكّموك.....». (النساء: 65)[93].

رابعاً: ومِن الذين همّوا بالتنصر أبو قيس صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدي بن عامر بن غَنْم بن عدي النّجّاري الأنصاري. وكان رجلاً قد ترهّب في الجاهلية، ولبس المسوح وفارق الأوثان، واغتسل مِن الجنابة، وهمّ بالنصرانية ثمّ أمسك عنها، وعَبَدَ الله على دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام حتى قدِم النبي ﷺ المدينة فأسلم وهو شيخ كبير. ويقول في بيت ضمن قصيدة يمدح فيها رسول الله ﷺ حين قدِم المدينة مهاجراً:

أقول إذا صلّيتُ في كل بيعة
حنانيك لا تُظهر على الأعاديا

أو *أقول إذا أدعوك في كل بيعة*
تباركت قد أكثرتُ لاسمك داعيا

---

(93) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 82-83، ج. 7، ص. 77-78؛ ابن قدامة المقدسي، **الاستبصار في أنساب الأنصار**، تحقيق: علي نويهض، بيروت، 1971، ص. 200؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، تحقيق: عادل ابن يوسف العزازي، الرياض، 1998، ج. 2، ص. 619، رقم: 507؛ البَغَوِي، **التفسير**، ج. 1، ص. 349؛ الزمخشري، الكشّاف، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، 2001، ج. 1، ص. 331-332؛ الطبري، **التفسير**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج. 3، ص. 14، 15؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 5، ص. 102-103؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 74. ويحتمل أن غيرهما مِن أبناء الأنصار قد تنصّر قبل الإسلام، وهذا ما أشار إليه أبو حيان الأندلسي. (**التفسير الكبير المسمّى البحر المحيط**، بيروت، 1990، مج. 2، ص. 281.) وأشار محقّق **الكشّاف** إلى ضعفه. وقال أورده الواحدي عن مسروق مرسلاً ومن دون إسناد. وورد عن ابن عبّاس، أخرجه الطبري وفيه محمد بن أبي محمد شيخ ابن إسحاق وهو مجهول لا يعرف. وأخرج نحوه السدّي، وهذا معضل، وهذه الروايات لا تقوم بها حجّة. (ح. 148).

وقال أيضاً:

سـبّحـوا اللـه شَـرْقَ كـل صـبـاح
طـلـعتْ شـمسـه وكـل هـلال

ولـه شـمّـس الـنصـارى[94] وقاموا
كـل عـيـد لـربـهـم واحـتـفـال

ولـه الـراهب الحبـيس تـراه
رهـن بـؤس وكـان نـاعـم بـال[95]

والظاهر أن أبا قيس كان على النصرانية عند مجيء الإسلام[96].

خامساً: سَميّه أبو قيس صيفي بن الأسلت عامر بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرّة بن مالك بن الأوس، الشاعر الفارس. وكان قد ترهّب في الجاهلية وفارق عبادة الأوثان وهَمّ بالنصرانية ثم أمسك، وأنشأ له مكاناً للعبادة والخلوة. وكان قبل الإسلام يسأل اليهود عن دينهم، وكان يجالسهم ويحاورهم، ثمّ ذهب إلى الشام فنزل على الغساسنة فأكرموه ووصلوه، وسأل الرهبان والأحبار فدعوه إلى دينهم فامتنع، فقال له أحدهم: إن كنتَ تريد دين الحنيفية فهو مِن حيث خرجتَ. ومع ذلك فهو ليس حنيفياً. وقيل: إنّه أحد الذين رغبوا عن دينهم وعن اليهودية والنصرانية[97].

(94) يقول السهيلي: يعني دين الشمَامِسة؛ وهم الرهبان لأنّهم يشمّسون أنفسهم يريدون تعذيب النفوس بذلك في زعمهم. (**الروض الأُنف**، تحقيق: مجدي منصور بن سيّد الشورى، بيروت، ط. 1، ج. 1، ص. 363.) ومِن الجدير بالذّكر أن لفظة شمّاس في السريانية ليس لها علاقة بما ذكره السهيلي. انظر: Smith, J. P., op.cit., p. 585

(95) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 415، مج. 5، ص. 257؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 341-342؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي معوّض وعادل عبد الموجود، بيروت ، 1995، ج. 2، ص. 290-391؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 110-111؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 264-265؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، ج. 2، ص. 361-363. يعني الشاعر بقوله شرق كل صباح أي الضوء، وقوله: شمّس أي تعبّد، والشمّاس عابد النصارى، والحبيس الذي حبس نفسه عن اللذّات. (انظر: الخُشَنّي، **شرح السيرة النبوية رواية ابن هشام**، تصحيح: بولس برونله، بيروت، ب.ت.، ص. 137.)

(96) لويس شيخو، **شعراء النصرانية بعد الإسلام**، بيروت، 1967، ص. 7، 9.

(97) ابن أيبك الصفدي، **المصدر السابق**، ج. 16، ص. 341؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 277-278؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 24، ص. 248؛ ابن قدامة المقدسي، **الاستبصار في أنساب الأنصار**، ص. 271؛ 274.
Lecker, M., Muslims, Jews & Pagans, Leiden, 1995, p. 162.

ومِن أشعاره[98]:

لـو شـاء [أو فـلـولا] ربُّـنـا كـنّـا يـهـوداً
ومـا ديـن الـيـهـود بـذي شـكـول
ولـو شـاء [أو لـولا] ربُّـنـا كـنّـا نصـارى
مع الرهبان في جبل الخليل [أو الجليل]
ولـكـنّـا خُـلـقـنـا إذ خُـلـقـنـا
حـنـيـفـاً ديـنـنـا عـن كـل جـيـل

وبعد الهجرة قيل: هرب إلى مكة، واختُلِف في إسلامه؛ فقيل: إنّه أسلم يوم الفتح، وقيل: لم يسلم. وقيل: إنّهم سمعوه يوحّد عند الموت. والأرجح أنّه لم يسلم. وقيل: إنّه التقى وهو عائد مِن عند رسول الله ﷺ بعبد الله بن أُبيّ فقال له: خفتَ والله سيوف الخزرج، فقال: لا جرم والله لا أسلم حولاً، فمات في الحول، وقد توفي في ذي الحجة مِن سنة 2 هـ. وقيل: إنّه بقي إلى أيّام معركة الخندق[99].

سادساً: روى أنس بن مالك إنّه كان في المدينة رجل نصراني فأسلم، وكتب للنبي ﷺ ثمّ عاد نصرانياً، ولحق بأهل الكتاب، وادّعى إنّه كان يغيّر ما كان يمليه عليه رسول الله ﷺ. ولما توفي الرجل ودفنه أصحابه لَفظَتْه الأرض أكثر مِن مرّة فألقوه في العراء[100]. وقد أنكر

(98) **ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت الأوسي الجاهلي**، دراسة وجمع وتحقيق: حسن محمد باجوده، القاهرة، 1973، ص. 87. انظر كذلك: ابن أيبك الصفدي، **المصدر السابق**، ج. 16، ص. 343؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 24، ص. 251.

(99) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 437، مج. 5، ص. 258؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 278-279؛ ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص. 345؛ ابن سلاّم الجمحي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 227؛ ابن عبد البر، **الإستيعاب**، ج. 2، ص. 287، ج. 4، ص. 297-298؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 24، ص. 256؛ عبد القادر بدران، **تهذيب تاريخ دمشق**، بيروت، 1979، ج. 6، ص. 456-458؛ مغلطاي، **الإنابة إلى معرفة المختلف فيهم مِن الصحابة**، تحقيق: السيّد عزت المرسي وآخران، الرياض، 2000، ج. 1، ص. 295؛ Lecke, M., Muslims, Jews & Pagans, p.154. انظر كذلك الدراسة التي أعدّها حسن محمد باجوده في مقدّمة جمعه وتحقيقه لـ: **ديوان أبي قيس بن الأسلت**، ص. 3-10.

(100) البخاري، **الصحيح**، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، القاهرة، 2000، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ج. 2، ص. 403، رقم: 3617؛ مسلم، **الصحيح**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، 1997، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: صفات المنافقين وأحكامهم، ج. 4، ص. 451، رقم: 2781؛ الطحاوي، **شرح مشكل الآثار**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، 1994، ج. 8، ص. 239–240، 259–261. انظر كذلك: =

الطحاوي أن يكون هذا الرجل مِن قريش أو مِن الأنصار[101]. مع أن رواية أنس في صحيح مسلم وغيره تؤكّد أنّه كان مِن بني النجار[102]. كما تضيف روايات أخرى عن أنس في غير الصحيحين أن الرسول ﷺ كان يملي عليه: سمعياً، يكتب: سميعاً بصيراً، فيقول له النبي ﷺ: دعه، وإذا أملى عليه: عليماً حكيماً، كتب: عليماً حليماً. وإذا أملى عليه: غفوراً رحيماً، يكتب: عليماً حكيماً، فيقول له النبي ﷺ: اكتب كذا وكذا، اكتب كيف شئتَ. وكان هذا الرجل قد قرأ القرآن وجوّده، فرأى في نفسه عِظَماً، وأُعْجِب بها أيّما إعجاب، وافتخر على غيره. ولّما وصل هذا الكتاب إلى أهل الكتاب، قالوا: هذا كاتب محمد فأكرموه وأُعجِبوا به[103]. وكان هذا الرجل يكتب للنبي ﷺ رسائله الموجهة إلى الخارج وليس الوحي[104]. وقيل: إنّ اسمه كان السجل الذي كان كاتباً للرسول ﷺ[105].

= أبا يعلى الموصلي، **المسند**، تحقيق: حسين سليم أسد، بيروت/دمشق، 1986، ج. 7، ص. 22، رقم: 3919؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 19، ص. 247-248، رقم: 12215، ج. 21، ص. 43-44، رقم: 13324، ص. 193-194، رقم: 13572؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، 1983، ج. 13، ص. 305-306، رقم: 3725.

(101) الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 260.

(102) الإمام أحمد **المسند**، ج. 19، ص. 247، 248؛ رقم: 12215، 12216؛ عبد بن حُميد، **المنتخث**، تحقيق: مصطفى بن العدوي شلباية، الكويت، 1985، ج. 3، ص. 381، رقم: 1278.

(103) ابن بلبان الفارسي، **تقريب الإحسان تقريب صحيح ابن حِبّان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، بيروت، 1991، مج. 3، ص. 19-20، رقم: 744؛ الإمام أحمد **المسند**، ج. 19، ص. 247، 248؛ رقم: 12215، 12216، ج. 21، ص. 43، 193—194، رقم: 13324، 13573؛ البوصيري، **كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، الرياض، 1999، مج. 4، 231—232، رقم: 3469؛ الطيالسي، **المسند**، بيروت، ب.ت.، ص. 270، رقم: 2020؛ عبد بن حُميد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 382، رقم: 1280. يعلّق الشيخ أبو الخطّاب بن دحية على هذه الروايات بقوله: إن هذا الكاتب كان يكتب أمام الرسول ﷺ وهو يملي عليه: سميع عليم أو عزيز حكيم أو غير ذلك مِن خواتم الآي. ثم يشتغل رسول الله ﷺ ثم يستفسر عمّا كتب بعد فترة. ولّما ارتدّ هذا الرجل ادعى أن محمداً يكل إليه فيكتب ما شاء. ويقول ابن دحية أيضاً: اعلموا رحمكم الله أن مثل هذه الحكاية لا توقع في قلب المؤمن ريباً لعصمة رسول الله ﷺ؛ وإنّما هي حكاية عمّن ارتدّ وكفر بالله، وقد أجمعنا على إسقاط خبر المسلم المتّهم فكيف بكافر مبغض للدين مفترٍ على الله ورسوله. ولم يصح عن أحد مِن الصحابة رضي الله عنهم أنّه شاهد ما قاله وافتراه. (ابن دحية، **نهاية السولْ في خصائص الرسول محمد بن عبد الله** ﷺ، تحقيق: عبد الله عبد القادر الشيخ محمد نور الفادني، الدوحة، 1995، ص. 110-111.) وانظر كذلك تعليقات شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، **الصارم المسلول على شاتم الرسول** ﷺ، تحقيق: خالد عبد اللطيف السبع العلمي، بيروت، 1996، ص. 152، 154، 156.

(104) الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 240-241. انظر كذلك: ابن دحية، **المصدر السابق**، ص. 115. وانظر تعليق محقّقي مسند الإمام أحمد على هذا الحديث. ج. 19، ص. 248.

(105) ابن حديدة الأنصاري، **المصباح المضي في كتّاب النبي الأمّي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي**، تصحيح: محمد عظيم الدين، بيروت، 1985، ج. 1، ص. 105؛ سبط ابن العجمي، **التوضيح لُمبهمات الجامع الصحيح**، تحقيق: النّقّاش أشرف صلاح علي، بيروت، 2001، ص. 206.

وهو نفسه الذي قال عنه ابن الأثير: مجهول، ولم يعتبر بحديث ابن عبّاس وابن عمر أنّه كان للنبي ﷺ كاتب يقال له: السجل، فأنزل الله تعالى «يوم نطوي السماء كطيّ السجل للكتاب. (الأنبياء: 104)، وقال عن الحديث: هذا غريب، تفرّد به حمدان بن سعيد. وقال الحافظ الذهبي عن حمدان بن سعيد أحد رواة هذا الحديث: «أتى بخبر كذب عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: كان كاتب النبي ﷺ اسمه سِجِل، وقال أيضاً: خبره كذب. ثم يورد اسمه ضمن الصحابة في كتابه التجريد. وقال الثعلبي: هذا قول غير قوي؛ لأنّ كتّاب رسول الله ﷺ كانوا معروفين، ويرى أن لفظة «السجل» في الآية مشتقة مِن المساجلة وهي المكاتبة، وأصلها مِن السجل وهو الدلو. وتشدد الحافظ ابن كثير في رفض هذين الحديثين، وقال: هذا منكر جدّاً مِن حديث نافع عن ابن عمر لا يصحّ أصلاً، وكذلك حديث ابن عبّاس، وإن كان في سنن أبي داوود، وذكر أن جماعة مِن الحفّاظ صرّحوا بردّ هذا الحديث. ولم يوافق مع مَن ذكر السجل ضمن الصحابة، وقال: إنّه لا يُعرف مِن الصحابة أحد اسمه السجل. وقال: وقد عرضتُ هذا الحديث على شيخنا الحافظ الكبير أبي الحجاج المزي فأنكره جدّاً، وأخبرتُه أن شيخنا العلامة أبا العبّاس ابن تيمية كان يقول: هو حديث موضوع، وإن كان في سُنن أبي داوود. فقال شيخنا المزي: وأنا أقوله. وقد أفرد ابن كثير لهذا الحديث كتاباً أو رسالة بيّن فيه طرقه وعلله، ومَن تكلّم فيه مِن الأئمة. ويستدلّ الحافظ ابن كثير أيضاً على رفض هذا الحديث بأنّه ورد عن ابن عمر وابن عبّاس أنّهما قالا إن السجل هي الصحيفة. ويقول أيضاً إن مَن ذكر السجل ضمن الصحابة كأبي نعيم وابن الأثير إنّما ذكره إحساناً للظنّ بهذا الحديث أو تعليقاً على صحّته. ونقل ابن القيّم قول شيخ الإسلام ابن تيمية إن هذا الحديث موضوع. ورفض عبد الرزاق المهدي في تحقيقه لتفسيري ابن الجوزي وابن كثير هذا الحديث رفضاً قاطعاً، ورأى أنّه حديث موضوع، مصنوع مركب، وذكر أنّه ليس في الصحابة مَن اسمه السجل وإن أورده أبو نعيم وابن منده في الصحابة؛ فإنّهما يرويان الموضوع وكتبهما مشحونة بذلك. واستشهد بأقوال عدد مِن العلماء الذين ردّوا هذا الحديث، وحكموا بوضعه. ولم يتفق الحافظ ابن حجر العسقلاني مع مَن ضعّف هذا الحديث، ومَن أشار إلى وضعه، وصحّح

الحديث لتعدّد طرقه. وعلّق على قول الذهبي: وهذا المتن لا يجوز أن يطلق عليه الكذب؛ فقد رواه النسائي في التفسير وأبو داوود في السنن مِن طريق أخرى عن ابن عبّاس. وأمّا هذا الطريق فقد تفرّد بها حمدان بن سعيد، ولم أَرَ مَن ضعّفه قبل المؤلف أي الذهبي. ووافقه الصالحي الذي رأى أن موقف الحافظ ابن كثير «مكابرة»[106]. ويبدو أنّه رجل آخر لا يُعرف

(106) للاطّلاع على الحديث المروي عن ابن عمر وابن عبّاس، انظر: أبا داوود، **السنن**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا/بيروت، 1980، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في اتّخاذ الكاتب، ج. 3، ص. 132، رقم: 2935؛ أبا نعيم، **معرفة الصحابة**، ج. 3، ص. 1453-1454؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 9، ص. 38؛ الترمذي، **السنن**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، 1999، كتاب: **التفسير**، باب: سورة الأنبياء: 2: قال تعالى: يوم نطوي السماء كطي السجل، الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1997، ج. 8، ص. 171؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 10، ص. 397، 398؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بغداد، 1970، ج. 10، ص. 187، رقم: 11272، 11273. لمزيد مِن التفاصيل، انظر: الآلوسي، **روح المعاني**، قراءة وتصحيح: محمد حسين العرب، بيروت، 1997، مج. 10، ص. 148؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 192؛ ابن بَرِّي، **في التعريب والمعرّب**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، بيروت، 1985، ص. 110؛ ابن الجوزي، **زاد المسير في علم تفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، 2001، مج. 3، ص. 216، ح. 1000؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 28-29؛ المؤلف نفسه، **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، تحقيق: سعيد عبد الرحمن القزقي، عَمان، 1985، مج. 5، ص. 259؛ المؤلف نفسه، لسان الميزان، ج. 3، ص. 284؛ ابن حديدة الأنصاري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 104-105؛ ابن عسكر، **التكميل والإتمام**، تحقيق: حسن مروة، دمشق، 1997، ص. 270-271؛ ابن عطيّة، **المحرر الوجيز**، تحقيق: عبد الله الأنصاري وآخرون، الدوحة، 1989، ج. 10، ص. 213؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 3، ص. 173، 370؛ المؤلف نفسه، **السيرة النبوية**، ج. 4، ص. 586، 486، 683؛ المؤلف نفسه، **التفسير**، مج. 4، ص. 398، ح. 3؛ المؤلف نفسه، **الفصول في سيرة الرسول** ﷺ، تحقيق: محمد الخطراوي ومحيي الدين مستو، دمشق/المدينة، 1402—1403 هـ، ص. 256؛ الأُدكاوي، **ترويح أولي الدماثة**، تحقيق: مروان العطيّة ومحسن خرابة، الرياض، 2001، ج. 2، ص. 40-44؛ البلنسي، **تفسير مبهمات القرآن**، تحقيق: عبد الله عبد الكريم محمد، بيروت، 1991، مج. 2، ص. 225-227؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 311؛ خلدون الأحدب، **زوائد تاريخ بغداد على الكتب السّتّة**، دمشق، 1996، مج. 6، ص. 672، 572، 272، رقم: 1202؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 209؛ المؤلف نفسه، **المُغني في الضعفاء**، مج. 1، ص. 290؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 2، ص. 374؛ السهارنفوري، **بذل المجهود في حَل أبي داوود**، بيروت، 1973، ج. 8، ص. 154؛ السهيلي، **التعريف والإعلام**، تحقيق: عبد أ. مهنّا، بيروت، 1987، ص. 115-116؛ الصالحي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوّض، بيروت، 1993، ج. 11، ص. 384؛ الطبري، **التفسير**، ج. 16، ص. 524، 424؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. 6، ج. 11، ص. 357؛ محمود مصطفى الأعظمي، **كُتّاب النبي** ﷺ، بيروت، 1974، ص. 64-65. وهناك عدد مِن مؤلفي السيرة ممن أورد اسم السجل ضمن **كُتّاب النبي** ﷺ من دون الإشارة إلى هذا الحديث أو مناقشته، انظر مثلاً: ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 322؛ الحلبي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 422-423؛ مغلطاي، **الإشارة إلى سيرة سيّدنا محمد المصطفى** ﷺ، تحقيق: آسيا كليبان علي بارح، بيروت، 2002، ص. 272؛ المؤلف نفسه، **مختصر السيرة النبوية**، 112؛ النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، تحقيق: مصطفى =

اسمه[107]. وقد فرّق بعضهم بين السجل وبين هذا الرجل النجّاري الذي تنصّر بعد إسلامه وبعد أن كان يكتب للنبي ﷺ[108].

سابعاً: أخرج أبو داود في سننه في كتاب الجهاد، باب: في الجاسوس الذمّي أن رسول الله ﷺ أمر بقتل فرات بن حيّان لأنّه كان عيناً لأبي سفيان، فلمّا مرّ بحلقة مِن الأنصار قال: إنّي مسلم، فلمّا بلغ خبر إسلامه للنبي ﷺ عفا عنه، وقال فيه: إنّ مِنكم رجالاً نكلُهم إلى إيمانهم مِنهم فرات بن حيّان. ويعلّق السهارنفوري على هذا الحديث بقوله: «ومطابقة الحديث بالباب غير ظاهرة؛ لأنّ المصنّف عقد الباب في الجاسوس الذمّي، وفرات بن حيّان لم يكن ذمّيّا حين أُسِر بل كان حربيّاً لأنّه كان جاسوساً لأبي سفيان»[109]. وكان مِن أعلم الناس بالطريق. وكان شريفاً وهو الذي كان يخفر أبا سفيان في سفره. وكان جاسوسه في حروبه. وذُكر أن فراتاً كان ممن هجا رسول ﷺ ثم مدحه فقبِل مِنه ﷺ. وورد عن علي أنّه أُتي النبي ﷺ بفرات بن حيّان يوم الخندق، وكان عيناً للمشركين، فأمر بقتله ثم عفا عنه

= عبد القادر عطا، بيروت، 2007، مج. 1، ص. 35. ومِن المؤلّفين من لم يذكر السجل نهائيّاً أو يدرجه ضمن **كُتّاب النبي ﷺ**، انظر مثلاً: ابن تغري بردي، **مورد اللطافة**، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، 1997، مج. 1، ص. 37-38؛ ابن الجوزي، **المُجتبى مِن المُجتنى**، تحقيق: أيمن عبد الجابر البحري، القاهرة، 1999، ص. 40؛ ابن قيّم الجوزية، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: مصطفى عطا، بيروت، 1998، مج. 1، ص. 74؛ الأنصاري التلمساني، **الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابه العشرة**، تحقيق: محمد ألتونجي، (مركز زايد للتراث والتاريخ)، العين، 2001، ج. 2، ص. 92؛ الجهشياري، **كتاب الوزراء والكتّاب**، تحقيق: مصطفى السقّا وآخران، القاهرة، 1980، ص. 12-13؛ الطبري المكي، **كتاب خلاصة سيرة سيّد البشر ﷺ**، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي، مكة، 1997، ص. 164؛ القضاعي، **عيون المعارف وفنون الخلائف (التاريخ)**، تحقيق: جميل عبد الله المصري، مكة، 1995، ص. 237-238.

(107) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، 1989، ج. 6، ص. 775؛ سبط ابن العجمي، **التوضيح**، ص. 206؛ العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، القاهرة، 1972، ج. 13، ص. 215. انظر كذلك: القاري، **مِن مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، بيروت، 1970، مج. 5، ص. 459.

(108) ابن سيّد النّاس، **عيون الأَثَر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، مج. 2، ص. 395، 396. والظاهر أن الاسم لا علاقة له برجل معيّن إذا نظرنا إلى اللفظة نظرة لغوية بحتة؛ ولا سيما أنّها معروفة في اللغة السريانية بصيغة «شيجيليون» بمعنى الورقة أو الشهادة. وهي في الأصل يونانية مِن؟؟ ، وهي في اللاتينية sigillum. انظر:

Jeffey, A., The Foeign Vocabulay of the Qu'an, Leiden, 2007, pp. 163-164.

(109) **المصدر السابق**، ج. 12، ص. 174.

بعدما علم بإسلامه[110]. وقيل: إنّه أُسر إثر غارة لسَريّة بقيادة زيد بن حارثة على إحدى عِير قريش، وكان فرات دليل القافلة. وذلك في شهر جمادى الآخرة مِن السنة الثالثة للهجرة[111]. وكان حذقه ومهارته في الإرشاد سبباً جعل حسّان بن ثابت يعرّض به ويهدد بقتله إن أمسكه المسلمون، في قوله:

فإن نلقَ في تطوافنا والتماسنا

فرات بن حيّان يكن رهن هالك[112]

وقد قال النبي ﷺ ذلك عن فرات لما علِم صدق نيّة الرجل وإخلاصه بطريق الإلهام أو الوحي[113]. واستُدِلّ بهذا الحديث على جواز قتل الجاسوس الذمّي[114]، وصرّح الشوكاني أن فرات بن حيّان كان ذمّيّاً[115]. ووضع البيهقي هذا الحديث تحت باب: ما يحرم به الدم مِن الإسلام زنديقاً كان أو غيره[116] وذكر مجد الدين ابن تيمية هذا الحديث في باب قتل الجاسوس إذا كان مستأمناً أو ذميّاً[117]. ويتّضح مِن نَسَبِهِ وهو: فرات (الفرات) بن حيّان بن عبد العزى بن حيّة بن حبيب بن ربيعة بن سعد بن عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل[118]، وكان بنو عجل نصارى[119].

---

(110) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 5، ص. 273؛ ابن الكلبي، **جمهرة النسب**، تحقيق وخط: محمود فردوس العظم، دمشق، 1983، ج. 2، ص. 284؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 31، ص. 299، رقم: 18965؛ البنّا الساعاتي، **الفتح الربّاني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، القاهرة، 1970، 22، ص. 345؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 5، ص. 208، رقم: 9396.

(111) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 48؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 185-186؛ أبو الحسن الندوي، **السيرة النبوية**، دمشق، 2004، ص. 496؛ أبو نعيم، **معرفة الصحابة**، ج. 4، ص. 2293-2294.

(112) ابن إسحاق، **المصدر السابق**، ص. 296، فقرة: 500. انظر كذلك: الخُشَنّي، **المصدر السابق**، ص. 211.

(113) البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 13، ص. 112.

(114) صدّيق بن حسن القنوجي، **الروضة النديّة شرح الدرر البهيّة**، بيروت، 1988، ج. 2، ص. 347؛ عبد الكريم زيدان، **أحكام الذمّيين والمستأمنين في دار الإسلام**، بغداد، 1963، ص. 242؛ العظيم آبادي، **عون المعبود شرح أبي داود**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة، 1969، ج. 7، ص. 314.

(115) الشوكاني، **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار مِن أحاديث سيّد الأخيار**، بيروت، 1992، مج. 4، ج. 8، ص. 7، 8.

(116) **السنن الكبرى**، ج. 8، ص. 195.

(117) **المنتقى مِن أخبار المصطفى** ﷺ، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، 1978، مج. 2، ص. 807.

(118) ابن خيّاط، **كتاب الطبقات**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الرياض، 1982، ص. 132.

(119) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج. 2، ص. 266؛ أحمد عادل كمال، **الطريق إلى المدائن**، بيروت، 1977، =

ثامناً: وفي قصّة كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين خُلّفوا عن غزوة تبوك؛ أنّه بينما كان يمشي في السوق أتى نبطي مِن نبط الشام، وفي رواية فإذا بنصراني جاء بطعام، يسأل عنه، يقول: من يدلّ على كعب بن مالك؟ فأشار الناس إلى كعب، فلما جاءه دفع له كتاباً مِن ملك غسّان، مكتوباً على شقّة مِن حرير، وفيه: أمّا بعد، فإنّه بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فَالحق بنا نواسك، فلمّا قرأ كعب الكتاب قال: وهذا مِن البلاء أيضاً، قد بلغ بي ما وقعتُ فيه أن طمع فيّ رجل مِن أهل الشرك. فقام وأحرق الكتاب(120). وفي رواية «فدفع إليّ كتاباً مِن بعض قومي بالشام أنّه قد بلغنا ما صنع بك صاحبك وجَفْوَته عنك فَالحَق بنا، فإنّ الله لم يجعلك بدار هوان ولا دار مضيعة، نواسك في أموالنا»(121). والملك الغسّاني هو جبلة بن الأيهم، وقيل: هو الحارث بن أبي شمر(122).

تاسعاً: رُوي أن أسقف الحيرة عدي بن حنظلة بن عدي بن عمرو بن ثعلبة العبادي التوخي لما بُعث النبي ﷺ أوفد خمسة مِن أتباعه النصارى أحدهم ولده كعب إلى المدينة، وكان كعب شريك عمر بن الخطاب في الجاهلية في التجارة. وقد التقى الخمسة بالنبي ﷺ، وأقاموا أيّاماً يسمعون القرآن، ولا أحد ينكر عليهم وجودهم في المدينة حتى توفي رسول الله ﷺ، فتشكك أربعة في أمر الإسلام وقالوا: لو كان نبياً ما مات، ولكن كعباً أقام في المدينة لا مسلماً ولا نصرانياً، ثم أسلم في خلافة أبي بكر. وفي رواية أنّه أسلم ومَن معه ثم عادوا إلى الحيرة، وهناك بلغتهم وفاة النبي ﷺ فارتاب أصحابه بينما هو ثبت على الإسلام، وأتى المدينة في خلافة أبي بكر(123).

= ص. 232، 236؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 596؛ محمد أحمد باشميل، **القادسية ومعارك العراق**، القاهرة، 1985، ص. 115؛ Timingham, J., op.cit., p. 284

(120) مسلم، **الصحيح**، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ج. 4، ص. ،427 رقم: 53 (2769). انظر كذلك: ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 150-151؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء** مج. 1، ص. 487.

(121) ابن أبي شيبة، **كتاب المغازي**، تحقيق: عبد العزيز العمري، الرياض، 1999، ص. 400.

(122) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 8، ص. 152؛ سبط بن العجمي، **تنبيه المُعلِم بمبهمات صحيح مسلم**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، الرياض، 1994، ص. 451.

(123) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 172-173؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة** ، ج. 5، ص. 450، 451؛ ابن قانع، **معجم الصحابة**، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، مكة، 1998، ج. 12، ص. 4463؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 5، ص. 2375-2377، رقم: 2504؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 31-32؛ السيوطي، =

عاشراً: روى البيهقي[124] عن سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جدّه أن النبي ﷺ كتب لأهالي نجران يدعوهم إلى الإسلام. ولم أتمكّن مِن معرفة مَن هو سلمة بن عبد يشوع هذا، وهل كان أبوه وجدّه مِن سكان المدينة أم مِن أهالي نجران؟ ومن الجدير بالذِكر أن سلمة نفسه كان نصرانياً فأسلم. وذكر ابن قطلوبغا أنه لم يقف على ذكر لسلمة ولأبيه ولا جدّه»[125].

حادي عشر: روى بعض المفسّرين في تفسير قوله تعالى: «يا أيّها الذين آمنوا لا تتّخذوا دينكم هزواً ولِعباً مِن الذين أُوتُوا الكتاب مِن قبلكم والكفّار أولياء واتّقوا الله إن كنتم مؤمنين. وإذا ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هُزواً ولعباً ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون» [المائدة: 57، 58] أنّها نزلت في رجل مِن النصارى بالمدينة كان إذا سمع المؤذّن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله، قال: حُرّق الكاذب، فدخل خادمه ذات ليلة بنار فتطايرت مِنها شرارة فاحترق البيت واحترق هو وأهله[126]. وقوله: «هو وأهله» تشير إلى عائلة نصرانية، ولكن لا نعلم اسم هذا الرجل أو أفراد أسرته. وعن ابن عبّاس قال في سبب نزول هذه الآية: كان منادي رسول الله إذا نادى بالصلاة وقام المسلمون إلى الصلاة قالت اليهود والنصارى: قد قاموا، لا قاموا، وضحكوا مِنهم[127] وذكر الماتُريدي[128] في تفسير قوله تعالى: «... وإذا ناديتم إلى الصلاة اتّخذوها هُزواً ولعباً ذلك بأنّهم قوم لا يعقلون» يُخبر الله عزّ وجلّ نبيّه ﷺ غاية سفههم بصنيعهم إذا نودي إلى الصلاة؛ لأنّه ذُكر في القصّة أنّهم إذا سمعوا المنادي يقول:

= **دُر السحابة فيمن دخل مصر مِن الصحابة**، تحقيق: خالد عبد الفتّاح شبل، بيروت، 1997، ص. 97-98. انظر كذلك: جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 596-597.

(124) **دلائل النبوة**، مج. 5، ص. 292.

(125) ابن قُطْلُوبُغَا، **كتاب مَن روى عن أبيه عن جدّه**، تحقيق: باسم فيصل الجوابرة، الكويت، 1988، ص. 256. وقد رُويت هذه الحادثة عن رجل مِن اليهود وليس مِن النصارى. (السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 6، ص. 275.) وسمّاه ابن حجر العسقلاني أبا عبد يسوع. (**الإصابة**، ج. 7، ص. 221.)

(126) ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسامة محمد الخطيب، الرياض، 1997، مج. 4، ص. 1163-1164؛ البَغَوِي، **التفسير**، ج. 2، ص. 65؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 536؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 365؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 164. والقصّة مِن مراسيل السدّي.

(127) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 364.

(128) **تفسير القرآن العظيم (تأويلات أهل السنّة)**، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، بيروت، 2004، مج. 2، ص. 50.

أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال رجال مِن النصارى، حُرّق الكاذب، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين مِن هذه الأديان أقلّ حظّاً في الدنيا والآخرة مِنهم، يعنون محمداً ﷺ وأصحابه، فدخلت خادمتهم ليلةً مِن الليالي بنار وهم نيام، فسقطت شرارة فحرقت البيت وأهله. ويذكر القاضي عبد الجبّار: أنّه عندما بدأت تنتشر أخبار هجرة المسلمين مِن مكة إلى المدينة مشى اليهود إلى الأوس والخزرج وقالوا لهم: لقد جلبتم على أنفسكم باتّباع هذا الرجل الضلال والبلاء العاجل بمعاداة الأمم، ولو كنتم يهوداً لناظرناكم. وقالت النصارى لهم: مثل ذلك، ورغّبوهم في النصرانية وهدّدوهم بنصارى العرب وبملوك الروم، وأكثروا في ذلك وهوّلوا الأمر عليهم(129).

ثاني عشر: غلمان النبي ﷺ: مِن خلال تَتَبّع هؤلاء الغلمان يتّضح أنهم قدِموا من قبائل ومناطق وبلدان كانت متأثّرة بالنصرانية، أو أنّهم كانوا ينتمون إلى بلدان نصرانية معروفة، وكانوا على نصرانيتهم ثم أسلموا بعد مجيئهم إلى المدينة. ولا يستبعد أن بعضهم قد خَدَمَ النبي عليه الصلاة والسلام وهم على دينهم في بداية أمرهم، ومما يدلّ على ذلك أن غلاماً يهوديّاً (قيل: إن اسمه عبد القدوس) كان يخدم النبي ﷺ. ولمّا مرض الغلام زاره ﷺ وكان يحتضر، وكان والده يقرأ عليه أجزاء مِن التوارة عند رأسه، فدعاه النبي عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام فنظر الغلام إلى أبيه فقال له: أطعْ أبا القاسم، فأَسْلمَ قبل وفاته. وفي إحدى روايات الحديث أن هذا الفتى كان مِن جيران النبي عليه الصلاة والسلام، وأنّه لا بأس بخلقه. وكان يضع للنبي ﷺ وضوءه ويناوله نعليه(130). ومِن هؤلاء الغلمان والموالي: مدعم

---

(129) **تثبيت دلائل النبوة**، تحقيق: عبد الكريم عثمان، بيروت، 1966، ج. 2، ص. 401.

(130) البخاري، **الصحيح**، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلّى عليه...، ج. 1، ص. 317، رقم: 1356، كتاب: المرضى، باب: عيادة المشرك، ج. 4، ص. 8، رقم: 5657؛ النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، 2001، ج. 7، ص. 55، رقم: 7458، ج. 8، ص. 9، رقم: 8534. انظر كذلك: أبا داوود، **السنن**، كتاب: الجنائز، باب: في عيادة الذمّي، ج. 3، ص. 185؛ أبا يعلى، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 93، رقم: 3350؛ ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 7، ص. 227، رقم: 2960، ج. 11، ص. 242، رقم: 4774؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 20، ص. 186-187، رقم: 12792، ج. 21، ص. 78؛ البخاري، **الأدب المفرد**، مج. 1، ص. 271، رقم: 524؛ الحاكم، **المستدرك**، بإشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، 1980، ج. 1، ص. 363، ج. 4، ص. 291؛ سبط ابن العجمي، **التوضيح**، ص. 93؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 10، ص. =

الذي أهداه للنبي ﷺ رفاعة الجذامي حين وفد في عشرة من قومه على النبي ﷺ قبل خروجه إلى خيبر. وهو الغلام نفسه الذي غلّ شملة في غزوة خيبر، وقد أصابه سهم طائش في وادي القرى فمات، ومدعم هذا مِن مولّدي حسمى جنوب بلاد الشام. كما كان للنبي ﷺ غلام آخر اسمه كركرة، وكان نوبياً أسود، أهداه له هوذة بن علي الحنفي، وقد غلّ هذا عباءة[131]. وكان مِن موالي الرسول ﷺ غلام نوبي يدعى أبا لقيط، قيل: إنّه كان يأكل الذباب، وغلام نوبي أو حبشيّ آخر يدعى رباحاً، اشتراه النبي ﷺ مِن وفد عبد القيس لما قدِموا عليه، وآخر يدعى يساراً[132]. وهذا الوفد لمّا قدِم المدينة كان على النصرانية[133]. وقيل: إنّه كان للنبي ﷺ موليان حبشي ونبطي، وقيل: قبطي[134].

وعندما أرسل النبي ﷺ للمقوقس حاكم مصر يدعوه إلى الإسلام لم يسلم؛ ولكنّه ردّ برفق وأهدى للنبي ﷺ مارية القبطية بنت شمعون وأختها سيرين، وقيل: إن أمّهما كانت

= 315-316، رقم: 19219؛ القاري، **مِن مرقاة المفاتيح،** مج. 5، ص. 386. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه. وعلّق الحافظ ابن بَشْكُوَال على كون اسم الغلام اليهودي عبد القدّوس بقوله: روينا ذلك عن شيوخنا بإسنادهم إليه، وهو غريب مِن طريقه، وما وجدناه عند غيره، ولا أعلمه في الصحابه. (انظر: **كتاب الغوامض والمبهمات،** تحقيق: محمود مغراوي، جدّة، 1994، مج. 2، ص. 489.) يعلّق الشيخ محمد رشيد رضا على زيارة النبي للغلام اليهودي أن الغلام وأباه قد استعظما هذه الزيارة، وعداها تكريماً لهما. (**فتاوي الإمام محمد رضا،** جمع وتحقيق: صلاح الدين المنجد ويوسف ق. خوري، بيروت، 1970، مج. 1، ص. 82.)

(131) أبو سعد النيسابوري، **المصدر السابق،** ج. 3، ص. 267؛ الزرقاني، **شرح موطّأ الإمام مالك،** (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف - الإمارات)، الشارقة، 1992، ج. 2، ص. 471، 472؛ الأنصاري التلمساني، **المصدر السابق،** ج. 2، ص. 90؛ الكاندهلوي، **أوجز المسالك إلى موطّأ مالك،** تحقيق: تقي الدين الندوي، أعظم جراه يوبي (الهند)، 2003، ج. 9، ص. 303، 304، 309—310.

(132) أبو سعد النيسابوري، **المصدر السابق،** ج. 3، ص. 269؛ حمّاد بن إسحاق، **تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها،** تحقيق: أكرم ضياء العمري، ب.ب.، 1984، ص. 110-111؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة،** مج. 1، ص. 175، مج. 2، ص. 198؛ النويري، **المصدر السابق،** ج. 18، ص. 230.

(133) ابن خلدون، **المصدر السابق،** مج. 4، ص. 833.

(134) أبو يعلى، **المصدر السابق،** ج. 7، ص. 171، رقم: 1391 (6414)؛ الطبراني، **الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني،** تحقيق: شكور محمود الحاج أمرير، بيروت/عَمان، 1985، ج. 1، ص. 344-345، رقم: 573؛ المؤلف نفسه، **المعجم الأوسط،** تحقيق: أيمن صالح شعبان وسيّد أحمد إسماعيل، القاهرة، 1996، مج. 8، ص. 179، رقم: 8210. وقال الصالحي عن مولى النبي عليه الصلاة والسلام، الحبشي والقبطي: رواه الطبراني، ورجاله ثقات. (**المصدر السابق،** ج. 11، ص. 411.) وورد في بعض المصادر: نبطي بدلاً عن قبطي. (انظر مثلاً: الأنصاري التلمساني، **المصدر السابق،** ج. 2، ص. 91.)

رومية، فقدمتا المدينة وهما على دينهما، ثم عرض عليهما النبي ﷺ الإسلام فأسلمتا، فتسرّى بمارية وأهدى سيرين لشاعره حسّان بن ثابت[135]. وقيل: إن المقوقس أهدى النبي ﷺ أربع جوارٍ، مارية وأختها سيرين وقيسر والأخرى اسمها غير معروف. وقد وهب النبي عليه الصلاة والسلام قيسر لجهم بن قيس العبدي، (أو هو جهم بن حذيفة العبدري) وهي أم ولده زكريا. والأخرى قيل: وهبها عليه الصلاة والسلام لمحمد بن مسلمة، وقيل: دحية بن خليفة الكلبي. وقيل: إن مابور هو أخو مارية، وقيل: هو ابن عمّها. قيل: إنّه أسلم ومات ودُفن في البقيع، وقيل: إنّه لم يسلم وظلّ على نصرانيته، وكان خصيّاً[136]، والأرجح أنّه أسلم بعد مدّة مِن وصوله إلى المدينة كبقيّة غلمان النبي عليه الصلاة والسلام. ويحتمل أن الجاريتين الأخريين كانتا خادمتين لمارية وسيرين[137]، إذ ورد في إحدى الروايات عن أم المؤمنين عائشة أن مارية كانت مِن بنات الملوك[138]. وكان لمارية جارية تدعى أم أيمن[139]، ويحتمل أنّها قدمت معها مِن مصر. وكان رسول المقوقس إلى رسول الله ﷺ رجل يدعى جبر بن عبد الله (أو ابن عبد) القبطي، أسلم بعد ذلك[140]. وقيل: إن المقوقس أرسل للنبي عليه الصلاة والسلام رسولاً آخر يدعى يعقوب[141]. وقيل: إن غلاماً قبطيّاً آخر أتى مع مارية مِن مصر

---

(135) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 111-112؛ الطبري، **التاريخ**، ج. 3، ص. 169؛ السيوطي، **دُر السحابة**، ص. 126؛ المقريزي، **إمتاع الأسماع**، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، بيروت، 1999، مج. 6، ص. 131، 132. انظر كذلك: Armstrong, K., Mohammad: Prorhet for our Time, London, 2006, p. 196.

(136) ابن بَشْكُوَال، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 215 ،511؛ ابن سيّد النّاس، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 394؛ ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق: محمد صبيح، القاهرة، 1974، ص. 42، 43؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 5، ص. 325؛ الدياربكري، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، بيروت، ب.ت.، ج. 2، ص. 38؛ المقريزي، **إمتاع الأسماع**، مج. 6، ص. 328؛ السيوطي، **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، تحقيق: خليل المنصور، بيروت، 1997، مج. 1، ص. 83-84، 85.

(137) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 4، ج. 7، ص. 72 .

(138) أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 6، ص. 3248.

(139) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 362؛ ابن رَاهَوَيْه، **المسند**، تحقيق: عبد الغفور عبد الحقّ حسين بُر البلوش، المدينة، 1990، ج. 5، ص. 155، رقم: 2276. وقال عنه محقّق **المسند**: وسنده مرسل.

(140) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 362؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 561؛ ابن عبد البر، **الإستيعاب**، ج. 1، ص. 303؛ ابن القيسراني، **الأنساب المتّفقة**، تحقيق: ب. دي جونج، لوجدوني باتافوروم، 1865، ص. 118؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 2، ص. 556؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 76؛ السيوطي، **دُر السحابة**، ص. 40.

(141) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 6، ص. 538؛ ابن القيسراني، **الأنساب المتّفقة**، ص. 118.

يدعى صالحاً القبطي، ولم يهدِهِ له المقوقس بل تبع مارية مِن قريتها[142]. وذكر بعضهم أن مارية نشأت مع أختها سيرين في قصر المقوقس، وتأدّبت بالآداب النصرانية، وقرأت الكتب الدينية وحفظت تعاليم الكنيسة القبطية وتطبّعت بها، وسافرت إلى الحجاز في ثوب راهبة. وأن المقوقس كلّفها بالتعرّف على أحوال النبي ﷺ والتجسّس عليه، وتبليغ المقوقس بكلّ أخبار المدينة. وأنّه كان مع الوفد طبيباً قبطيّاً، ولكن الرسول ﷺ ردّه معتذراً بأنّه لا حاجة للعرب إلى طبّه؛ لأنّهم يراعون الحِميَة في طعامهم. وقد شعر النبي عليه الصلاة والسلام بأنّ هذا الطبيب لم يأتِ إلا لتنفيذ مهمّة فيها غدر وخيانة. ومع أن مارية أتت للقيام بدور معيّن إلا أنّها بمرور الوقت أحبّت النبي ﷺ وأسلمت وحسن إسلامها، وتخلّت نهائيّاً عمّا جاءت مِن أجله[143]. وفي رأيي أن هذا الرأي لا واقع تاريخياً له، ولا أظنّ أن المسألة تصل إلى هذا الحدّ.

وقيل إنّه كان للنبي ﷺ سريّة نصرانية تدعى ريحانة بنت يزيد[144]، ويبدو أن نسبة ريحانة إلى النصرانية خطأ؛ بل هي يهودية، واسمها ريحانة بنت زيد كما سنشير إلى ذلك لاحقاً. ومِن الغلمان النصارى الذين أسلموا غلام قبطي كان لعبد الله بن مظعون الجمحي، أسلم فحسن إسلامه على عهد رسول الله ﷺ فأُعجِب به ابن مظعون، ثم ارتدّ الغلام نصرانياً في عهد الخليفة عمر لمّا استقرّ الغلام في مصر بين أهله، فخرج به فتى مِن آل مظعون قد ربط حبلاً في وسطه وجزّ ناصيته، فرآه عقبه بن عامر فقال له: فلان، مالَك؟ قال: لا، إلا أنّه مرّ على أهله نصارى فتنصّر. فذهب به عقبة إلى عمرو بن العاص فكتب فيه إلى الخليفة فكتب عمر: «كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حقّ وجاءهم البيّنات والله لا يهدي القوم الظالمين». (آل عمران: 86) اعرض عليه الإسلام فإن أبى فاقتلْه.

(142) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 324-325؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 6، ص. 324. السيوطي، **دُر السحابة**، ص. 70. ذكره ابن الأثير (**أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 403) والذهبي (**تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 262) خطأً باسم القرظي.

(143) انظر: أحمد التاجي، **سيرة النبي العربي محمد رسول الله** ﷺ، القاهرة، 1978، ج. 2، ص. 96، 97. نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني عن البلاذري أن أمّ مارية كانت رومية. (**الإصابة**، ج. 8، ص. 311.)

(144) الصالحي، **المصدر السابق**، ج. 12، ص. 63.

فعَرَضَ عليه عمرو الإسلام فأبى فقتَلَه[145]. ويبدو أن هذا الغلام هو نفسه الذي لم يُسمَّ في رواية أخرى إذ إن عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عمر يسأله عن رجل أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر فعل ذلك مِراراً، أيقبل مِنه الإسلام؟ فكتب إليه الخليفة عمر: إقبل مِنهم ما قَبِل الله مِنهم، اعرض عليه الإسلام فإن قَبِل، وإلا ضُرب عنقه[146].

وكان في المدينة أيضاً غلمان مِن الروم، فقد روى أنس بن مالك: كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة، فيسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد يخطب، فجاء إليه رومي (وفي رواية: فجاءه رومي)، فقال: أَلاَ أصنع لك منبراً؟ (وفي رواية: فقال: يا رسول الله أَلاَ أصنع لك شيئاً تقعد عليه). وما رواه أبو سعيد الخدري: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى لزق جذع، فأتاه رجل رومي، فقال: أصنع لك منبراً تخطب عليه؟ وفي رواية عن بريدة بن الحصيب الأسلمي: كان النبي ﷺ إذا خطب فطال القيام فكان يشقّ عليه قيامه..... فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائماً.... فقال: لو أعلم أن محمداً يحمدني في شيء يرفق به لصنعتُ له مجلساً يقوم عليه. وفي رواية عن جابر بن عبد الله: كان النبي ﷺ يقوم إلى خشبة يتوكّأ عليها يخطب كل جمعة، حتى أتاه رجل مِن الروم، وقال: إن شئتَ جعلتُ لك شيئاً إذا قعدتَ عليه كنتَ كأنّك قائم؟ وعن أم المؤمنين عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع يتساند إليه، فمرّ رومي، فقال: لو دعاني محمد ﷺ فجعلتُ له ما هو أَرْفَقُ به مِن

(145) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 204؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص.657. ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني هذه القصّة، وعزا إخراجها إلى المحاملي في الجزء التاسع مِن أماليه مِن رواية الأصفهانيين مِن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه. والمَحَاملي هو أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الضبّي البغدادي، المتوفى عام 330 هـ، المحدّث القاضي الشافعي، له الأجزاء المحامليات في الحديث في 16 جزءاً، المعروفة بأمالي المحاملي، وقيل: هي غيرها، وهي مِن رواية الأصفهانيين والبغداديين وما تبقّى منها مخطوطاً جزء صغير وهو الجزء الخامس والسادس في 13 ورقة. (أكرم ضياء العمري، **موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد**، الرياض، 1985، ص. 432-433؛ الخطيب الغدادي، **تاريخ بغدد**، ج. 8، ص. 19-22؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، بيروت، 2002، ج. 2، ص. 234؛ الدهلوي، **بستان المحدّثين**، ترجمة: محمد أكرم الندوي، بيروت، 2002، ص. 120-121؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 10، ص. 134.)

(146) البوصيري، **كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، مج. 4، 232—233، رقم: 3470؛ المؤلف نفسه، **مختصر إتحاف السادة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، تحقيق: سيّد كسروي، بيروت، 1996، مج. ج. 5-6، ص. 215-216، رقم: 4111.

هذا؟[147] وكان اسم هذا الغلام مينا كما سنشير إلى ذلك لاحقاً.

ثالث عشر: سلمان الفارسي الذي كان مِن أعلم النصارى بدينهم[148]، وقد أدرك العلم الأول والآخر، وقرأ الكتاب الأوّل والآخر. وكان مِن المعمَّرين، يقال إنّه أدرك وصيّ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام[149]. وكان نصرانياً مخلصاً للنصرانية[150]. وكان مع سلمان

(147) أخرج ابن خزيمة حديث أنس في **صحيحه** (تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، 1975، ج. 3، ص. 140، رقم: 1777) وقال عنه المحقّق: إسناده حسن، وهو على شرط مسلم، لكن عكرمة بن عمار فيه ضعف مِن قِبل حفظه. وأخرجه البيهقي في **الدلائل** (مج. 2، ص. 413-414، رقم: 872)، وقال عنه محقّقه: صحيح. وأخرجه أيضاً الطحاوي في **شرح مشكل الآثار** (ج. 10، ص. 378-379)، وقال عنه محققه: إسناده قوي، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عكرمة بن عمّار فمِن رجال مسلم، وحديثه ينحطّ عن رتبة الصحيح. وأخرج الدارمي في **السنن،** (تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي وخالد السبع العلي، ج. 1، ص. 30، 31، 32، أرقام: 33، 37، 41) روايات أنس وبريدة وأبي سعيد. وقال شارح سنن الدارمي عن حديث بريدة: ضعيف الإسناد، فيه صالح بن حيّان ضعّفه الجمهور. وقال عن حديث أبي سعيد: رجال المصنّف على شرط مسلم غير مجالد وقد أخرج له مقروناً. وقال عن حديث أنس: حديث الباب إسناده على شرطهما سوى عكرمة بن عمّار علّق له البخاري واحتجّ به مسلم شيئاً. وأخرج ابن أبي شيبة حديث أبي سعيد في **مصنّفه** (ج. 11، ص. 486، رقم: 1798) وأخرجه أيضاً أبو نعيم الأصفهاني في **الدلائل** (**تحقيق**: قلعجي وعبّاس، ج. 2، ص. 402، رقم: 308.) وأخرج أبو يعلى رواية جابر في **مسنده** (ج. 4، ص. 128، رقم: 2177.) وقال عنه محقّق **المسند**: إسناده حسن. وقال ابن حجر الهيثمي عن رواية جابر: «رواه أبو يعلى ورجاله موثّقون» (**مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، بيروت، 1982، ج. 2، ص. 181.) وقال ابن حجر الهيثمي عن رواية عائشة: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه صالح بن حيّان وهو ضعيف» (**مجمع الزوائد**، ج. 2، ص. 182.) وانظر الحديث نفسه في **مجمع البحرين في زوائد المعجمين** لابن حجر الهيثمي (تحقيق: عبد القدوس بن محمد نذير، الرياض، 1992، ، ج. 2، ص. 222، رقم: 982.) انظر: السيّد أبو عاصم نبيل الغمري، **فتح المنّان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن**، بيروت، 1999، ج. 1، ص. 329، 334، 349، 359؛ كذلك: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 2، ص. 506-507. ومِن الجدير بالذِكر أنّه هناك خلاف كبير فيمن صنع المنبر لرسول الله ﷺ.

(148) ابن قيّم الجوزية، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، تحقيق: رضوان جامع رضوان، الرياض، 1415 هـ، ص. 62.

(149) ابن الأثير (مجد الدين)، **المختار مِن مناقب الأخيار**، تحقيق: مأمون الصاغرجي وآخرين، (مركز زايد للتراث والتاريخ)، العين، 2003، ج. 2، ص. 440. إنّ إدراك سلمان لوصي عيسى عليه السلام مِن المبالغات التي لا تصحّ. ومع ذلك فإنّ جوزيف هوروفيتز فَهِمَها على أن سلمان التقى بالمسيح عليه السلام نفسه، وهو الذي أوصاه بالذّهاب إلى محمد عليه الصلاة والسلام. انظر:

Horovitz, J. B., "The Gowth of the Mohammed Legend", in ubin, U. (ed.), The Life of Muhammad, Aldeshot, 1998, p. 278.

(150) أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ص. 151. يقول أحمد أمين: إنّ دين سلمان ليس النصرانية الشعبية ولا النصرانية التي يحترفها رجال الدين؛ إنّما هي النصرانية المتبتّلة التي يخلص لها بعض أفراد قلائل مِن رجال الدين فينقطعون عن العالم زهداً وورعاً. (**فيض الخاطر**، القاهرة، 1965، ج. 2، ص. 212.)

غلام يدعى سويداً[151]، ولكن لا نعلم هل أتى معه مِن الشام؟ أم أنّه اشتراه بعد إقامته في المدينة؟ وهذا هو الأرجح.

رابع عشر: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما بروايات متعدّدة أن رجلاً مِن بني عذرة، وفي رواية مِن الأنصار، يدعى أبا مذكور أعتق غلاماً يدعى يعقوب القبطي. وقد صرّحت إحدى الروايات أنّه عاش إلى عهد ابن الزبير[152]. وكَوْن أبي مذكور مِن بني عذرة وفي الوقت نفسه نُسب إلى الأنصار يعني أنّه كان أصلاً مِن بني عذرة وكان حليفاً للأنصار. وكانت وفاته في أوّل إمارة ابن الزبير[153]. وكون أبي مذكور مِن بني عذرة يشير إلى انتمائه إلى إحدى القبائل العربية الشمالية التي تفشّت فيها النصرانية كما سنشير إلى ذلك لاحقاً. ونظراً لانتماء أبي مذكور إلى إحدى قبائل الشمال كان دليل النبي إلى دومة الجندل[154]. أمّا ما يشير إلى نصرانية الغلام يعقوب هو كونه قبطيّاً.

مِن هذا العرض يتضح أنّه كان هناك أفراد مِن النصارى في المدينة، مِن أهلها ومِن المقيمين فيها، وربما كان لهم أثر محسوس في حياتها الاجتماعية، وإن كانوا أقلّ تأثيراً مِن اليهود وأكثر قُرباً للمسلمين[155]. ولا يُستبَعد أن إبقاء أفراد نصارى في المدنية في العهد النبوي كان بسبب هدوئهم وعيشهم بسلام. وقد حدث الشيء نفسه بعد إخراج القبائل اليهودية الكبيرة مِن

(151) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 192؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 249.

(152) انظر: حول روايات الحديث: البخاري، **الصحيح**، كتاب: البيوع، باب: المزايدة، ج. 2، ص. 27، رقم: 2141، وكتاب: العتق، باب: بيع المدبر، ج. 2، ص. 125، رقم: 2534، وكتاب: كفّارات الأيمان، باب: عتق المدبر وأمّ الولد والمكاتب وعتق ولد الزنا، ج. 4، ص. 228، رقم: 6716، وكتاب: الإكراه، باب: إذا أُكره حتى وهب عبداً أو باعه لم يُجزِ، ج. 4، ص. 285، رقم: 6947، وكتاب: الأحكام، باب: بيع الإمام على الناس أموالهم وضياعهم، ج. 4، ص. 342، مسلم، **الصحيح**، كتاب: الابتداء في النفقة بالنفس ثم أهله ثم القرابة، ج. 2، ص. 120، رقم: 997. انظر كذلك: ابن بَشْكُوَال، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 489؛ ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 8، ص. 128، رقم: 3339؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 23، ص. 223، رقم: 14970؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 10، ص. 308.

(153) انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 4، ص. 530، ج. 5، ص. 208؛ ابن هبيرة، **الإفصاح عن معاني الصحاح**، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، الرياض، 1996، ج. 8، ص. 255-256؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 66، 143—144، 200؛ سبط ابن العجمي، **التوضيح**، ص. 123.

(154) الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 66.

(155) محمد لقمان الأعظمي الندوي، **المرجع السابق**، ص. 417.

المدنية؛ إذ لم يَبقَ فيها سوى أفراد قلائل أظهروا الاستسلام والمسالمة، فتُرِكت لهم حريّة الإقامة والدين، بناء على المبدأ القرآني في مقابلة مَن وقف مِن الإسلام ودعوته والمسلمين موقف الموادّة والمسالمة من دون أن يكون لهم جريرة قومهم(156). ومَن يبدي مِنهم عدوانية أو موقفاً سيئاً مِن الدولة الإسلامية يواجه بكل صلابة وحزم. مثلما حدث في أثناء الاستعداد لغزوة تبوك، إذ كان نفر مِن المنافقين يجتمعون إلى يهودي يسمى سُويلم في بيت عند بئر تدعى جاسوم، يثبّطون الناس عن الخروج، فأمر النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله بحرق البيت، ففعل ذلك طلحة، وفرّ مَن كان فيه(157). ومما يدلّ على ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة قال: بينما نحن في المسجد خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال: انطلقوا إلى يهود، فخرجنا معه حتى جئنا المدراس، فقام رسول الله ﷺ فناداهم يا معشر اليهود أسلموا تسلموا، فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم، قال: ذاك أريد، ثم قالها الثالثة، فقال: اعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإنّي أريد أن أجليكم مِن هذه الأرض فمَن وَجد منكم بماله شيئاً فَلْيبِعْه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ(158). ويبدو أن الخِطاب لمن بقي في المدينة ومَن حولها مِن اليهود بعد إجلاء بني النضير وقتل بني قريظة؛ وذلك لأنّ إجلاء بني النضير كان في السنة الرابعة مِن الهجرة، وقتل بني قريظة كان في السنة الخامسة. وإسلام أبي هريرة في السنة السابعة فيكون ما ذكره بعد ذلك بسنتين. وهو موافق لفتح خيبر(159).

---

(156) النهرواني، **تاريخ المدينة**، تحقيق: محمد حسن محمد، بيروت، 1997، ص. 73؛ محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، صيدا، 1956، ج. 6، ص. 260؛ Armstrong, K., op.cit., p. 163.

(157) ابن عبد البر، **الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر**، ص. 238. وذُكر أن جاسوم أطم كان في المدينة. (محمد محمد شُرّاب، **المعالم الأثيرة في السُّنّة والسيرة**، دمشق، 1991، ص. 86.)

(158) البخاري، **الصحيح**، كتاب: الجزية والموادعة، باب: إخراج اليهود مِن جزيرة العرب، ج. 2، ص. 296، رقم: 3167، كتاب: الإكراه، باب: في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسّنّة، باب: قول الله تعالى: «ليس لك مِن الأمر شيء» (آل عمران: 128)، ج. 4، ص. 284، 379، رقم: 6944، 7348؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: الجهاد والسِّيَر، باب: إجلاء اليهود مِن الحجاز، ج. 3، ص. 245، رقم: 1765؛ أبو داود، **السنن**، ك. الخراج والإمارة والفيء، باب: كيف كان إخراج اليهود مِن المدينة، ج. 3، ص. 155، رقم: 3003؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 15، ص. 512-513، رقم: 9826؛ النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، ج. 8، ص. 58، رقم: 8634. انظر كذلك: الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 57-58، رقم: 4278؛ البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، 21، ص. 124.

(159) هذا الخِطاب مِن جوامع كلمه ﷺ، ولكنّ اليهود إنّما فهموا مِنه الدعاء إلى الإسلام، فقالوا في جوابه قد =

الغناء والرقيق والقِيان والإماء والنصرانية:

كان عدد مِن العرب يغيرون على تخوم فارس والروم، فيسلبون ما يقع في أيديهم مِن أموال ونساء وأطفال. كما أن الوفود الزائرة للبلاط البيزنطي ترجع بتحف وبهدايا منها الجواري[160]. ولا يُستَبعد أن عدداً مِن الموالي والرقيق كانوا مِن النصارى، وكان العبيد والرقيق يباعون في سوق بني قينقاع بيثرب[161]. ولا يُستَبعد أنّه بوساطة الرقيق دخلت يثرب أفكار ومبادئ جديدة، وربما أحدثت تفاعلاً ولو بنسبة محدودة في حياة المدينة، ولا سيما أن بعضاً مِن هؤلاء الرقيق يقرأ ويكتب ويفسّر التوراة والإنجيل[162]، أسوة بإخوانهم الرقيق

= بلّغت، أي ما عليك مِن البلاغ فلا حاجة لنا في الزيادة مِنه، وما فهموا أن مراد النبي ﷺ هذه المرّة إمّا الإسلام وإمّا الإجلاء حتى سمعوا مِنه ذلك صريحاً. (ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 12، ص. 393؛ البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، 21، ص. 124؛ السهارفنوري، **المصدر السابق**، ج. 13، ص. 326.) يرى الطحاوي أن هؤلاء اليهود هم مِن الذين تهّودوا مِن الأوس والخزرج في الجاهلية؛ إذ كانت نساء الأنصار إذا لم تنجب الواحدة مِنهنّ أو لا يعيش لها ولد تنذر لَإنْ رزقها الله ولداً أو لئن عاش لها ولد لتهودنّه. (**المصدر السابق**، ج. 11، ص. 58.) يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: قد ثبت أنّه كان مِن أولاد الأنصار جماعة تهوّدوا قبل المبعث بقليل لكون اليهود أهل علم وكتاب، والعرب كانوا أهل شرك وكتاب. (**التفسير الكبير**، ج. 4، ص. 36.) انظر الدراسة التي أعدّها مايكل ليكر حول مَن تهوّد مِن أبناء الأوس والخزرج.
Lecker, M., "Amr Ibn Hazm al-Ansai", Oriens, 35 (1996), pp. 59, 61 ff.

(160) جعفر الخليلي، **المرجع السابق**، ص. 81؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 589؛ فايد العمروسي، الجواري المغنّيات، القاهرة، 1961، ص. 28، 44.

(161) جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 588، 589، 602؛ جورج شحاته قنواتي، **المرجع السابق**، ص. 59؛ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، **المرجع السابق**، ص. 73، 74، 197، 208؛ فاطمة علي باخشوين، **المرجع السابق**، ص 183، 186.

(162) جعفر الخليلي، **المرجع السابق**، ص. 81؛ قصي الحسين، **المرجع السابق**، 353. كان كثير مِن الرقيق مِن الأحباش، وكان لهم حضور واضح في بيوت السادة والنبلاء في المجتمع العربي قبل الإسلام، واستمرّ ذلك في العهد النبوي وما بعده. وقد أورد ابن عبد الباقي البخاري عدداً مِن الآثار والروايات والأحاديث المرفوعة والموقوفة تشير إلى تفضيل الأحباش للخدمة في المنازل. (انظر: **الطراز المنقوش في محاسن الحبوش**، تحقيق: عبد الله محمد الغزالي، الكويت، 1995، ص. 37.) ومِن هذه الأقوال المرفوعة: مَن أدخل بيته حبشيّاً أو حبشية أدخل الله بيته بركة. (ابن عبد الباقي البخاري، **المصدر السابق**، ص. 37؛ الديلمي، الفردوس بمأثور الخطاب، تحقيق: ، ج. 3، ص. 572، رقم: 5795؛ المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، بيروت، 2001، مج. 1، ص. 144.) ورأى بعض المحدثين أن الحديث لا يصحّ، وأنّه مِن وضع أحد رواته وهو خالد بن يزيد الحذّاء المكي. (انظر: ابن حجر العسقلاني، **لسان الميزان**، ج. 3، ص. 346؛ ابن عرّاق الكناني، **تنزيه الشريعة المرفوعة**، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصدّيق، بيروت، 1979، مج. 2، ص. 37؛ العجلوني، **كشف الخفاء ومُزيل الإلباس**، تعليق وتصحيح: أحمد القلاش، بيروت، 1985، ج. 2، ص. 293؛ المناوي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 144-145.) =

المتعلّم والمثقّف في مدينة مكة[163]. وكان هؤلاء الرقيق مقربين مِن أصحاب البيت مِن النساء والرجال، ومما يشير إلى ذلك أن أَمَة تدعى روضة كانت وصيفة لامرأة مِن أهل المدينة، فلمّا هاجر النبي عليه الصلاة والسلام مِن مكة إلى المدينة قالت لها مولاتها: يا روضة؛ قومي على الباب، فإذا مرّ هذا الرجل فأعلميني، فلمّا مر ﷺ أخذت روضة بطرف ردائه فبشّ في وجهها، وفي رواية أنّه تبسّم في وجهها، وفي رواية أنّه مسح بيده على رأسها، ثم ذهبت لإخبار سيّدتها، ولمّا عرض ﷺ الإسلام عليهم أسلم كلّ أهل الدار[164]. وليس بالضرورة أن روضة هذه كانت نصرانية، ولكن لا يستبعد ذلك، وفي الوقت نفسه تشير الحادثة إلى قرب الرقيق والموالي مِن أسيادهم، وأن الإناث منهن كن يؤدين أعمالاً تمسّ سادتهم بصورة مباشرة.

ويرى بعض المفسرين في قوله تعالى: «والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً». (النساء: 27). أن المقصودين باتّباع الشهوات هم اليهود والنصارى أو المجوس أو الزناة[165]، مما يشير إلى نوع مِن الاهتمام النصراني واليهودي بهذا الأمر في المجتمع المسلم.

ونظراً لانتشار الغناء في المجتمعات السابقة للإسلام يقول الجاحظ: ولم تزل القيان عند الملوك مِن العرب والعجم على وجه الدهر، وكانت فارس تعدّ الغناء أدباً والروم فلسفة[166]. وقيل: إنّما كان أصل الغناء ومعدنه في أمّهات القرى مِن بلاد العرب ظاهراً فاشياً، وهي:

= وفي المقابل رُويت أحاديث تحطّ مِن منزلة الأحباش والسودان، وكلها لا تصحّ. (انظر: ابن عرّاق الكناني، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 31-32؛ السيوطي، **اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة**، تحقيق: صلاح بن محمد عويضة، بيروت، 1996، ج. 1، ص. 405-407؛ المناوي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 144.) وقال عنه محقّق كتاب الديلمي: لا يصح.

(163) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 348.

(164) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 6، ص. 123-124؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 145؛ أبو نعيم الأصفهاني، **دلائل النبوة**، بتحقيق: الحميد، ج. 3، ص. 882، رقم: 135؛ المؤلف نفسه، **معرفة الصحابة**، ج. 6، ص. 3335، رقم: 3880. ويقول الحميد محقّق كتاب **الدلائل** (ج. 3، ص. 882، ح. (1). إن إسناد هذا الحديث ضعيف.

(165) الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 290؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 4، ص. 345؛ صدّيق بن حسن الحسيني القنوجي، **فتح البيان في مقاصد القرآن**، وضع الحواشي: إبراهيم شمس الدين، بيروت، 1999، مج. 2، ص. 58.

(166) الجاحظ، **الرسالة الرابعة عشرة: كتاب القِيان، رسائل الجاحظ**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، 2000، مج. 2، ج. 2، ص. 122.

المدينة والطائف وخيبر ووادي القرى ودومة الجندل واليمامة، وهذه القرى مجامع أسواق العرب[167]. وكانت يثرب إحدى مواطن الغناء المهمّة في العصر الجاهلي[168]، وكان الغناء مِن أشهر مِهن الجواري أو القيان. وقد عُرفت القيان في يثرب في العصر الجاهلي، ومِن المعروف أن القيان كنّ أجنبيات، وأنّهن استُخدِمن في الغناء في مدن شبه الجزيرة العربية، وفي بعض القبائل. وغالباً ما تكون هؤلاء القينات المغنّيات أجنبيات؛ إمّا فارسيات وإمّا يونانيات أو روميات مِن سوريا، وربّما كنّ يُغَنّين بالعربية أو بلهجة أجنبية، وربّما كنّ يُغَنّين بلغتهن اليونانية أو الرومية أو الفارسية، وكنَّ يغنين في الحانات والدور المخصّصة للغناء لتسلية الروّاد. ومِن الجدير بالذِكر أنه كن كثيرات في الجاهلية[169]. وكنّ يتسمّين بأسماء رقيقة مثل أرنب المغنية وحمامة المغنية وزينب[170]. ومِن أشهر حانات يثرب حانة بني قريظة، وكان خمّارها في جوار سلاّم بن مِشكم، وكان عزيزاً، وهو الذي اشترى مِنه أبو سفيان بن حرب كلّ ما في حانوته في أثناء غارته على المدينة فيما يُعرَف بغارة السويق. وذكره أبو سفيان في قوله:

سقاني فروّاني كُمَيتاً مُدامة

على ظمأ منّي غلام ابن مشكم[171]

وكما أشرنا سابقاً فإن كثيراً مِن هؤلاء القينات المغنّيات الأجنبيّات كنّ يُجلَبن مِن بلدان فشت فيها النصرانية؛ مثل سوريا ومصر والحبشة واليونان ومن ثم كنّ نصارى. وكان لأديرة الشام وفلسطين والعراق والحيرة أثر كبير في انتشار الشراب والغناء في بلاد العرب، وكان

(167) ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، تحقيق: عبد المجيد الرميني، بيروت، 1980، ج. 7، ص. 29.

(168) شوقي ضيف، **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**، القاهرة، 1979، ص. 39.

(169) انظر: شوقي ضيف، **الشعر والغناء**، ص. 40، 41؛ النويري، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 37. هنري جورج فارمر، **تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادي**، ترجمة: جرجيس فتح الله المحامي، بيروت، 1990، ص. 51، 59؛ ناصر الدين الأسد، **القيان والغناء في العصر الجاهلي**، القاهرة، 1968، ص. 129، 132–133، 134. انظر تتّبع العلامة الأديب ناصر الدين الأسد لمعنى لفظ «قينة» واشتقاقاته اللغوية ومعانيه العملية. ويرى أن للقيان طبقتين؛ الأولى: قيان يختصصن بمالك واحد، كقيان ملوك المناذرة والغساسنة وأشراف العرب وساداتهم في مجالس الأُنس واللهو. والثانية: قيان الحانات والمواخير ذوات الأزياء الزاهية والعطورات الجذّابة. (**المرجع السابق**، ص. 16–24، 62.)

(170) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 6، 7، 88، 165.

(171) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 201؛ ابن فضل الله العمري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 480.

الجاهليون يقصدونها للمتعة والتسلية، ومِن أشهر تلك الأديرة دير نجران المعروف بكعبة نجران، وكان فيه الراهبان اللذان ذكرهما الشاعر الأعشى، وقد أضحى لهذين البيتين غناء حسن. وكان الأعشى يأتي كل سنة يزور بني عبد المَدان فيمدحهم، ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم وينادمهم، ويُسمعونه الغناء الرومي، ويسمع مِن أساقفة نجران قولهم[172]:

أيـــا راهِـــبَـــي نجران مـــا فـــعـــلتْ هـــنـــدٌ
أقـامت عـلـى عـهـدي وأنّـى لـهـا عـهـد

إذا بَـــعُـــد المشـــتـــاق رثّـــت حـــبـــالـــه
ومـــا كـــل مشـــتـــاق يـــغـــيّـــره الـــبُـــعـــد[173]

وكانت الجواري يُعلَّمْنَ الغناء لترتفع أثمانهنّ[174]، وكانت تجارة القينات تجارة رائجة؛ ولهذا نهى عنها النبي ﷺ فعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تبيعوا القينات ولا تشتروهنّ ولا تُعلّمونهن، ولا خير في تجارة فيهنّ، وثمنهنّ حرام. وفي رواية: لا يحلّ ثمن المغنية ولا بيعها ولا شراؤها ولا الاستماع إليها. وفي رواية: نهى رسول الله ﷺ عن بيع المغنيات وعن شرائهنّ وعن كسبهنّ وعن أكل أثمانهنّ[175].

---

(172) ابن فضل الله العمري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 449-450؛ أبو الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. ج. 6، ص. 493.

(173) الأعشى، **الديوان**، شرح وتحقيق: محمد محمد حسين، بيروت، 1974، ص. .

(174) الحكيم الترمذي، **المنهيّات**، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، بيروت، 1986، ص. 58.

(175) ابن قتيبة، **كتاب تأويل مختلف الحديث**، تحقيق: محمد نافع المصطفى، عَمان، 2004، ص. 586، 587؛ ابن ماجه، **السنن**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، 1998، كتاب: التجارات، باب: ما لا يحلّ بيعه، ج. 2، ص. 272، رقم: 2168؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 252/5، 257، 264، 268؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 6، ص. 126؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في كراهية بيع المغنيات، ج. 3، ص. 373—375، رقم: 1282، وفي كتاب: تفسير القرآن، باب: ومِن سورة لقمان، ج. 5، ص. 187، رقم: 3195؛ الحميدي، **المسند**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت/القاهرة، 1382 هـ.، مج. 2، ص. 405، رقم: 910؛ الطبراني **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بغداد، 1984، ج. 8، ص. 198، 212 رقم: 7708، 7855. وقد ضُعّف حديث النهي عن بيع القينات مِن حيث السند؛ ففيه أبو عبد الملك علي بن يزيد بن أبي زياد الألهاني الدمشقي، وهو ضعيف. وقال عنه العقيلي: لا يُعرَف حديث المغنيات إلا به. كما ضُعّف حديث ابن ماجه ففي إسناده أبو المهلب مُطَّرِح بن يزيد الأسدي الكوفي، الذي ضعّفه ابن عدي وأبو زرعة. وقال عنه العقيلي: لا يُتَابَع على حديثه ولا يُعرَف إلا به. وليس لمطرّح عند ابن ماجه سوى هذا الحديث. (انظر: ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، مج. 6، ص. 270-271، مج. 8، =

أمّا البغاء فيقال إنّه كان في مكة والمدينة نساء بغايا معلنات، فأراد ناس مِن المسلمين نكاحهنّ ليتخذوهنّ مأكلة، فأنزل الله تعالى: «الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحُرّم ذلك على المؤمنين» (النور: 3). وقد ذُكرت أسماء عدد منهن وهنّ في مكة. ورُوي أنّه لما قدِم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر، وبالمدينة نساء بغايا يكرين أنفسهنّ، وهنّ يومئذ مِن أغنى أهل المدينة؛ فرغب ناس مِن فقراء المسلمين– وقيل: إنّهم كانوا ناساً مِن أهل الصفّة– في نكاحهنّ لينفقن عليهم، فاستأذنوا رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى الآية المذكورة آنفاً. فحُرّم على المسلمين الزواج بأولئك البغايا[176]. وغالباً ما كانت لفظة «بغايا» تطلق على الإماء؛ لأنهنّ يمارسن البغاء كمهنة أو حرفة، وإن كان اللفظ يشمل الحرائر الفواجر[177]. وكانت أولئك البغايا

= ص. 468؛ ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ج. 2، ص. 200، ج. 3، ص. 124؛ ابن حِبّان، **كتاب المجروحين من المحدّثين**، مج. 2، ص. 85—86، 465—366؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 406، 534؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، مج. 5، ص. 436؛ ابن حجر الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج. 8، ص. 122؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 305—306، ج. 8، ص. 204—205؛ الذهبي، **المغني**، مج. 2، ص. 101، 410؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 5، ص. 195-196، ج. 6، ص. 441-442؛ العقيلي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 975، رقم: 1261.) لمزيد مِن المناقشة والتفصيل ولمعرفة مزيد مِن الأحاديث حول النهي عن بيع القينات؛ انظر: سليمان بن صالح الثنيّان، **الأحاديث الواردة في البيوع المنهي عنها**، المدينة، 2002، ج. 1، ص. 183-192. ويُفهَم مِن الحديث أن الحُرمة تقع على بيع القينة المغنّية فحسب؛ فإن لم تكن مغنّية فلا وجه للنهي عن بيعها وشرائها. أو بمعنى أن النهي ورد في البيع والشراء للجواري مِن أجل التغنّي. المباركفوري، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه: عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، 1964، ج. 4، ص. 419. على الأغلب أن مَن كان يعلّم القينات الغناء ليس مِن أهل المروءة، ولهذا قيل: إنّ أوّل مَن اتّخذ القيان وعلّمهنّ الغناء مِن أهل المروءة بالمدينة هو أبو يوسف يعقوب بن أبي سلمة التميمي المدني المتوفى عام 124 هـ. (انظر: فؤاد صالح السيّد، **معجم الأوائل في تاريخ العرب والمسلمين**، بيروت، 2001، ص. 443.)

(176) البَغَوِي، **التفسير**، ج. 3، ص. 380؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 65؛ السمرقندي، **التفسير (بحر العلوم)**، تحقيق: علي محمد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، بيروت، 1993، ج. 2، ص. 426؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 263. وقال محقّق **تفسير** البَغَوِي (ج. ص. ح. 1490): إن سبب نزول الآية أعلاه نقله عدد مِن المفسرين بدون إسناد. ويقول العلامة ابن قيّم الجوزية: إنّه مِن محاسن الشريعة تحريم نكاح البغايا، فإنّه مِن أقبح الأمور، والناس إذا أرادوا تعيير الرجل قالوا: زوج بغي. والبغي خبيثة، والله تعالى حرّم الخبائث مِن المناكح كما حرّمها مِن المطاعم. (انظر كتابه: **أحكام أهل الذمّة**، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، بيروت/الدمام، 1997، مج. 2، ص. 805.)

(177) ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق: حيدر أحمد حيدر، بيروت ، 2003، مج. 14، ص. 95؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، تحقيق: حسّان عبد المنّان، بيروت، 2004، ص. 153؛ ناصر الدين الأسد، **المرجع السابق**، ص. 41.

جميلات[178]، وروى مقاتل: أنّه لما قدِم المهاجرون المدينة قدِموها وهم بجهد إلا القليل منهم، والمدينة غالية السعر، شديدة الجهد، وفي السوق زواني متعالنات مِن أهل الكتاب، وإماء الأنصار، مِنهنّ أميّة وليدة عبد الله بن أُبي ومسيكة بنت أميّة لرجل مِن الأنصار في بغايا مِن ولائد الأنصار قد رفعت كلّ امرأة مِنهنّ على بابها علامة ليعرف أنّها زانية، وكنّ مِن أخصب أهل المدينة وأكثره خيراً، فرغب أناس مِن المهاجرين فيما يكتسبن لَلَّذي هم فيه مِن الجهد، فاستأذنوا رسول الله ﷺ في ذلك فنزل قوله تعالى مِن سورة النور[179].

ويقال كانت هناك دار للبغاء في يثرب اتّخذها عبد الله بن أُبيّ، وجلب إليها ستاً مِن الإماء اللواتي كنّ في الوقت نفسه يغنّين ويحترفن الغناء، وهؤلاء الجواري هنّ: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقُتيلة. وورد أن عبد الله بن أُبيّ كان يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً. فأنزل الله تعالى: «.. ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردنَ تحصّناً لِتَبتغوا عَرَضَ الحياة الدنيا ومَن يكرههنَ فإنّ الله بعد إكراههنّ غفور رحيم». (النور: 33)[180]. وقيل: إن

---

(178) السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، 2003، ص. 166. عن عبد الله بن عمرو: كنّ نساء معلومات، فكان الرجل مِن فقراء المسلمين يتزوج منهنّ لتنفق عليه، فنهاهم الله عن ذلك. وقيل: إنهنّ يجعلن على أبوابهنّ رايات يأتينهن الناس يُعْرَفْنَ بذلك. (السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 10، ص. 643.)

(179) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 10، ص. 638-639. روى جابر بن عبد الله: إنّ أوّل خبر قدِم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع مِن الجن، فجاءها في صورة طائر أبيض فوقع على جذع (أو حائط) لهم، فقالت له: ألا تنزل فنخبرك وتخبرنا، (أو نحدّثك وتحدّثنا) قال: إنّه قد خرج رجل بمكة حرّم علينا الزنا، ومنع مِنّا الفرار. وقيل: إنّ اسم هذه المرأة فاطمة، وقيل: هي أمّ النعمان بن عمرو أخي بني النّجّار، أو هي فطيمة اليثربية، إحدى بغايا يثرب في الجاهلية. (انظر: الإمام أحمد، **المسند**، ج. 23، ص. 132-133، رقم: 14835. انظر كذلك: ابن إسحاق، **المصدر السابق**، ص. 92، فقرة: 122؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 140؛ الخطيب البغدادي، **كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**، تخريج: عز الدين علي السيّد، القاهرة، 1974، ص. 259-260؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 1، ج. 2، ص. 362؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 1، ص. 361؛ السيوطي، **الخصائص الكبرى**، تحقيق: محمد خليل هرّس، القاهرة، 1967، ج. 1، ص. 257-258؛ الطبراني، **المعجم الأوسط**، تحقيق: أيمن صالح شعبان وسيّد أحمد إسماعيل، القاهرة، 1996، ج. 1، ص. 317، رقم: 769؛ النويري، **المصدر السابق**، ج. 18، ص. 147. وأشار محقّقو **المسند** إلى ضعف إسناد الحديث بسبب تفرّد عبد الله بن محمد بن عقيل به. كما أشار محقّق **المعجم الأوسط** للطبراني إلى ضعف إسناد القصّة لتفرّد عبد الله بن محمد بن عقيل به.

(180) ابن بَشْكُوَال، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 376، 377، 378؛ الخطيب البغدادي، **كتاب الأسماء المبهمة**، ص. 508؛ شوقي ضيف، **الشعر والغناء**، ص. 41؛ سبط بن العجمي، **تنبيه المُعلِم**، ص. 466؛ المؤلف نفسه، **التوضيح**، ص. 390؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 272—273.

الآية نزلت في عدد مِن المنافقين، كان أحدهم عبد الله بن أُبيّ[181]، وعن علي رضي الله عنه أنّه قال: كان أهل الجاهلية يُبغّين إماءهم، فنُهوا عن ذلك في الإسلام. وقال ابن عباس: كانوا في الجاهلية يُكْرِهُونَ إماءهم على الزنا يأخذون أجورهنّ[182]. وقد نهى النبي ﷺ عن كسب الإماء والبغايا؛ فعن أبي مسعود البدري قال: إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي[183] وحُلوان الكاهن. وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: لا يحلّ ثمن الكلب ولا حُلوان الكاهن ولا مهر البغي. وفي رواية عن رافع بن خديج قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: شرّ الكسب مهر البغي.... والحديث نفسه مروي أيضاً عن السائب بن يزيد، وفي رواية عن السائب عن النبي ﷺ أنّه قال: السحت ثلاث؛ وذكر مِنهنّ مهر البغي[184]. وفي

---

(181) الماتُريدي، **تفسير القرآن العظيم (تأويلات أهل السنّة)**، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، بيروت، 2004، مج. 3، ص. 462.

(182) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 11، ص. 52.

(183) مهر البغي هو ما تُعطاه المرأة على الزنا، أو ما تُعطاه الزانية مِن استباحتها؛ وسُمّي مهراً لكونه على صورته، وهو حرام بإجماع المسلمين. ووصف بأنّه خبيث، وهو في الأصل ما يُكره لرداءته وخِسّته. ويستعمل للحرام إذ إن الشارع كرهه فاسترذله، ولكون مهر الزانية المأخوذ عوضاً للزنا حراماً كان الخبيث **المسند** إليه بمعنى الحرام. وورد النهي عن كسب الإماء بصورة عامّة بسبب أنّه كانت لأهالي مكة والمدينة إماء عليهنّ ضرائب، يقمن بخدمة الناس فيخبزن ويسقين الماء، ويقمن بغير ذلك مِن الصناعات، ويؤدين الضريبة إلى ساداتهنّ. وبما أن الإماء إذا دخلنَ تلك المداخل لم يؤمن أن يكون منهنّ أو بعضهنّ الفجور، وأن يكسبنَ بالسفاح فأمر النبي ﷺ بالتنزّه عن كسبهنّ. ولم تَأتِ الرخصة في كسب الأَمَة إلا إذا كان في يديها عمل. (ابن قتيبة، **كتاب تأويل مختلف الحديث**، ص. 586؛ ابن هبيرة، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 364؛ أبو الوليد الباجي، **المنتقى شرح موطّأ مالك**، تحقيق: محمد محمد تامر، القاهرة، 2004، مج. 6، ص. 331، 332؛ البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 13؛ الخطّابي، **معالم السُّنن**، بيروت، 1981، مج. 3، ص. 103-104؛ الطيبي، **الكاشف عن حقائق السنن (شرح الطيبي على مشكاة المصابيح)**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مكة/الرياض، 1997، مج. 7، ص. 2101؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، تحقيق: محمد عبد العظيم، القاهرة، 2004، ج. 9، ص. 1926.)

(184) انظر: البخاري، **الصحيح**، كتاب: الإجارة، باب: كسب البغي والإماء، ج. 2، ص. 59، رقم: 2282، 2283، كتاب: **الطلاق**، باب: مهر البغي والنكاح الفاسد، ج. 3، ص. 400، رقم: 5346، 5347؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: المساقاة، باب: تحريم ثمن الكلب وحُلوان الكاهن ومهر البغي والنهي عن بيع السنّور، ج. 3، ص. 53 ،رقم: 1567، 1568. انظر كذلك: أبا الوليد الباجي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 331؛ ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 7، ص. 35، 36؛ ابن ماجه، **السنن**، كتاب: التجارات، باب: النهي عن ثمن الكلب ومهر البغي وحُلوان الكاهن وعسب الفحل، ج. 2، ص. 269، رقم: 2159؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في كراهية مهر البغي، وكتاب: البيوع، باب: ما جاء في ثمن الكلب، ج. 3، ص. 287، رقم: 1122، ص. 371، 372، رقم: 1275، 1276؛ النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، كتاب: الصيد، باب: النهي عن ثمن الكلب، ج. 4، ص. 469، رقم: 4785، ص. 469-470، رقم: 4787، كتاب: المزارعة، باب: الشقاق بين الزوجين، ج. 4، ص. 422، رقم: 4664، ج. 4، ص. 423، رقم: 4667.

رواية أنّه جاء رافع بن رفاعة إلى مجلس الأنصار، فقال: لقد نهانا نبي الله مِن اليوم، فذكر أشياء، ونهى عن كسب الأَمَة إلا ما عملت يدها نحو الخبز والغزل والنفش. وعن رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ نهى عن كسب الأَمَة حتى يُعلم أين هو(185). وورد عن النبي ﷺ النهي عن كسب [وفي رواية أجر] المومسة(186).

ونكرّر ما قلناه من أنّ أغلب هؤلاء الرقيق والجواري كانوا يُجلبون مِن بلدان أجنبية انتشرت فيها النصرانية كسوريا ومصر والحبشة وغيرها مِن البلدان؛ وكون بعض البغايا مِن المشركات فربّما كنّ هنّ صاحبات ومالكات دور البغاء، وكنّ يكرين الإماء ويأخذن أجورهنّ، وليس بالضرورة أن تكون دار البغاء للنساء بل ربما كانت للرجال؛ وهذا ما كان مِن عبد الله بن أُبي ونفر مِن المنافقين الذين كانوا يفعلون بذلك قبل الإسلام، وبقوا بعد الهجرة النبوية على فعلهم القبيح هذا.

ومِن العبيد الذين جُلبوا مِن خارج بلاد العرب كان الرقيق الحبشي، ومما لا شك فيه أن بلاد الحبشة كانت بلاداً نصرانية، وكان الأحباش منتشرين في بلاد العرب ومنها المدينة، ومما يدلّ على ذلك ما رواه أنس بن مالك أن جماعات مِن الأحباش كانوا يزفنون بين يدي رسول الله، ويتكلّمون بكلام لا يفهمه، فقال رسول الله ﷺ: ما يقولون؟ قالوا: يقولون: محمد عبد صالح. وكانوا يقولون أيضاً: أبو القاسم طيّب(187). وكانوا يقولون أيضاً:

(185) أبو داوود، **السنن**، كتاب: الإجارة، باب: في كسب الإماء، رقم: 3426، 3427.

(186) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 14، ص. 20، رقم: 8389، ج. 15، ص. 219، رقم: 9372؛ الدارمي، **السنن**، ج. 2، ص. 353، رقم: 2624. انظر كذلك: البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 13؛ نشوان الحميري، **شمس العلوم**، تحقيق: حسين العمري وآخرون، بيروت، 1999، ج. 11، ص. 2299. المومسة هي المرأة البغي، وقيل: هي الفاجرة مِن النساء . لمزيد مِن المناقشة والتفصيل ولمعرفة مزيد مِن الأحاديث حول النهي عن كسب البغايا، انظر: سليمان بن صالح الثنيّان، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 136—146، 148—150.

(187) انظر: أبا داوود، **السنن**، كتاب: الأدب، باب: في النهي عن الغناء، ج. 4، ص. 281، رقم: 4923؛ أبا يعلى، **المسند**، ج. 6، ص. 177-178، رقم: 3459؛ ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 13، ص. 179، رقم: 5870؛ ابن عبد الباقي البخاري، **المصدر السابق**، ص. 44؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 20، ص. 17، رقم: 12540، ص. 19، رقم: 12649؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 13، ص. 371، رقم: 3768؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 10، ص. 466، رقم: 19723؛ النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، ج. 8، ص. 181، رقم: 8902، انظر كذلك: عبد بن حُميد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 120، رقم: 1237.

يــا أيــهــا الــطــيــف المُعــرّج طــارقــاً
لـــولا مــــررت بـــآل عــــبــــد الــــدار

لــولا مــــررت بـــهـــم تـــريـــد قـــراهـــم
مـفـعـول مِـن جـهـد ومِـن إقـتـار[188]

وكان ذلك عند هجرة النبي ﷺ وصاحبه إلى المدينة[189].

التّجّار النصارى:

كان في يثرب قَبل الإسلام سوق معروفة تعرف بسوق النبط؛ وهو السوق نفسه الذي مرّ عليه هاشم بن عبد مناف في طريقه إلى الشام، وفيه رأى سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النّجّار تأمر بما يُشترى ويُباع لها، فسأل عنها، وأعجبته فتزوجها، وهي أم ولده عبد المطلب[190]، وبقيت هذه السوق حتى بعد الهجرة النبوية، وكانت تباع فيها الإبل حيث اشترى مِنها النبي ﷺ ناقتين مِن بني عامر[191].

---

(188) ابن الجوزي، **تنوير الغبش في فضل السودان والحبش،** تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، الرياض، 1998، ص. 76؛ السيوطي، **رفع شأن الحبشان،** تحقيق: محمد عبد الوهاب فضل، القاهرة، 1991، ص. 91.

(189) ابن حِبّان، **السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،** تصحيح: الحافظ السيّد عزيز بك وآخرون، بيروت، 1987، ص. 140. ويبدو أن الأحباش كانوا مشهورين بالرقص رجالاً ونساء، ومما يشير إلى ذلك ما روته أمّ المؤمنين عائشة قالت: كان رسول الله جالساً فسمعنا لَغَطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله فإذا حبشيّة تزفن والصبيان حولها، فقال: يا عائشة تعالي فانظري فجئتُ فوضعتُ لَحيي على منكب رسول الله فجعلتُ أنظر إليها.... وهذه الحبشية كانت جارية، واللغط الصوت الشديد والضجة التي لا يفهم معناها، وقولها تزفن أي ترقص والصبيان يتفرّجون عليها. ومن المؤكّد أن هذه الحبشيّة كانت أَمَة. (انظر: النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)،** ج. 8، ص. 182-183، رقم: 8908؛ الترمذي، **السنن،** كتاب: المناقب، باب: 17-ت. ،55 ج. 5، ص. 440، رقم: . انظر كذلك: ابن عبد الباقي البخاري، **المصدر السابق،** ص. 46؛ الكاندهلوي، **الكوكب الدُّرّي على جامع الترمذي،** تحقيق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، لكهنؤ، 1975، ج. 4، ص. 410؛ المباركفوري، **المصدر السابق،** ج. 10، ص. 123.) أصل الزفن: الرقص واللعب والدفع. (ابن منظور، **لسان العرب،** مج. 13، ص. 239.)

(190) ابن سعد، **المصدر السابق،** ج. 1، ص. 90.

(191) ابن سعد، **المصدر السابق،** ج. 1، ص. 426؛ حمّاد بن إسحاق، **المصدر السابق،** ص. 107؛ الصالحي، **المصدر السابق،** ج. 7، ص. 407؛ الطبري، **التاريخ،** ج. ص. 176.

ويبدو أن تسمية السوق بسوق النبط نسبة إلى أنباط الشام القادمين إلى يثرب[192]، ومما يشير إلى وصول النبط إلى يثرب قول عبد الله بن أبي أوفى: «كنّا نسلف نبيط الشام في الحنطة والشعير والزيت». وفي رواية: «كنّا نصيب المغانم مع رسول الله ﷺ فكان يأتينا أنباط مِن أنباط الشام فنسلفهم في الحنطة والشعير والزيت إلى أجل مسمى»[193]. وفي رواية: كنّا نسلف نبيط أهل الشام في البُر والزبيب ورسول الله ﷺ فينا[194]، وفي رواية قال: غزونا مع رسول الله ﷺ الشام فكان يأتينا أنباط مِن أنباط الشام فَنَسْلفهم في البُر والزيت سعراً معلوماً وأجلاً معلوماً[195]. والظاهر مِن الرواية الأخيرة أن التواصل مع الأنباط لم يكن في المدينة فحسب بل كان في غزوة تبوك[196]، وكان هؤلاء الأنباط يجلبون الدرمك، وهو الدقيق الجيّد، بل هو أفضل أنواع الدقيق، وهو المعروف بالحواري، وهو الذي يطلق عليه في بلاد الشام بالطحين الزيرو[197]، ولذلك لا يشتريه سوى الموسرين مِن أهالي المدينة[198]، وكان يصنع مِنه الخبز الصافي[199]، وقد أشار إليه الشاعر الأعشى في قوله[200]:

---

(192) أحمد أمين سليم، **جوانب مِن تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة**، الإسكندرية، 1996، ص. 247؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 602؛ سعيد الأفغاني, **المرجع السابق**؛ ص. 105؛ فاطمة علي باخشوين، **المرجع السابق**، ص 184.

(193) البخاري، **الصحيح**، كتاب: السلَم، باب: السلَم إلى مَن ليس عنده أصل، رقم: ،2244 ج. 2، ص. 49، وباب: السلم إلى أجل معلوم، ج. 2، ص. 50، رقم: 2254؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 6، ص. 25؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 8، ص. 8، رقم: 10477.

(194) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 7، ص. 54، رقم: 2354.

(195) أبو داوود، **السنن**، رقم: 3466.

(196) السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 145؛ العظيم آبادي، **المصدر السابق**، ج. 9، ص. 351.

(197) أحمد رضا، **معجم متن العربية**، بيروت، 1958، مج. 2، ص. 406؛ رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي، بغداد، 1978، ج. 4، ص. 340. ولفظة «درمك» فارسية معرّبة. (السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخران، بيروت، 1970، ج. 1، ص. 275.) ولا يصحّ قول مَن يقول إن العرب أوّل ما رأوا الدقيق الحواري في أثناء فتحهم للمدائن. (ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 14، ص. 78، رقم: 17628؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 192؛ الشبلي، **محاسن الوسائل في معرفة الأوائل**، تحقيق: محمد ألتونجي، بيروت، 1992، ص. 157.)

(198) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ص. 278.

(199) محمد بن فارس الجميل، **الأطعمة والأشربة في عصر الرسول** ﷺ، الكويت، (حوليات كليّة الآداب – جامعة الكويت)، الحولية: 17، الرسالة: 114، 1996—1997، ص. 48.

(200) **الديوان**، ص. 265، رقم: 32.

درمك لـــــنـــــا غـــــدوة ونشِـــيـــــلُ

وصـــبـــوح مـــبـــاكـــر واغـــتـــبـــاق

وكان هؤلاء الأنباط يجلبون معهم أيضاً الأقمشة والمنسوجات[201]، والزيوت. وكثيراً ما

(201) نورة بنت عبد الملك آل الشيخ، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام**، جدة، 1983، ص. 157. ومِن أمثلة المنسوجات التي كان يجلبها هؤلاء الأنباط إلى المدينة مِن الشام الجبب؛ فقد روى المغيرة بن شعبة أنّه رأى النبي عليه الصلاة والسلام وعليه جُبّة شامية ضيّقة الكمّين. وفي رواية: جبّة رومية ضيّقة الكمّين. (البخاري، **الصحيح**، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في الجبّة الشامية، ج. 1، ص. 97، رقم: 363؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: الطهارة، باب: المسح على الخفّين، ج. 1، ص. 239، رقم: 77، 79. انظر كذلك: أبا داوود، **السنن**، كتاب: الطهارة، باب: المسح على الخفّين، ج. 1، ص. 38، رقم: 151؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 30، ص. 92—93، 106—107، 129، 130، 133، أرقام: 18159، 18170، 18193، 18196؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 5-6، رقم: 3070، ص. 25؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 1، ص. 281؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في لبس الجبّة والخفّين، ج. 4، ص. 27، رقم: 1768؛ المؤلف نفسه، **شمائل النبي ﷺ**، تحقيق: ماهر ياسي فحل، بيروت، 2000، ص. 66-70، رقم: 70؛ الحميدي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 334، رقم: 757؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 20، ص. 371، 372، 373، أرقام: 864، 866، 868، 869؛ عبد الرزّاق، **المصنّف**، ج. 1، ص. 191، 193، رقم: 747، 749؛ الحافظ المِزّي، **تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، بيروت، 1983، ج. 8، ص. 485، رقم: 11516؛ النسائي، **السنن**، تحقيق: عبد الغفّار البنداري وسيّد كسروي، بيروت، 1991، كتاب: الطهارة، باب: المسح على العمامة مع النّاصية، ج. 1، ص. 87-88، رقم: 111. قال عنه الترمذي: حسن صحيح، وقال عنه محقّق الشمائل: إسناده صحيح.) والجبّة نوع مِن مقطعات الثياب، وكانت مما يقطع ويفصّل ويخاط. وكان لبس النبيﷺ لهذا النوع مِن الجبب إنّما كان لحال السفر لاحتياج المسافر إلى ذلك، وأنّه في السفر يلبس فيه غير المعتاد في الحضر، ولا منافاة بين كون الجبّة رومية أو كونها شامية؛ لأنّ الشام حينئذ داخلة ضمن النفوذ الرومي أو البيزنطي فكأنّهما واحد مِن حيث المُلك. أو أن الروم كانوا سكان الجهات الشمالية مِن بلاد العرب. (ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 329؛ ابن حجر الهيثمي، **أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل**، تحقيق: أبي الفوارس أحمد بن فريد المزيدي، بيروت، 1998، ص 132—133؛ ابن العربي، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، توثيق وضبط: صدقي جميل العطّار، بيروت، 1995، مج. 4، ص. 212؛ عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللحجي، كتاب منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ﷺ، بيروت، 1998، ج. 1، ص. 461، 462؛ المباركفوري، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 377؛ محمد بن فارس الجميل، **اللباس في عصر الرسول ﷺ**، (حوليات كلية الآداب-جامعة الكويت، 14، الرسالة: 91)، الكويت، 1994، ص. 69؛ محمد محمود خطّاب السبكي، **المنهل المورود شرح سنن الإمام أبي داوود**، بيروت، ب.ت.، مج. 1، ج. 2، ص. 103، 110.) وكان مِن المنسوجات ملابس حريرية تعرف بالقسي فعن علي رضي الله عنه: أن القسية ثياب أتتنا مِن الشام أو مِن مصر مضلّعة فيها حرير. ويقال إنّها منسوبة إلى قرية بين مصر والشام. وهي ملابس مضلّعة وفيها أمثال الأُترج. وقيل هي ثياب كتّان مخلوط بحرير. (البخاري، **الصحيح**، كتاب: اللباس، باب: لُبْس القسي، ج. 4، ص. 46. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 360، 361؛ ابن سِيْدَه، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت، 2000، مج. 6، ص. 105؛ الحميدي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 29، رقم: 52؛ الخطّابي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 190؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **السراج الوهّاج مِن كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**، تحقيق: عبد التواب هيكل، الدوحة، 1983، ج. 8، ص. 48؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم بفوائد مسلم**، تحقيق: يحيى إسماعيل، القاهرة، 1998، ج. 6، ص. 567؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 14، ص. 2565.)

كـان أهـل يثرب يدفعـون إليهـم مقدّماً ثمن البضائع والسلع ليضمنوا ورودها إليهـم[202]. ويرى بعـض الباحثين أن النصـارى اليثربيين كانوا مقيمـين في سـوق النبط[203]. وقيل: إن هـؤلاء النبط هـم نصارى الشام، وهـم مِن العرب[204]. ومما يشير إلى نصرانيتهم أن عظيم أنباط الشام دعا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه للغداء في الكنيسة، فاعتذر عن الذهاب لوجود الطعام في الكنيسة. وذُكر أن عمر اشترط على أنباط الشام للمسلمين أن يصيبوا مِن ثمارهم وتبنهم أو مِن تينهم[205]. ومادام هؤلاء النبط نصارى فمِن الطبيعي أن يعرّفوا سكان المدينة بديانتهم[206].

وظلّ تواصل هؤلاء النبط مع المدينة حتى في عهد الخلافة الراشدة، وقد فرض عليهم الخليفة عمر نصف العشر على الحنطة والزيت، والعشر على المنسوجات. وكان تعشير نبط الشام باتّفاق بينهم وبين الخليفة عمر[207]. ويبدو أنّهم هم أنفسهم الذين سمح لهم الخليفة عمر بالبقاء في المدينة ثلاثة أيّام يتسوّقون بها ويقضون حوائجهم، ولا يقيم أحد مِنهم فوق ثلاث ليالٍ غير يوْمَيّ دخولهم وخروجهم[208]. ولما سُئل ابن شهاب: على أي وجه أخذ الخليفة عمر مِن النبط العُشر؟ قال: كان ذلك يؤخذ مِنهم في الجاهلية، فأَلْزَمهم ذلك

(202) أحمد إبراهيم الشريف، **مكة والمدينة في الجاهلية**، ص. 372.

(203) محمد بيومي مهران، **المرجع السابق**، ص. 443.

(204) السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 145؛ العظيم آبادي، **المصدر السابق**، ج. 9، ص. 351؛ العيني، **عمدة القاري**، ج. 10 ص. 54-55؛ فيلبيب حتي وإدوارد جرجي وجبرائل جيور، **المرجع السابق**، ص. 75؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 8، ص. 280. يقال إن النسب إلى الأنباط: نَبطي ونُباطي ونَباطي. (ابن سِيْدَه، **المصدر السابق**، مج. 9، ص. 195.)

(205) ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 185، ج. 42، ص. 6؛ ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، تحقيق: روحية النحاس وآخران، دمشق، 1984، ج. 1، ص. 230، ج. 17، ص. 298.

(206) أحمد أمين سليم، **المرجع السابق**، ص. 247؛ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس، **المرجع السابق**، ص. 52.

(207) ابن سلاّم، **المصدر السابق**، ص. 531؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، ج. 1، ص. 342، 344، 360؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 210؛ الخلاّل، **أحكام أهل المِلل من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: سيّد كسروي حسن، بيروت، 2002، ، ص. 73. الشافعي، **كتاب الأم (موسوعة الإمام الشافعي) مج. 5**: كتاب الجزية، تحقيق: أحمد بدر الدين حسون، بيروت، 1996، ص. 159.

(208) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 12، ص. 345، رقم: 13038؛ البيهقي، **السنن الصغرى**، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، بيروت، 1989، ج. 4، ص. 7-8؛ المنوفي، **نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، بيروت، 1994، ج. 8، ص. 91.

عمر[209].

ويبدو أن مسمّى الأنباط يشمل أكثر أهل الشام عرباً وغير عرب، وهذا ما يُفهَم مِن قول الخليفة عمر رضي الله عنه في رسالته لأهالي حمص: «لا تنبّطوا في المدائن»؛ أي لا تشبّهوا بالأنباط في سكنى المدن والنزول بالأرياف واتخاذ العقار والمِلك[210]. وعرّف بعضهم النبيط أو الأنباط أنّهم قوم مِن العرب دخلوا في العجم والروم، واختلطت أنسابهم وفسدت ألسنتهم، ومَن اختلط مِنهم بالروم نزلوا في بوادي الشام[211]. وقيل: هم أهل الزراعة مِن أهل الشام[212]. وكان هؤلاء النبط يأتون بالطعام يبيعونه في المدينة[213]، وكانت أرض الشام تُعرف بأرض النبط أو النبيط، وهذا ما يُفهَم مِن قول الشاعر الأعشى:

أتيتُ النجاشي في أرضه

وأرض النبيط وأرض العجم[214]

وهذا ما يُفهَم أيضاً مِن قول عبد الله بن مسعود: «إنكم نزلتم بين فارس والنبط فإذا اشتريتم لحماً فإنْ كان ذبحه يهودي أو نصراني فكلوا....»[215]، وعُرف هؤلاء الأنباط أيضاً بالسّاقطة؛ إذ كانوا يقدِمون المدينة بالزيت والحبوب في الجاهلية وبعد الإسلام كذلك. وكانت أخبار الشام عند المسلمين لكثرة مَن يقدِم عليهم مِن الأنباط[216]. وعُرف هؤلاء

(209) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 210. انظر كذلك: علي الصوّا، «موقف الإسلام مِن غير المسلمين في المجتمع الإسلامي»، في كتاب: **معاملة غير المسلمين في الإسلام**، تحرير: ناصر الدين الأسد، عَمان، 1989، ج. 1، ص. 195.

(210) ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 9، ص. 466؛ الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1971، ج. 3، ص. 402. مِن الغريب أن أبا عبيد بن سلاّم أطلق تسمية نبطي على أحد أقباط مصر. (**المصدر السابق**، ص. 160.)

(211) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 4، ص. 542، 546.

(212) صدّيق بن حسن القنوجي، **السراج الوهّاج**، ج. 11، ص. 33؛ العيني، **عمدة القاري**، ج. 10، ص. 54-55؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 17، ص. 3188.

(213) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 150.

(214) **الديوان**، ص 91، رقم: 4.

(215) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 12، ص. 253، رقم: 12739. وانظر كذلك: الخلاّل، **المصدر السابق**، ص. 378.

(216) الواقدي، **كتاب المغازي**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، 2004، مج. 2، ص. 379.

الأنباط بالطّائفة وبالضّافِطَة[217]. ويبدو أنّهم هم أنفسهم الذين نقلوا أخبار انتصار الروم على الفرس إلى المسلمين؛ فقد وردت الإشارة عن عبد الله بن مسعود: «..... فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس»[218]. ويذكر الخطيب الشربيني أن القبط أيضاً كانوا يأتون إلى المدينة يتّجرون فيها بالأنسجة والحبوب، وأن الخليفة عمر أمر بتعشيرهم أسوة بالنبط[219].

---

(217) الترمذي، **السنن**، كتاب: تفسير القرآن، باب: ومِن سورة النساء: م22—ت تابع 5، ج. 5، ص. 89، رقم: 3036. انظر كذلك: ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 43 ،2؛ ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، ج. 1، 163؛ المباركفوري، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 314. الضافِط والضَّفَّاط والضّفّاطون: الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن، والمكاري الذي يكري الأحمال. وعادة ما تطلق على العير أو رفقة فيها ميرة. (ابن الأثير (مجد الدين)، **النهاية في غريب الحديث**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، بيروت، 1963، ج. 3، ص. 94، 95؛ ابن سِيْدَه، **المصدر السابق**، مج. 8، ص. 175؛ الجريري، **الجليس الصالح الكافي**، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، 1993، ج. 2، ص. 351؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 10، ص. 327.)

(218) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 575. إضافة إلى ما سبق فإن اسم «نبْط» يطلق أيضاً على وادٍ بناحية المدينة قرب حوارء التي بها معدن البرام، ويحتمل أن لفظة «النبط» هي نفسها النَّبِيت (أو ثَيْب أو يتيب أو تيت أو نيب)، وهو جبل بصدر قَناة، على بريد من المدينة، وكان أبو سفيان لما انصرف مِن بدر نذَر ألا يمسّ رأسه ماء حتى يغزو محمداً، فخرج في مائتي راكب ليُبِر بيمينه، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يقال له النبيت، فبعث رجالاً إلى المدينة، فأتوا ناحية يقال لها العُرَيض فحرّقوا في نخل بها، وقتلوا رجلاً مِن الأنصار وحليفاً له في حرث لهما، فلِحق بهم الناس، وخرج رسول الله ﷺ في طلبهم، فهرب أبو سفيان ومَن معه، وهي المعروفة بغزوة السويق. وكان كعب بن مالك يترحّم على أسعد بن زرارة؛ لأنّه أوّل مَن جمعهم أربعين رجلاً في هزْم النبيت مِن حرّة بني بياضة، وهزْم النبيت مضاف إلى قبيلة مِن الأنصار يقال لهم بنو النبيت، ولعلّ هذا الجبل مِن جبالهم. ويُعرفون أيضاً ببني النبيط وهم بنو نبيط بن مالك بن النجار، والأرجح أنّهم بنو النبيت. (انظر: أبا عبيد البكري، **معجم ما استعجم**، مج. 2، ج. 3، ص. 127، ج. 4، ص. 141—142؛ ابن إسحاق، **المصدر السابق**، ص. 291. فقرة: 490؛ ابن حبيب، **مختلف القبائل ومُؤتلفها**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت/القاهرة، 1981، ص. 87؛ ابن قدامة المقدسي، **الاستبصار في أنساب الأنصار**، ص. 29، 30؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 336؛ الحازمي، **الأماكن**، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، 1415 هـ، ج. 2، ص. 877؛ عاتق بن غيث البلادي، **المرجع السابق**، ج. 2، ص. 51، ج. 9، ص. 25؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 1678؛ ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 492.) والبرام هو المعروف بحجر الحية، وهو مرمر مرقط، وأبرام هو الكحل المذاب. (أحمد رضا، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 282؛ رينهارت دوزي، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 312.)

(219) الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج**، القاهرة، 1958، ج. 4، ص. 247. ويحتمل أن تكون لفظة «قبط» تصحيف لنبط.

ومما لا شك فيه أن المدينة كانت تضمّ أكثر مِن سوق للتجارة والبيع والشراء والعرض[220]، ويروى في هذا أن قيس بن أبي غرزة يقول كنّا نُسمّى في عهد رسول الله ﷺ السماسرة[221]، فمرّ بنا رسول الله ﷺ فسمّانا باسم هو أحسن مِنه، فقال: يا معشر التجّار....[222]. وعن البراء بن عازب، قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن نتبايع بالسوق، فقال: يا معشر التجار..... فسمّانا يومئذ التجار[223]. وتشير بعض روايات الحديث إلى نوعية البيع وطبيعة التعامل الاقتصادي منها قول قيس: ونحن نبيع الرقيق بالمدينة، وفي رواية

(220) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 7، ص. 21، رقم: 2240؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** شرح، ج. 4، ص. 375؛ ابن شبّه، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 183، 184؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 13، ص. 304؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ج. 1، ص. 486؛ نورة بنت عبد الملك آل الشيخ، **المرجع السابق**، ص. 144، 145.

(221) السمسار: هو المتوسّط بين البائع والمشتري، وهو أيضاً مالك الشيء وقيّمه والحافظ له، والسمسرة أيضاً تعني البيع والشراء. وهي لفظة فارسية أو أعجمية معربة، والجمع سماسرة. (انظر: ابن الأثير (مجد الدين)، **جامع الأصول من أحاديث الرسول** ﷺ، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، 1984، ج. 2، ص. 58؛ ابن فضل الله المحبي، **قصد السبيل فيما في العربية مِن الدخيل**، تحقيق: عثمان محمود الصيني، الرياض، 1994، ج. 2، ص. 152-153؛ الطيبي، **المصدر السابق**، مج. 7، ص. 2118؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 843؛ القاري، **مِن مرقاة المفاتيح**، مج. 3، ص. 302.)

(222) ابن الجارود، **المنتقى**، لاهور، 1983، ص. 194-195، رقم: 557؛ أبو إسحاق الحويني الأثري، **كتاب عون المعبود بتخريج منتقى ابن الجارود**، بيروت، 1988، ج. 2، ص. 152-153؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 26، ص. 56، 58، رقم: 16134، 16135؛ ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 7، ص. 21، رقم: 2240؛ ابن قانع، **المصدر السابق**، ج. 12، ص. 4311؛ ابن ماجه، **السنن**، كتاب: التجارات، باب: التوقي في التجارة، ج. 2، ص. 263، رقم: 2145؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 5، ص. 266؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: البيوع، باب: ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إيّاهم، ج. 3، ص. 334، رقم: 1208؛ الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 328-329، رقم: 2072، 2080؛ النسائي، **السنن (الموسوعة الحديثية)**، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف والكذب لِمَن لم يعتقد اليمين بقلبه، ج. 4، ص. 445، رقم: 4720، 4721.

(223) الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 330، رقم: 2082. مع أنّهم كانوا يمارسون التجارة منذ القديم إلا أن لفظة السماسرة كانت شائعة بينهم، فبدّل النبي ﷺ وسماهم التجار، وربما كانت لفظة «سمسار» تطلق على صنف مِن مزاولي بعض الأعمال التجارية الصغيرة. وقد كان أكثر مَن يمارس البيع والشراء فيهم العجم، فتلقّبوا بهذا الاسم عندهم، فسمّاهم النبي ﷺ اسماً من التجارة التي هي اسم عربي. أو أن اسم التاجر أشرف مِن السمسار في العرف العام، أو أن لفظة «التجارة» ذُكرت في القرآن على سبيل المدح. (ابن الأثير (مجد الدين)، **جامع الأصول**، ج. 2، ص. 58، 364، ح. (2)؛ ابن بَرِّي، **المصدر السابق**، ص. 111؛ الخزاعي التلمساني، **كتاب تخريج الدلالات السماعيّة**، تحقيق: أحمد محمد أبو سلامة، القاهرة، 1981، ص. 718؛ الخطّابي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 53؛ سعيد الأفغاني، **المرجع السابق**، ص. 29، ح. (1)؛ الطيبي، **المصدر السابق**، مج. 7، ص. 2118؛ القاري، **مِن مرقاة المفاتيح**، مج. 3، ص. 302؛ الكاندهلوي، **الكوكب الدُّرّي**، ج. 2، ص. 278.)

كنّا المدينة نبيع أوساقاً ونبتاعها. وفي رواية فأتانا ونحن بالبقيع ومعنا العصي[224]. و«أوساق» جمع «وسق»؛ وهو التمر والشعير ونحو ذلك، ويبدو مِن روايات الحديث أن بعضهم كان يبيع الرقيق، وبعضهم كان يبيع الشعير والتمر[225].

ولم تكن المدينة مقصداً لنصارى الشام فحسب؛ بل قدِم إليها جماعات وأفراد مِن نصارى العرب مِن بقيّة أجزاء شبه الجزيرة العربية، ومما يدلّ على ذلك أنّه في عام الوفود– كما سنشير إلى ذلك لاحقاً– قدم وفد مِن بني عبد القيس مِن البحرين، وكانت النصرانية فاشية في هذه القبيلة العربية المشهورة. وقبل وصول الوفد إلى المدينة قال النبي ﷺ لأصحابه: سيطلع عليكم مِن هاهنا رَكْبٌ هم خير أهل المشرق، فقام الخليفة عمر فتوجّه نحوهم، فلقي ثلاثة عشر راكباً فقال: مَن القوم؟ فقالوا: مِن بني عبد القيس. قال: فمَا أقدمكم أَلِتجارة؟ قالوا: لا. قال: أمَا أن النبي ﷺ قد ذكركم آنفاً فقال خيراً[226]. وشاهِدُنا مِن القصّة قول عمر: «فما أقدمكم أَلِتجارة؟» مما يشير إلى مجيء هؤلاء القيسيين إلى المدينة للتجارة والبيع والشراء. ومما يدلّ على ذلك أيضاً أن شخصاً يُدْعى منقذ بن حِبّان أحد بني غَنْم بن وديعة، وهو ابن أخت أشجّ عبد القيس، وكان متجره إلى يثرب في الجاهلية، فأتى إلى المدينة بملاحف وتمر مِن هجر بعد هجرة النبي عليه الصلاة والسلام إليها، فبينما منقذ قاعد إذ مرّ به النبي ﷺ وتحدّث معه وسأله عن أشرافهم رجلاً رجلاً، فأسلم منقذ وحفظ سوراً وآيات مِن القرآن، ومسح الرسول عليه الصلاة والسلام وجهه[227]. ومما يشير إلى ذلك أيضاً أن أبا مرحب سويد بن قيس ومخرمة (أو مخرفة أو مخرقة) العبديّيْن جلبا ثياباً مِن هجر بالبحرين، وكان مِن ضمنها عدد مِن السراويل، وقد اشترى مِنها رسول الله ﷺ. (ولهذا اشتهر سويد بن قيس عند علماء الحديث بصاحب حديث السراويل). وقد صرّحت بعض

(224) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 26، ص. 59-60، رقم: 16137، 16138؛ ابن أبي عاصم، **الآحاد والمثاني**، تحقيق: حاسم فيصل الجوابرة، الرياض، 1991، مج. 2، ص. 287، رقم: 1014؛ أبو نعيم الأصفهاني، **حِلية الأولياء**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1997، مج. 7، ص. 141؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 7، ص. 34؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 2، ص. 5، 6.

(225) البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 21.

(226) الصالحي، **المصدر السابق**، 6، ص. 367.

(227) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 331؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 96؛ الصالحي، **المصدر السابق**، 6، ص. 372.

الروايات أنّهما التقيا بالنبي ﷺ وهو بمكة[228]. ولكن هذا لا يمنع أنّهما كانا يقدمان إلى المدينة بتجارتهما[229].

(228) مَن لم يصرّح بمكان اللقاء بين العبديَّيْن والنبي ﷺ: ابن ماجه **السنن**، ك. التجارات باب: الرجحان في الوزن ج. 2، ص،290 رقم: 2220؛ الترمذي **السنن**، ك. البيوع، باب: ما جاء في الرجحان في الوزن ج. 3، ص. 386، رقم: 1305. قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح. انظر كذلك: ابن بلبان، **المصدر السابق**، مج. 11، ص. 547، 548، رقم: 5147؛ (قال محقّق الكتاب: إسناده حسن مِن أجل سماك بن حرب وباقي السند رجاله ثقات رجال الصحيحين غير صحابيه فقد روى له أصحاب السنن.) ابن الجارود، **المصدر السابق**، ص. 195، رقم: 559؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، 1994، ج. 6، ص. 38؛ أبو إسحاق الحويني الأثري، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 154-155؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 31، ص. 444-445، رقم: 19098؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 6، ص. 33؛ الدولابي، **الكنى والأسماء**، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت، 1999، مج. 1، ص. 70، رقم: 1/267؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 8، ص. 72، رقم: 7402؛ الطيالسي، **المصدر السابق**، ص. 165، رقم: 1192؛ الحافظ المِزِّي، **تهذيب الكمال**، ج. 12، ص. 269. انظر كذلك: ابن ماجه، السنن ك. التجارات باب: الرجحان في الوزن، ج. 2، ص. 291، رقم: 2221؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 260؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 481. الإمام أحمد، **المسند**، ج. 31، ص. 446، رقم: 19099، البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 6، ص. 32-33؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 2، ص. 30-31؛ الدارمي، **السنن**، مج. 2، ص. 338، رقم: 2585؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 7، ص. 89، رقم: 6466. قال عنه الحاكم: والحديث صحيح وهو على شرط مسلم. انظر كذلك: أبا نعيم الأصفاني، **معرفة الصحابة**، ج. 3، ص. 1398، رقم: 1298؛ ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، مج. 4، ص. 217؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 360؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 189، ج. 6، ص. 40-41؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 238؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 4، ص. 132؛ البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**, ج. 15، ص. 49، ج. 17، ص. 239؛ العظيم آبادي، **المصدر السابق**، ج. 9، ص. 185-186؛ المباركفوري، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 532.

(229) **ومما** يشير إلى ذلك ما رواه أبو هريرة مِن أنّه دخل السوق مع النبي ﷺ، فجلس إلى البزازين فاشترى سراويلاً بأربعة دراهم، (وفي رواية رأى مع أعرابي سراويل) وكان لأهل السوق وزّان فقال له رسول الله ﷺ: اتّزن وأَرجح. فقال الوزّان: إنّ هذه لَكَلِمة ما سمعتها مِن أَحد. فقال أبو هريرة: كفى بك مِن الرَّهق والجَفاء في دينك أن لا تعرف نبيّك! فطرح الميزان ووثب إلى يد رسول الله ﷺ يريد أن يقبّلها. فسحب رسول الله ﷺ يده..... (أخرج أبو يعلى هذا الحديث في **مسنده** (ج. 11، ص. 23-25، رقم: 6162). وقال عنه محقّقه: إسناده ضعيف جدّاً، في سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي ضعيف في حفظه، وفي سنده يوسف بن زياد البصري، منكر الحديث، مشهور برواية الأباطيل. انظر الحديث أيضاً عند ابن حبّان، **كتاب المجروحين**، مج. 2، ص. 15. ورواه الطبراني في **المعجم الأوسط** (ج. 6، ص. 432-433، رقم: 6594)، وقال الطبراني: لم يروِ هذا الحديث عن أبي هريرة إلا الأغر، ولا عن الأغر إلا عبد الرحمن بن زياد. وقال عنه القيسراني: رواه أبو حذافة أحمد بن إسماعيل عن مالك بن نافع عن ابن عمر، وفيه عن أنس. وهذا أحد ما أنكر على أبي حذيفة فتُرك لأجله، لأنّه ليس مِن حديث مالك ولا نافع ولا ابن عمر. (**تذكرة الحفّاظ**، تحقيق: حمدي بن عبد المجدي السلفي، الرياض، 2007، ص. 189، رقم: 450.) وقال ابن حجر الهيثمي: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط وفيه يوسف بن زياد البصري وهو ضعيف. (**مجمع البحرين**، ج. 7، ص. 152-153، رقم: 4220؛ **مجمع الزوائد**، ج. 5، ص. 122.) وقال الشوكاني: المذكور في السند هو عبد الرحمن بن أنعم بن زياد الأفريقي، وليس متّهماً بالوضع والكلام فيه معروف وقد روى عنه أبو داود وغيره. (انظر: **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت، 1959، ص. 190-191.)

ومِن التّجّار النصارى الذين قدِموا المدينة للتجارة مِن الشام شخص يدعى سيمونه أو سيمُوَيْه أو سيماه البلقاني، نسبة إلى البلقاء مِن أرض الأردن، وقد عاش 120 سنة. ويقول سيمونه في إحدى زياراته للمدينة: حملتُ القمح مِن البلقاء فبعنا، وأردنا أن نشتري التمر فمنعونا، فأتينا النبي ﷺ فخبّرناه فقال للذين منعونا: أَمَا يكفيكم رخص هذا الطعام بغلاء هذا التمر الذي تحملونه، ذروهم يحملوا. وكان سيمونه شمّاساً، فأسلم وحسن إسلامه[230]. وكونه شمّاساً ربّما يشير إلى قيامه بممارسة شيء مِن الطقوس الدينية النصرانية في أثناء إقامته في المدينة مع غيره مِن النصارى المقيمين.

وممن عرفنا مِن التّجّار النصارى الذين قدِموا المدينة تميم بن أوس الداري وعدي بن بدّاء، وقد صرّح النبي ﷺ نفسه بأنّ تميماً كان نصرانيّاً قبل إسلامه، وكان تميم يُعدّ مِن علماء أهل الكتاب، وكان تميم وصاحبه يأتيان مكة للتجارة في الجاهلية ويطيلان الإقامة بها، فلمّا هاجر النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلى المدينة حوّلا متجرهما إليها، وحدثت لهما قصّة مع شخص مِن المسلمين– وقيل: إن ذلك قبل الإسلام– يدعى بديل بن أبي مريم أو مارية (وقيل: هو بديل بن ورقاء مولى العاص بن وائل السهمي) الذي توفي في أثناء مصاحبته لهما في الشام. وكانت له تركة أتيا بها إلى أوليائه وكتما جاماً (أي كأساً) مِن ذهب، وفي رواية مِن فضّة، وشعر أهل المتوفَّى أنّهما أخذا هذا الجام، فَأَتَيا بهما إلى النبي ﷺ فاستحلفهما بالله ما كتما شيئاً فخلّى سبيلهما. ثم وُجد هذا الجام عند أناس مِن أهل مكة فقام أولياء المتوفى فأخذوا الجام وحلف رجلان مِنهم– وهما عمرو بن العاص وأبو وداعة عوف بن أبي عوف السهمي– بالله أن هذا الجام جام صاحبنا. وقد أسلم تميم بينما ظلّ عدي على نصرانيته، ويحتمل أن يكون دخول تميم الإسلام طواعية ورغبة نتيجة لعلمه الراسخ في الديانة النصرانية، ومعرفته بالديانات السائدة في عصره، وتفكيره الواعي فيها[231]. وكان تميم يأتي إلى المدينة للبيع والمتاجرة مع عدد مِن غلمانه، وكان مِنهم سراج

(230) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 197؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 6، ص. 176، رقم: 4230؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 251؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 7، ص. 169، رقم: 6725.

(231) أبو داود، **السنن**، كتاب: الأقضية، باب: شهادة أهل الذمّة وفي الوصية في السفر، ج. 3، ص. 307، رقم: 3605؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: الوصايا، باب: «يا أيّها الذين آمنوا شهادة بينكم....»، ج. 2، ص. 199، رقم: 2780، وكتاب: تفسير القرآن، باب: م 19—ت تابع 6، ج. 5، ص. 103، رقم: 3059 وباب: م 20—ت تابع 6، =

أبو مجاهد، وأبو البراد ومولاه أبو كثير، وكان يعمل حمّالاً له، وكانوا يتاجرون بالخمر قبل تحريمها، وبالقناديل والمسارج[232].

وعن نافع مولى عمر رضي الله عنه قال: كان عمر لا يدع النصراني واليهودي والمجوسي إذا دخلوا المدينة أن يقيموا بها إلا ثلاثاً، قدر ما ينفقوا سلعتهم. وعن ابن عمر قال: كانت اليهود والنصارى ومَن سواهم مِن الكفار مَن جاء المدينة مِنهم سفراً لا يقرّون فوق ثلاثة أيّام على عهد عمر، فلا أدري (أو ولا ندري) أَكّانَ يُفعَلَ ذلك بهم قبل أم لا[233].

آثار نصرانية في يثرب:

في بيت لأبي قيس صرمة بن أبي أنس يقول فيه:

أقــول إذا صــلــيتُ في كــل بِــيــعــة
حــنــانــيك لا تُــظــهــر عــلــي الأعــاديــا

وقد فسّر محققا السيرة كلمة «بيعة» أنّها المسجد، وهذا ما فسّره الخُشّني أيضاً، وأظنّ أن الشاعر يشير إلى بيعة النصارى؛ وهو البيت الذي فيه صليب النصارى، وهو المعلوم مِن هذه

= ج. 5، ص. 104، رقم: 3060. انظر كذلك: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 501-502؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 408، 488، ج. 4، ص. 387؛ الأُدكاوي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 166-167؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 203؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 45، 376؛ السمرقندي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 465؛ السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 10، ص. 16؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 576، 577، 578؛ عبد الرزاق، **التفسير**، تحقيق: مصطفى مسلم محمد، الرياض، 1989، ج. 1، ص. 200؛ محمد محمد حسن شُرّاب، **تميم بن أوس الداري**، دمشق، 1990، ص. 73—74، 80، 222—233؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 175. ذِكر النبي ﷺ لتميم، انظر: أبا داود، **السنن**، كتاب: الملاحم، باب: في خبر الجسّاسة، ج. 4، ص. 119، رقم: 4326. وقال الترمذي: هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح. وعلّق عليه محقّق سنن الترمذي بقوله: انفرد به الترمذي.

(232) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 194؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 32-33؛ ج. 7، ص. 30، 284؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 242؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 14، ص. 417؛ ابن ماكولا، الإكمال، تعليق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، حيدر آباد، 1962، ج. 4، ص. 289؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج.،3 ص. 1443، رقم: 1364؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 209.

(233) عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 6، ص. 51، رقم: 9977، ص. 52، رقم: 9979، ج. 10، ص. 358، رقم: 19362.

اللفظة[234]. وربما كان المسجد نفسه الذي بناه صرمة لتعبّده واعتكافه وتزهّده قبل مجيء النبي ﷺ للمدينة، وكان لا تدخل عليه طامث، ولا يدخل عليه جنب[235]. ومِن الجدير بالذِكر أن لفظة «بيعة» وردت في كتاب النبي ﷺ إلى أهل نجران[236]، وهو يعني تحديداً مكان عبادة النصارى[237]، ومما يدلّ على ذلك قوله تعالى: «... ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيه اسم الله كثيراً..». (الحج: 40) إذ فرّق الله عز وجل بين البيعة والمسجد.

وتشير بعض الروايات إلى وجود دير يهودي بالقرب مِن بئر رومة المشهورة الواقعة في وادي العقيق، إلى الغرب مِن المدينة، وكانت البئر في منطقة واسعة مِن الأرض. ووُصف هذا الدير بأنّه مبني مِن حجارة عظيمة ومِن الجصّ، وأنّه تعرّض للخراب[238]. وذكر قطب الدين النهرواني نقلاً عن ابن النّجّار وصف بئر رومة، ثم قال: وكان بقربها دار اليهودية بدلاً مِن «دير»[239]. ويبدو أن أقدم مَن قال بأنّ هذا البناء كان ديراً قديماً هو ابن النّجّار المتوفى عام 643 هـ، ثمّ نقل عنه هذه المقولة زين الدين المراغي المتوفى عام 816 هـ، والخوارزمي المتوفى عام 827 هـ، والسمهودي المتوفى عام 911 هـ. ولم يتطرّق ياقوت الحموي المتوفى عام 626 هـ

---

(234) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 110-111؛ الخشني، **المصدر السابق**، ص. 137. انظر كذلك: ابن فضل الله المحبي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 320؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 3، ص. 1170، 1171؛ الرحبي الحنفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 480.

(235) ابن قدامة المقدسي، **الاستبصار في أنساب الأنصار**، ص. 18؛ عبد الرحمن عميرة، **رجال أنزل الله فيهم قرآناً**، بيروت، 1999، مج. 1، ج. 4، ص. 42.

(236) محمد حميد الله، **مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة**، القاهرة، 2000، ص. 81، 84.

(237) الرحبي الحنفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 480. يقول ابن عطية: إنّ البيعة مختصّة بالنصارى في عُرْف لغة العرب. (**المصدر السابق**، ج. 10، ص. 293.) انظر كذلك: البِشْبيشي، **جامع التعريب بالطريق القريب**، تحقيق: نصوحي أونال قره أسلان، القاهرة، 1995، ص. 71. ومما يؤكّد ذلك أن لفظة بيعة بمعناها العربي موجودة في الآرامية والسريانية. (Jeffery, A., op.cit., pp. 86, 87.)

(238) ابن النجار، **المصدر السابق**، ص. 181؛ الخوارزمي، **إثارة الترغيب إلى تاريخ المساجد الثلاثة والبيت العتيق**، تحقيق: سيّد كسروي حسن، بيروت، 2000، ص. 373؛ زين الدين المراغي، **المصدر السابق**، ص. 214؛ السمهودي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 379؛ العبّاسي، **المرجع السابق**، ص. 218؛ الفيروزآبادي، **المغانم المُطابة**، ص. 43؛ محمد كبريت بن عبد الله الحسيني، **الجواهر الثمينة في محاسن المدينة**، تحقيق: عائض الردادي، الرياض، 1998، ج. 1، ص. 274؛ المَطَري، **المصدر السابق**، ص. 63.

(239) **تاريخ المدينة**، تحقيق: محمد حسن محمد، بيروت، 1997، ص. 55.

إلى وصف البئر ومحيطها ومبانيها(240). وفي نصّ في إحدى فتاوي الإمام السبكي الشافعي المتوفى عام 756 هـ يقول فيه: بلغني أن بالمدينة اليوم آثار كنائس منهدمة لليهود لمّا كانوا بها(241). ولم يحدّد الشيخ مكان هذه الكنائس، وأظنّ قوله لا يبعد عن تحديد ابن النّجّار لها.

ولِمناقشة موضوع هذا الدير سنتطرّق إلى عدّة أمور؛ أوّلها: معنى لفظة دير، وهل لها صلة باليهود أم بالنصارى، ثانيها: هل هذا المبنى دير فعلاً أم أنه أحد بقايا القصور القديمة، ثالثها: مكان هذا البناء وأرضه المحيطة به والعمارة فيها.

أولاً: مِن المعروف أن لفظ «دير» نفسها آرامية أو سريانية الأصل؛ وتعني مكان العبادة الخاص بالرهبان، أو المكان الذي يتعبّد فيه الرهبان، وأصبح علَماً لهم، وجمعه أديار، وقيل: هو خان النصارى، وعُرف بدير الراهب أي صومعته، وهو الذي يسكن الدير ويعمّره. وأكثر ما تكون الأديرة في ضواحي المدن أو على قمم الجبال، أو في المواضع البعيدة عن الناس والمنقطعة عن تجمّعاتهم(242). وهي لفظة مخصوصة بالنصارى تحديداً(243). ثانياً: ذكر أحمد ياسين الخياري المتوفى عام 1380 هـ أن هذا

---

(240) **معجم البلدان**، ج. 1، ص. 356-357.

(241) **الفتاوى**، بيروت، ب.ت.، ج. 2، ص. 380.

(242) ابن عبد الحق البغدادي، **مراصد الإطلاع**، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت، 1992، مج. 2، ص. 549؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 4، ص. 348؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 6، ص. 430؛ أبو الفرج الأصفهاني، **الديّارات**، تحقيق: جليل العطية، لندن، 1991، ص. 13، 14؛ الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: مزيد نعيم وشوقي المعَرّي، بيروت، 1998، ص. 247؛ **المنجد في اللغة والأعلام** (جزء اللغة)، بيروت، 2002، ص. 231؛ ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 563؛ Costaz, L., Syac-English Dictionay, Beiut, 1963, p. 62. وقد وُجدت لفظة «ديره» في العبرية، ولكنّها تعني «مسكناً» أو «منزلاً» خاصة. (ربحي كمال، **المعجم الحديث: عبري–عربي**، بيروت، 1992، ص. 103؛
Feyerabend, K., Langenscheidt's Pocket Hebew Dictionay: Hebew-English Dictionary,Berlin, n.d., p. 86.

(243) ابن الهمام، **شرح فتح القدير على الهداية**، القاهرة، 1970، ج. 6، ص. 58؛ الغنيمي، **اللباب في شرح الكتاب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، 1985، مج. 2، ج. 4، ص. 146؛ الفيومي، **كتاب المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للشافعي**، بيروت، ب.ت.، ص. 279؛ Smith, J. P., op.cit., p. 91 حول تخطيط الأديرة وطرق بنائها وهندستها في العصر الإسلامي المبكّر، انظر: حبيب زيّات، **الديّارات النصرانية في الإسلام**، بيروت، 1938، ص. 13–16.

البناء كان بقايا قصر عبد الله بن عامر بن كريز، وأنّه كان بجانبه أُطم مِن آطام المدينة، وقد تهدّم البنيان، والخياري هو أوّل مَن نسب هذا البناء إلى ابن عامر[244].

ثالثاً: مِن المعروف أن وادي العقيق كان موضعاً للعمارة والبناء، وكانت فيه قصور وآبار وحدائق، فخرب ذلك بمرّ الزمان، ولم يَبقَ منها إلا آثار وأطلال. وذكرت المصادر عدداً مِن القصور المشهورة بناها جماعة مِن الصحابة والتابعين مِنهم: سعد بن أبي وقّاص، وسعيد ابن زيد، وأبو هريرة، وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص، وعروة بن الزبير[245]. وتشير بعض المصادر إلى بناء عبد الله بن عامر قصراً له في منطقة بئر رومة أو بالأحرى وادي العقيق، ولكن لم يحدّد مكانه بالضبط، وأن هذا القصر قد استُخدم في وقعة الحرّة[246]. وأشار ابن حبيب إلى دار ابن عامر برومة الذي تعرّض للنهب والسرقة في أيّام عبد الله بن الزبير[247]. وقيل: إن ابن عامر ابتنى في قباء– وليس بالقرب مِن بئر رومة– قصراً، وجعل فيه زنجاً ليعملوا فيه فماتوا فتركه[248].

ولكن هل هذا البناء الذي سُمّي بالدير هو فعلاً قصر ابن عامر أم لا؟ لا يستبعد بناء ابن عامر قصراً في وادي العقيق أو قباء أو في أي مكان مِن أرض المدينة؛ إذ كان مِن أشهر الناس عمارة وبناء وتشجيراً، واستخراجاً للماء في البصرة وبين مكة والمدينة، وفي مكة نفسها

---

(244) أحمد ياسين الخياري الحسيني المدني، **المرجع السابق**، ص. 184.

(245) ابن الضياء المكي، **المصدر السابق**، ص. 248؛ ابن النجار، **المصدر السابق**، ص. 162؛ زين الدين المراغي، **المصدر السابق**، ص. 224؛ الفيروزآبادي، **المغانم المُطابة**، ص. 268؛ محمد بن كبريت الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 351، 355؛ النهرواني، **المصدر السابق**، ص. 50.

(246) السمهودي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 30-31؛ محمد محمد شُرّاب، **أخبار الوادي المبارك العقيق**، ص. 203؛ المؤلف نفسه، **المعالم الأثيرة**، ص. 198.

(247) **كتاب المُنمّق في أخبار قريش**، تصحيح وتعليق: خورشيد أحمد فارق، بيروت، 1985، ص. 318.

(248) ابن قتيبة، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، 1981، ص. 321.

وعرفة[249]. ولكن العمران في وادي العقيق تعرّض للخراب منذ القِدم؛ فها هو ابن حوقل يذكر أن أكثر المزارع والضياع في الوادي خراب[250]. ويحتمل أن ما ظنه الخياري قصر ابن عامر ليس إلا ما حدث مِن تجديد في المباني القريبة مِن البئر، ولا سيما ما فعله شهاب الدين أحمد بن محمد الطبري عام 747 أو 750 هـ، ثم ما فعله متولّي مشيخة الحرم المدني محمد آغا مجر عام 1040 هـ حين عمرها، وغرس ما حولها بالأشجار وبنى جانبها مسجداً[251]، بقي شاخصاً مدّة مِن الزمن[252]. وذُكر أنّه في عام 1318–1319 هـ./1901 م. كان إلى جوار البئر حوض ومصلّى وحجرة للاستراحة ومزارع كثيرة، وفي شمالي البئر بركة وعيون تحفّ بها

(249) كان ابن عامر جواداً سخيّاً كريماً، وكان يعدّ مِن أجواد الإسلام، وُلد في عهد النبي ﷺ، وتولى البصرة في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم تولاها مدة ثلاث سنوات في عهد معاوية بن أبي سفيان. وقاد حملات موفقة في فتوحات المشرق. ولما عُزل عن ولاية البصرة في أيّام معاوية قدِم المدينة واستقرّ بها مدة، ثم غادرها إلى مكة وتوفي بها على أرجح الروايات وأكثرها، وقيل: توفي بالمدينة، وكان ذلك على الأغلب عام 59 هـ. (انظر: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 183-184؛ ابن حبيب، **المحبّر**، تحقيق إيلزه ليختن شتيتر، بيروت، 1960، 150؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 5، ص. 14-15؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، بيروت، د.ت.، مج. 5، ص. 272-274؛ البخاري، **كتاب التاريخ الصغير**، ج. 1، ص. 100، 164؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 29، ص. 246-271؛ تقي الدين الحسني الفاسي المكي، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، 1998، مج. 4، ص. 370-372؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 4، ص. 10-12؛ خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 4، ص. 94-95؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج. 2، ص. 45؛ السيوطي، **الكنز المدفون والفلك المشحون**، القاهرة، 1939، ص. 215.)

(250) **صورة الأرض**، بيروت، مصورة من طبعة ليدن، 1939، ص. 31.

(251) أيّوب صبري باشا، **موسوعة مرآة الحرمين الشريفين وجزيرة العرب**، أشرف على ترجمتها: محمد حرب، القاهرة، 2004، ج. 4، ص. 780؛ تقي الدين الحسني الفاسي المكي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 104-105؛ الفيروزآبادي، **المغانم المُطابة**، ص. 43. والطبري هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري المكي الشافعي، وُلد في مكة عام 703 هـ وهو خطيب مكة وقاضيها ثلاثين سنة وستة أشهر، مِن بيت علم وقضاء ورئاسة وحديث، عالم في الفقه والحديث والتفسير، توفي في شعبان عام 760 هـ. (انظر: ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، 1984، ج. 2، ص. 108-110؛ ابن رافع السلامي، **الوفيات**، تحقيق: صالح مهدي عبّاس، بيروت، 1982، مج. 2، ص. 221؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1998، مج. 6، ص. 379؛ تقي الدين الحسني الفاسي المكي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 103-106؛ خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 159.) أمّا محمد آغا مجر فقد تولى مشيخة الحرم المدني في الفترة بين عامي 1040 و1045 هـ = 1630/1631 – 1635/1636 م. وهو صاحب الوقف الكبير، وحوش التجّار وغير ذلك مِن أعمال البرّ والخيرات. (انظر: عبد الرحمن الأنصاري، **تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين مِن الأنساب**، تحقيق: محمد العمروسي المطوي، تونس، 1970، ص. 61.)

(252) محمد صادق باشا، **الرحلات الحجازية**، إعداد وتحرير: محمد همام فكري، بيروت، 1999، ص. 131، 225، 404.

أشجار النخيل[253]؛ إذن فهذا البناء ليس مِن بقايا قصر ابن عامر، وفي الوقت نفسه هو ليس ديراً لليهود، وليس ديراً للنصارى بقي شاخصاً إلى أيّام الخياري.

أمّا هل كان للنصارى مبانٍ خاصّة بعبادتهم أو تعليمهم في المدينة؟ فالجواب: إننا لا نعلم على الرغم مِن أنّه كان ليهود المدينة مدراس (أو بيت مدرسة اليهود) يلتقون فيه ليتدارسوا أمور دينهم، وقد دخل عليهم الرسول ﷺ مدراسهم يدعوهم إلى الإسلام[254]. وفي قوله تعالى: «لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق». (آل عمران: 181). وعن سبب نزول الآية: يقول ابن عباس: دخل أبو بكر بيت المدراس فوجد يهوداً قد اجتمعوا إلى رجل منهم[255]. ولذا فَمِن المحتمل أنّه كان لنصارى المدينة مكان لعبادتهم وتجمّعهم، ولكنّه اندرس مع مرور الوقت بعد إسلام أهالي المدينة[256]. أو ربما حلّت المساجد محلّ

(253) انظر: إبراهيم رفعت باشا، **مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية**، القاهرة، 1925، ج. 1، ص. 429-430، 484.

(254) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 149؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 4، ص. 158. انظر كذلك: السمرقندي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 275. يقول جيفري باريندير يبدو أنّه ليس هناك كنائس في مكة أو المدينة على الرغم مِن أن المنطقة المحيطة بشبه الجزيرة العربية كلّها كانت مناطق نصرانية في الشام والعراق والحبشة وغيرها، بل حتى في الدولة الفارسية كان هناك تأثير نصراني نسطوري قوي. انظر:

Parrinder, G., Jesus in the Qur'an, London,1965, p. 162. انظر كذلك: Bell, R., op.cit., p. 42

ومِن دقّة الرواة أنّهم استخدموا المصطلح العبري نفسه وهو مدرش أي يدرس، ولفظة «مدرشا» أي دراسة وطلب وترجمة، ويستخدم اليهود لفظة «بيت مدرشا» أي بيت المدراس بمعنى بيت الدراسة والتعليم وشرح النصوص. انظر: جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 550؛

The Dictionary of Classical Hebew, ed D. J. A. Clines, Sheffield, 2001, vol. 2, p. 150.

(255) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، 2002، مج. 2، ص. 157؛ البَغَوي، **التفسير**، ج. 1، ص. 547؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 222. يرى المؤرخ صالح أحمد العلي أنه كان لليهود مدراس واحد لم تذكر لهم المصادر سواه. وأن هذا المدراس كان له وظيفة دينية وثقافية وليس له أي دور سياسي. (**المرجع السابق**، مج. 1، ص. 24، 100، 174. وفي رأيي أن تعدد الروايات يشي بوجود أكثر مِن مدراس ليهود المدينة ولا سيما أنّهم أكثر مِن قبيلة، وأن لهم توجهات سياسية ودينية مختلفة أحياناً كما دلّت على ذلك أحداث السيرة.

(256) تَردُ في العديد مِن كتب الفقه مسائل بناء الكنائس وترميمها في دار الإسلام. ويذكر الفقهاء عدداً مِن الأحاديث التي تحرّم بناء الكنائس في دار الإسلام، منها قوله ﷺ فيما يرويه أنس: اهدموا الصوامع =

البيع والكنائس[257]. وفي قوله عز وجل: «...... ولولا دفْع الله النّاس بعضهم ببعض لهُدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً...». (الحج: 40) ما يشير إلى وجود مبانٍ وعمائر دينية لغير المسلمين في المحيط الإسلامي في المدينة وخارجها. وهذه الآية تفاوتت أقوال المفسّرين في شرح هذه الآية وتأويلها، ونجملها في أن الله سبحانه يأذن لأهل دينه بمجاهدة الكفّار، ولولا دفع الله أهل الشرك بالمؤمنين وإذنه لهم في جهادهم لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، وعطّلوا ما يبنون مِن مواضع العبادة، ولهذا المعنى ذكر الصوامع والبِيع والصلوات وإن كانت لغير أهل الإسلام. وبعبارة أخرى: ولولا تسليط الله تعالى المسلمين على الكفّار بالمجاهدة لاستولى المشركون على أهل المِلل الأخرى وعلى متعبّداتهم فهدموها، ولو تغلّب المشركون في أمّة محمد ﷺ على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمّتهم لهدموا مواضع عبادة الفريقين، لأنّها مناوئة لعبادة الشرك. أو بعبارة أخرى: دَفَع بما يذكر أهل المساجد في المساجد مِن أسماء الله عن أهل الصوامع والبيع والكنائس. أو هي- كما يراها الفخر الرازي- إشارة إلى تهديم هذه الصوامع في أيّام الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأنّها على كلّ حال يجري فيها ذِكر الله تعالى فليست بمنزلة عبادة الأوثان. كما اختلف المفسّرون في تفسير مواضع العبادة المذكورة، ومن المرجح أن الصوامع أماكن خلوات الرهبان وعبادتهم، وهي المعروفة بالأديرة التي كانت تبنى على طرق التجارة

= واهدموا البيع، وقوله عليه الصلاة والسلام: لا خصاء في الإسلام ولا كنائس أو لا كنيسة، وقوله ﷺ: لا تكون قِبْلتان في بلد واحد. ولكن حُكم على هذه الأحاديث بالضعف سنداً، وضعفها متناً لأنّها تخالف روح الشرع وحسن التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى. (لمزيد مِن المناقشة، انظر: أبا عبيد بن سلاّم، **المصدر السابق**، ص. 103-104؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 3، ص. 1179-1180؛ ابن الهمام، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 57-59؛ ابن نجيم، **الرسائل**، تحقيق: خليل أنيس، بيروت، 1980، ص. 120؛ البابرتي، **شرح العناية على الهداية بهامش شرح فتح القدير لابن الهمام**، القاهرة، 1970، ج. 6، ص. 57-58؛ الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**، ج. 4، ص. 253-254، السبكي، **الفتاوى**، ج. 2، ص. 369 فما بعدها؛ عبد الكريم زيدان، **المرجع السابق**، ص. 96-99؛ علي الصوّا، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 218-220؛ المنوفي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 99؛ النووي، **روضة الطالبين**، مج. 7، ص. 509-511).

(257) وضع الإمام النسائي في **سننه** في كتاب المساجد باباً سمّاه اتّخاذ البيع مساجد، وأخرج تحته حديث طلق بن علي اليمامي عندما أمرهم النبي عليه الصلاة والسلام لهم بأنْ يتّخذوا بيعتهم أو مكان بيعتهم مسجداً. (انظر: النسائي، **السنن**، تحقيق: البنداري وكسروي، كتاب: المساجد، باب: اتّخاذ البيع مساجد، ، ج. 1، ص. 258، رقم: 700.) وسنشير إلى ذلك لاحقاً.

وأطراف المدن والقرى وعلى قمم المرتفعات، والبِيع هي كنائس النصارى تحديداً، والصلوات هي أماكن عبادة اليهود، وهي المعابد. وقدّم الله سبحانه الصوامع والبِيع والصلوات على المساجد؛ لأنّها أقدم في الظهور والعمارة. وتشير الآية أيضاً إلى الدفاع عن حريّة العبادة في الأرض وحماية الأماكن المقدّسة[258].

وفود نصرانية، وأفراد نصارى زائرون:

يروى في سبب نزول قول الله تعالى: «إن الذين يشترون بعهد الله وأَيْمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم». (آل عمران: 77) أن امرأ القيس بن عابس استعدى عليه عيدان بن أشوع (وقيل: أشرح)[259] في أرض، ولم يكن له بيّنة، فأمره الرسول ﷺ أن يحلف[260]. وفي رواية أن رجلاً مِن حضرموت خاصَمَ امرأ القيس بن عابس الحضرمي في أرض، فأمر الرسول ﷺ الرجل أن يحلف، فقال: امرؤ القيس: إن أمكنتَه مِن اليمين يا رسول الله ذهب بأرضي وربّ الكعبة، فقال الرسول ﷺ: مَن حلف على يمين كاذبة ليقطع بها حقّ أخيه لقي الله وهو عليه

(258) انظر: إبراهيم عبد الله رفيدة وآخرون، معاني القرآن الكريم: تفسير لغوي موجز، (جمعية الدعوة الإسلامية)، طرابلس، 2001، ج. 3، ص. 231؛ ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 8، ص. 2497؛ الأعقم، **التفسير**، صنعاء، 1990، ص. 431؛ الزمخشري، **الكشّاف**، ج. 3، ص. 162؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 10، ص. 516-517؛ الطبري، **التفسير**، ج. 16، ص. 578-586؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. 6، ج. 12، ص. 76، 77؛ الماتُريدي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 375-375؛ محمدعزة دروزة، **التفسير الحديث: ترتيب السور حسب النزول**، بيروت، 2000، ج. 6، ص. 58؛ وهبة الزحيلي، **التفسير المنير**، بيروت/دمشق، 1991، ج. 17، ص. 230. وورد عن النبي ﷺ قوله: ..... وستجدون فيهم رجالاً في الصوامع معتزلين عن الناس فلا تعرضوا لهم....» (ابن الملقّن، **البدر المنير**، تحقيق: مصطفى أبو الغيط عبد الحي وآخران، الرياض، 2004، مج. 9، ص. 86-87؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 91.) وعلّق عليه البيهقي بقوله: وهذا أيضاً منقطع وضعيف. وورد عن النبي ﷺ نهيه عن قتل أصحاب الصوامع. (الإمام أحمد، **المسند**، ج. 4، ص. 461، رقم: 2728؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 11، ص. 224، رقم: 11562.) وعلّق عليه ابن حجر الهيثمي (**مجمع الزوائد**، ج. 5، ص. 316-317) بقوله: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الكبير والأوسط، وفي رجال البزار إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وثّقه أحمد وضعّفه الجمهور، وبقيّة رجال البزار رجال **الصحيح**. وقال عنه محقّقو **المسند**: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف.

(259) الثعلبي، **المصدر السابق**، 2، ص. 83.

(260) ابن حجر العسقلاني، **العُجاب في بيان الأسباب**، ص. 265؛ السيوطي، **لباب النقول في أسباب النزول**، ص. 31.

غضبان. فقال الرجل: يا رسول الله فما لِمَن تركها وهو يعلم أنّها حقّ؟ قال: الجنّة. قال: فإنّني أُشهدك أنّي قد تركتها. وقد ذُكر أن الذي خاصمَ امرأَ القيس هو ربيعة بن عِبدان (أو عيدان) بن ذي العرف بن وائل بن ذي طَواف الكندي الحضرمي(261). وقيل: هو ربيعة بن عيدان (أو غيلان) بن ربيعة الكبير بن عيدان بن مالك بن زيد بن ربيعة الحضرمي(262). وقيل: إن عيدان بن أشوع هو نفسه ربيعة بن عِبدان (عيدان)(263)، ورجّح بعضهم أن الصيغة الصحيحة للاسم هي عيدان(264)، واسم أشوع صيغة محرّفة من يشوع أو يسوع مما يمكن أن يعدّ إشارة إلى نصرانية مَن تسمّى بهذا الاسم، وذُكر أن امرأ القيس كان نصرانياً مِن كندة قبل دخوله في الإسلام(265). ووَفَدَ إلى المدينة مع وفْدٍ مِن قومه(266).

---

(261) النسائي، **السنن الكبرى**، (الموسوعة الحديثية)، ج. 5، ص. 428، رقم: 5953. انظر كذلك: أبا نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 2، ص. 1099، رقم: 956؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 160—161، مج. 2، ص. 66؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 262—263، ج. 2، ص. 392؛ المؤلف نفسه ، **العُجاب في بيان الأسباب**، ص. 264؛ ابن عبد البر، **الإستيعاب**، ج. 1، ص. 194-195؛ ابن ماكولا، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 89-99؛ الخطيب البغدادي، **كتاب الأسماء المبهمة**، ص. 429؛ الدَّارَقُطْنِي، **المؤتَلِف والمختلف**، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، بيروت، 1986، مج. 3، ص. 1551، 1660؛ الذهبي، **المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم**، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة، 1962، ج. 2، ص. 233. ولمزيد مِن التعليقات الفقهية والعلمية على هذه القصّة، وتعدّد رواياتها وطرقها، انظر: مسلم، **الصحيح**، كتاب: الإيمان، باب: وعيد مَن اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، ج. 1، ص. 130-131، رقم: 223 (139)، 224؛ أبا بكر بن العربي، **عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي**، بيروت، 1970، ج. 6، ص. 89؛ ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 151؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 5، ص. 93؛ الخطّابي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 43؛ الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 255-257؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 1، ص. 437؛ القرطبي، **المُفهم شرح صحيح مسلم**، تحقيق: الحسيني أبو فرحة وآخرون، بيروت، 1995، مج. 1، ص. 341، 342، 344.

(262) ابن بَشْكُوَال، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 588؛ القيسي الدمشقي، **توضيح المشتبه**، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، 1993، ج. 6، ص. 95—96.

(263) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 632—633.

(264) ابن ماكولا، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 89؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 180—182؛ القرطبي، **المُفهم شرح صحيح مسلم**، مج. 1، ص. 346؛ القيسي الدمشقي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 95—96.

(265) لويس شيخو، **المرجع السابق**، ص. 56.

(266) عبد الرحمن عميرة، **المرجع السابق**، مج. ج. 10، ص. 94 .

هذه القصّة تشبه قصّة أخرى حدثت مع الأشعث بن قيس الكندي الذي اختلف مع ابن عمّ له في بئر بأرض للأشعث. وقيل: إنّ خلافه كان مع رجل مِن اليهود، وكان خلافهما على أرض. وخَصَمه عند النبي ﷺ، فطلب منه النبي ﷺ البيّنة أو الشهود أو أن يحلف الآخر اليمين، فقال الأشعث: يا رسول الله إذنْ يحلف. =

وعن جابر بن سَمُرة قال: جاء جرمقاني إلى أصحاب محمد ﷺ فقال: أين صاحبكم هذا الذي يزعم أنّه نبي؟ لئن سألته لأعلمنّ أنّه نبي أو غير نبي، قال: فجاء النبي ﷺ فقال الجرمقاني: اقرأ عليّ؟ أو قصّ عليّ؟ فتلا عليه آيات مِن كتاب الله تبارك وتعالى، فقال الجرمقاني: هذا والله الذي جاء به موسى عليه السلام(267).

مِن المتّفق عليه أن لفظة جرمق ليست عربية صحيحة(268)؛ وهناك عدّة تفسيرات لهذه اللفظة؛ الأول: أنّها تحريف للفظة «جراجمة»، وهم المنسوبون إلى بلدة جرمونة أو جرجومة الواقعة في جبال الأمانوس (جبل اللكام (جبال العلويين حالياً))، وطوروس بالأناضول عند معدن الزاج بين بيّاس وبوقة قرب أنطاكية. وقيل: إنّهم قدموا مِن شبه جزيرة البلقان في القرن السابع الميلادي، واستوطنوا سواحل لبنان وسوريا، وعملوا مرتزقة في جيوش

= فقال ﷺ: مَن حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم هو عليها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان. وذُكر أن ابن العم هذا يدعى أبا الخير معدان أو جرير بن الأسود بن معد يكرب الكندي، المعروف بالجفشيش أو الحفشيش أو الخفشيش. وقيل: إنّ الجفشيش هو لقب لأبي الخير. ورُوي أن الآية مِن سورة البقرة «إنّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً.....» نزلت بسبب هذه الحادثة. (انظر: البخاري، **الصحيح**، كتاب: المساقاة، باب: الخصومة في البئر، والقضاء فيها، ج. 2، ص. 81، رقم: 2356 و2357، كتاب: الخصومات، باب: كلام الخصوم بعضهم في بعض، ج. 2، ص. 95، رقم: 2416 و2417، كتاب: الرهن، باب: إذا اختلف الراهن والمرتهن ونحوه، ج. 2، ص. 121، رقم: 2515 و2516، كتاب: الشهادات، باب: سؤال الحاكم المدّعي: هل لك بيّنة قبل اليمين، ج. 2، ص. 1 رقم: 2666، 2667. انظر كذلك: ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 7، ص. 2؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 36، ص. 163، رقم: 21841، رقم: 21842، ص. 167، رقم: 21848؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 5، ص. 43، 93، ج. 11، ص. 687، 688، 689؛ المؤلف نفسه، **كشف النقاب عن الأسماء والألقاب**، تحقيق: محمد رياض المالح، بيروت/عجمان، 1993، ص. 50؛ الخطيب البغدادي، **كتاب الأسماء المبهمة**، ص. 352–824، 353–429. انظر كذلك: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 335؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 522؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 84، 86، مج. 2، ص. 87؛ سبط ابن العجمي، **التوضيح**، ص. 133؛ السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج. 2، ص. 162. 456، الشوكاني، **نيل الأوطار**، مج. 4، ج. 8، ص. 303.

(267) أخرج الحديث عبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على **المسند**، وعقّب عليه بقوله: هذا الحديث منكر. وضعّف إسناده أيضاً عامر حسن صبري في كتابه: **زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل في المسند**، بيروت، 1990، ص. 395. وأخرجه الطبراني مختصراً في **المعجم الكبير** (ج. 2، ص. 251، رقم: 2054) قال عنه ابن حجر الهيثمي: ما فيه غير أيّوب بن جابر وثّقه أحمد وغيره وضعّفه يحيى بن معين وغيره. (**مجمع الزوائد**، ج. 8، ص. 234.) وقال عنه محقّق المعجم: إسناده ضعيف لضعف أيّوب بن جابر اليمامي وعبد الرحمن بن واقد بن مسلم البغدادي، ولم يعرفه الحافظان الحسيني وابن حجر، وهو ليّن الحديث.

(268) ابن دريد، **كتاب جمهرة اللغة**، رمزي منير البعلبكي، بيروت، 1987، ج. 3، ص. 1137؛ الجواليقي، **المعرّب من الكلام الأعجمي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طهران، 1966، ص. 241.

البيزنطيين، واندمجوا مع موارنة لبنان بعد ذلك، وقد عُرفوا أيضاً باسم المَرَدة، وكانوا نصارى، واحدهم: جَرمقاني وجِرْمقي وجَرْمَقي. وقد فرّق بعضهم بين الجراجمة والجرامقة، والراجح أنّهم واحد. وقد صالح الجراجمة المسلمين على أن يكونوا أعواناً لهم في مناطقهم. ودخل معهم مَن كان في مدينتهم مِن التّجّار والأجراء والتابعين مِن الأنباط ومِن أهل القرى ومَن معهم في هذا الصلح فسمّوا الروادف؛ لأنّهم تابعون لهم وليسوا مِنهم. ويسمّون في المصادر السريانية باسم جرمقايي، ويُنسَبون أيضاً إلى منطقة عند الموصل تدعى بيت جَرْمَي(269).

ويحتمل أن جماعات مِنهم هاجرت إلى فلسطين؛ إذ تسمّى أعلى قمم جبال الجليل باسم جرمق نسبة إليهم، ويقع هذا الجبل شمال غربي صفد، ويرتفع نحو 1208 متر. ويتميز بكثرة الأمطار فيه إذ تبلغ أكثر مِن 1000 ملم في السنة، وتتساقط الثلوج عليه كل عام. ويغطّي الجبل كساء نباتي دائم الخضرة يسمى نباتات أو حرش البحر المتوسط مثل: أشجار السنديان والقطلب والسرو والبطم والخروب. وفي الجبل كثير مِن عيون المياه والأودية دائمة الجريان، والتي تصبّ شرقاً نحو الغور مثل وادي عامود، وغرباً نحو البحر المتوسط مثل وادي القرن. كما يوجد في أعمال صفد وادٍ يسمّى جرمق كثير الليمون والأترج(270). ويبدو أن مجموعة

---

(269) ابن العديم، **بُغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكّار، دمشق، 1988، ج. 1، ص. 420، ج. 4، ص. 1597؛ أحمد رضا، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 516؛ بطرس البستاني، **محيط المحيط**، بيروت، 1983، ص. 100، 104؛ البلاذري، **فتوح البلدان**، ص. 217، 218، 228؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 2، ص. 617؛ عبد الله الحلو، **تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية**، بيروت، 1999، ص. 193؛ محمد كرد علي، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 30؛ محمد محمد حسن شُرّاب، معجم **أسماء المدن والقرى الفلسطينية وتفسير معانيها ومدلولاتها السياسية والحضارية**، عَمان، 2000، ص. 100؛ المؤلف نفسه، **معجم بلدات فلسطين**، دمشق، 1987، ص. 254؛ **المنجد (قسم الأعلام)**، ص. 199، 528؛ Hitti, Ph., History of Syria, New Yok, 1951, p. 448. وانظر كذلك: مقالة: الشماس كوركيس مردو، «آثوريو اليوم (دُعاة الآشورية) هم مِن أصول كلدانية» في موقع:

http://www.kaldaya.net/Articles/400/Article414_Mch28_2007_GorgeesMarod_HistoricalStudy.html

ومقالة: يوسف حودي، «نينوى والموصل المسيحية مواضيع مسلسلة: الحلقة الثالثة» في موقع:

http://www.kaldu.org/3_chaldean_culture/Mosel13_JosefHody.html

وانظر: موقع: ttp://www.myhama.com/Book_036.asp

(270) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 4، ص. 40؛ عبد الله الحلو، **المرجع السابق**، ص. 193؛ ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 150. وانظر كذلك موقع:

http://www.palbazaar.com/forum/showthead.php?t=3909&page=13

مِن هؤلاء الجرامقة كانوا يسمّون بالأعلاج، وكانوا يعملون في الأرض الزراعية[271]. وقيل: إن الجرامقة: جيل مِن الناس أو قوم مِن العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام، وقيل: هم نبط الشام، إذ ذُكر أن جرامقة الشام هم نبطها. وروُي عن وهب بن منبّه أنّه قال: قال طالوت لداود عليه السلام: أنت رجل جريء، وفي جبالنا هذه جراجمة يحتربون النّاس، أي لصوص يستلبون النّاس وينهبونهم[272]. وكان بعضهم يستخدم اسم جرامقة على سبيل الذمّ والتحقير[273].

والثاني: أنّهم خليط مِن العرب مِن قبيلة قضاعة العربية المشهورة، وكانت الأسرة الملكية في مدينة الحضر التاريخية الآثارية بالعراق تنتمي للجرامقة. وقيل: إنّها تنتسب إلى بلدة باجرْمَى. وقيل: إن هؤلاء العرب الجرامقة هاجروا مِن اليمن ونزلوا شمال فلسطين وجنوب لبنان[274]. وكون ملك الحضر مِن الجرامقة أي أنّه مِن الآراميين، وهم سكان جرمقايا (جرمقايه) الواقعة شرق دجلة إلى الجنوب مِن الزاب الصغير[275]. وقد أدرج المسعودي الجرامقة ضمن الأمّة الكلدانية[276]. والثالث: أنّهم مِن الأعاجم كانوا ينزلون مدينة تكريت، وعلى الأغلب أنّهم كانوا نصارى[277]. والرابع: أن اللفظة تنحدر مِن السريانية «جرمكا»

(271) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 399؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 6، ص. 106؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 271. 272.

(272) ابن فضل الله المحبي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 375–376؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 12، ص. 111؛ أحمد رضا، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 501؛ الأزهري، **تهذيب اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1964، ج. 9، ص. 384؛ بطرس البستاني، **المرجع السابق**، ص. 104؛ الجوهري، **الصحاح**، تحقيق: أحمد عطّار، بيروت، 1979، ج. 4، ص. 1454؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 13، ص. 60، مج. 16، ص. 106؛ الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج. 1، ص. 207.

(273) ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ضبط وتصحيح: محمد عبد الكريم النمري، بيروت، 1998، مج. 1، ص. 149؛ ابن عبد ربه، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 196، 214.

(274) ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 521، 581؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 1، ج. 2، ص. 199؛ أبو البقاء الحلي، **المناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية**، تحقيق: محمد خريسات وصالح درادكة، (مركز زايد للتراث والتاريخ)، العين، 2000، ج. 1، ص. 282؛ الطبري، **التاريخ**، ج. 2، ص. 47؛ محمد محمد حسن شُرّاب، **معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية**، ص. 100؛ المؤلف نفسه، **معجم بلدات فلسطين**، ص. 254.

(275) جواد علي، **المُفصّل**، ج. 2، ص. 617.

(276) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ليدن، 1893، ص. 78.

(277) ابن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، 1980، ص. 133.

المتحدّرة مِن الفارسية، وتعني «الطحين»، أو بمعنى «رحى» أو «طاحون»[278]. والراجح أن الجراجمة والجرامقة خليط مِن عدد مِن الشعوب والأقوام مِن العرب والأعاجم وسكان الشام المحليين. وكان مِن ضمنهم جماعات قدمت مِن أوربا. ونشأ هؤلاء الناس في منطقة الهلال الخصيب، واندمجوا في بعضهم بعضاً، وخضعوا للدولة البيزنطية، واتّخذوا النصرانية ديناً لهم. وكانوا يتكلّمون العربية إلى جانب اللاتينية والفارسية، وربّما غيرها مِن اللغات. ومما يشير إلى ذلك ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني مِن أن اسم بني الأحرار كان يطلق على الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن إلى اليمن، وهم يسمّون باليمن الأبناء، وبالكوفة الأحامرة، وبالبصرة الأساورة، وبالجزيرة الخضارمة، وبالشام الجراجمة[279].

ومَن تَتَبّع تاريخ الوفود القادمة إلى المدينة يُلاحِظ أن عدداً مِنها كانوا نصارى، أو على الأقلّ قدِموا مِن قبائل نصرانية أو مِن مناطق تنتشر فيها النصرانية. ومِن الأمثلة على ذلك: ومِنهم رفاعة بن زيد الجذامي وقومه الذين كانوا مستقرّين في مشارف الشام، وقد وفد على النبي ﷺ في السنة السادسة وأسلم مع نفر مِن قومه، وعلى الأرجح أنّهم كانوا نصارى مِن بني كلب. ومِنهم وفد الداريين بقيادة تميم بن أوس وأخيه نعيم مِن بني الدار مِن لخم، وكانوا نصارى يسكنون جهة الخليل في فلسطين. ومِن الوفود وفود غسّان وبهراء وجذام وبكر وشيبان، وهي قبائل نصرانية وفدت إلى المدينة في السنتين التاسعة والعاشرة للهجرة[280]. ومِن الوفود التي قدِمت المدينة وفد تغلب، وكانوا ستّة عشر رجلاً مسلمين ونصارى عليهم

(278) عبد الله الحلو، **المرجع السابق**، ص. 193؛ محمد محمد حسن شُرّاب، **معجم أسماء المدن والقرى الفلسطينية**، ص. 100. انظر كذلك Costaz, L., op.cit.,p.54 وانظر موقع:

http://www.geocities.com/barkoosh/tehgeem.htm

وقيل: إنّ نسب الجرامقة ينتهي إلى باشل بن آشور بن سام بن نوح، وقيل: وهم مِن وَلَدِ جرموق بن آشور بن سام. وقيل: هم مِن وَلَدِ كاثر بن إرم بن سام. (القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت / القاهرة، 1980، ص. 26.)

(279) **كتاب الأغاني**، مج. 9، ج. 17، ص. 199.

(280) محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، ج. 6، ص. 267—268. انظر كذلك: ابن عبد البر، **الدُّرَر في اختصار المغازي والسِّيَر**، ص. 255—256؛ السيّد عبد العزيز سالم، «أوّل اشتباك حربي بين العرب والروم على مشارف الشام»، ج. 1، ص. 135؛ محمد بن محمد أبو شهبة، **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة**، دمشق، 1988، ج. 2، ص. 544، 554؛ محمد محمد حسن شُرّاب، **تميم بن أوس الداري**، ص. 36-59، 37—101؛ النويري، **المصدر السابق**، ج. 18، ص. 65—66.

صلبان مِن ذهب. وقد صالح الرسول ﷺ النصارى، وأقرّهم على دينهم على ألا ينصّروا أولادهم[281]. ومِن الجدير بالذِكر أن النصرانية كانت فاشية في تغلب قبل ظهور الإسلام. ومجيء أناس نصارى في الوفد التغلبي يشير إلى أن بني تغلب أتوا لإعلان خضوعهم السياسي للمسلمين[282]. وكذلك وَفْد بني عبد القيس القادم مِن البحرين؛ إذ كان فيهم زعيم نصراني يدعى الجارود بن المعلى العبدي، وقد أسلم مع قومه لما وفدوا على الرسول ﷺ في السنة التاسعة. وكان الجارود نصرانياً، وكان مثالاً جيّداً للوافد المثقف المطّلع على النصرانية القارئ للكتب الأولى، وكان سيّد عبد القيس. ولمّا التقى بالنبي ﷺ قال له: إنّي قد كنتُ على دين، وإنّي تارك ديني لدينك أَفَتَضمن لي ديني؟ فقال ﷺ: أنا ضامن إن هداك الله إلى ما هو خير مِنه. وقد فرح النبي عليه الصلاة والسلام بإسلامه[283]. وقد عُرِف مِن أسماء الوفد القيسي فريدة بن مالك المحاربي وعبيدة بن همّام المحاربي وصحار بن العبّاس أو عيّاش وعمرو بن مرجوم العصري والحارث بن شعيب العصري والحارث بن جندب وجهم بن قثم والزراع بن عامر وفطر بن هلال العنزي وأبو خيرة الضباحي وجابر بن عبيدة وأبان المحاربي وعمير بن جودان العبدي ورستم العبدي وغيرهم، وكان هؤلاء النفر وجوه بني عبد القيس[284]. ومِن الجدير بالذِكر أن أحد رجالات هذا الوفد رجل يدعى المنذر بن عائذ بن الحارث بن المنذر بن النعمان العَصَري المعروف بالأشجّ، وهو أشجّ عبد القيس، وكان أيضاً نصرانيّاً مخلصاً لدينه، وكان صديقاً لراهب يقيم بدارين مِن أرض البحرين، وكان يلتقي بالأشج في كل عام، وأخبره أن نبيّاً خرج بمكة يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه علامة يظهر

(281) ابن حجر العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الكويت، 1973، ج. 2، ص. 254، رقم: 1972، 1973؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 273؛ االصالحي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 287؛ النويري، **المصدر السابق**، ج. 18، ص. 72.

(282) خليل عبد الكريم، **دولة يثرب: بصائر في عام الوفود**، بيروت، 1999، ص. 88.

(283) ابن شاكر الكتبي، **السيرة النبوية الشريفة**، تحقيق: عفيف نايف حاطوم، بيروت، 2001، ص. 523؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 186؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 227؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 74؛ المؤلف نفسه، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 2، ص. 313؛ خليل عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص. 133، 134؛ االصالحي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 303؛ الطبري، **التاريخ**، ج. 3، ص. 136؛ محمد أبو زهرة، **خاتم النبيين** ﷺ، اعتناء: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الدوحة، 1986، ج. 2، ص. 1341.

(284) سبط ابن العجمي، **التوضيح**، ص. 21.

على الأديان. وبعد وفاة الراهب بعث الأشجّ ابن أخته، وزوج ابنته، عمرو بن عبد القيس ليستطلع له أمر هذا النبي ﷺ ويأتيه بخبره، ويتأكّد مِن العلامات التي أخبره بها الراهب، فأتى عمرو النبي ﷺ وتأكّد مِن صحّة العلامات، وأسلم ثمّ عاد إلى خاله فأخبره الخبر(285).

وكان مِن رؤساء النصارى الذين دخلوا في الإسلام لما تبيّن لهم الحقّ عدي بن حاتم الطائي(286). ووفَدَ إلى المدينة أيضاً خمسة عشر رجلاً مِن طيئ فيهم زيد الخير بن مهلهل مِن بني نبهان(287). ومِن المؤكّد أن النصرانية لم تكن الدين الغالب لكل الطائيين؛ إذ كانت الوثنية وعبادة الأصنام ديناً رئيساً في القبيلة. وكانت نصرانية طيئ دائرة ضمن الإطار السياسي الفارسي عوضاً عن البيزنطي(288). وأتى المدينة أيضاً اثنا عشر رجلاً مِن بني عذرة، وسلّموا بسلام الجاهلية، وسألوا النبي ﷺ عن أشياء مِن أمر الدين فأجابهم فيها. وذكّروه بقرابتهم مِن قُصي بن كلاب، وبمعونتهم له على إجلاء خزاعة مِن الحرم(289). ويرى أحدهم أن النصرانية كانت شائعة في بني عذرة(290)، ولا يَستبعد بعض الباحثين أن يكون هؤلاء العذريون عيوناً للبيزنطيين، أرسلوهم ليتجسّسوا على المسلمين ويتعرّفوا على أخبارهم، وأن

---

(285) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص.330–331. في رأي غريب يفرّق بين الصابئة والنصارى في قوله تعالى: «إنّ الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس........» (الحج: 17) فالصابئة هم السبئيون، أي نصارى اليمن وجنوب بلاد العرب، وأن المقصودين بالنصارى هم فقط نصارى الشمال. انظر: (Bell, R., op.cit., p. 149).

(286) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج. 2، ص. 197؛ ابن قيّم الجوزية، **هداية الحيارى**، ص. 60؛ محمد بن علي بن عثمان آل مجاهد، **مائة موقف مع اليهود والنصارى**، الرياض، 2002، ص. 65؛ محيي الدين مستو، **عدي بن حاتم الطائي**، دمشق، 1982، ص. 30–31.

(287) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 278.

(288) محيي الدين مستو، **المرجع السابق**، ص. 29–30؛ Watt, W. M., op.cit., p. 89

(289) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 286؛ ابن قيّم الجوزية، **زاد المعاد**، مج. 4، ص. 43–44؛ النويري، **المصدر السابق**، ج. 18، ص. 91. يقول محمد سليمان الطيّب: أن أهم ما يُذكر لبني عذرة وقفتهم إلى جانب قصي بن كلاب. (موسوعة القبائل العربية، القاهرة، 2001، مج. 1، ص. 288).

(290) Lecker, M., "Tribes in in Pe-and Ealry Islamic Abia", in Lecker, M (ed.), People, Tribesand Society, p. 91; Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the 4th Cent., Washington D. C., 1984, p. 383, f.n. 120; watt, W. M., Muhammad at Medina, Oxford, 1977, p. 2X107.

وجود القرابة والرحم تعدّ دافعاً لكي يوظفهم البيزنطيون لتلك المهمة، ولذا أخبرهم النبي ﷺ أن الشام ستفتح على أيديهم هم وسيفرّ هرقل مِن أمامهم[291]. ويرى عرفان شهيد أن العلاقة بين بني عذرة والبيزنطيين غير واضحة[292]، ومِن المحتمل أن جماعات مِن بني عذرة كانت ضدّ المسلمين، ولا يُستَبعد تعاونهم مع البيزنطيين في مرحلة مِن مراحل الصراع، ومما يشير إلى ذلك أن سَريّة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل كانت موجّهة إلى عدد مِن القبائل الشمالية، وكان مِن ضمنها قبيلة بني عذرة، وكانت ديارهم مِن وادي القرى إلى تبوك وإلى تيماء وتقرب مِن خيبر شمالاً[293].

ومِن الوفود النصرانية التي أتت المدينة ستّة رجال؛ خمسة مِن بني حنيفة، ورجل مِن بني ضُبيعة بن ربيعة، يتقدّمهم طلق بن علي، وأخبروه أن بأرضهم بيعة، فأمرهم بهدمها وبناء مسجد محلّها أو اتّخاذها نفسها مسجداً بعد إزالة مظاهر النصرانية مِنها. ولمّا عادوا هدموا البيعة (أو غيّروها) وبنوا مكانها مسجداً، ولمّا أذّن المؤذن للصلاة قال راهب مِن طيئ لمّا سمع الأذان: دعوة حق ثمّ اختفى ولم يُرَ بعد ذلك[294]. ومِن الوفود النصرانية الشمالية وفد بني خشين، وهم مِن قضاعة، بقيادة أبي ثعلبة الخُشني، أتى قبل خروج النبي ﷺ إلى خيبر، فأسلم وخرج معه إلى خيبر وشهدها، ومما يدلّ على نصرانيته قبل إسلامه أنّه سأل رسول الله قائلاً: إنّا نجاور أهل الكتاب وهم يطبخون في قدورهم الخنزير ويشربون في آنيتهم الخمر. فقال رسول الله: إن وجدتم غيرها فكلوا فيها واشربوا، وإن لم تجدوا غيرها فارحضوها بالماء

---

(291) خليل عبد الكريم، **المرجع السابق**، ص. 842، 247.

(292) Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the 4th Cent., Washington D. C., 1984, pp. 282-382

(293) ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 504؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 236؛ عاتق بن غيث البلادي، **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، ص. 159؛ الواقدي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 218؛ اليعقوبي، **التاريخ**، تحقيق: عبد الأمير مهنّا، بيروت، 1993، مج. 1، ص. 395؛ Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the 4th Cent., p. 383. f.n.120 انظر كذلك: محمد أحمد باشميل، العرب في الشام قبل الإسلام، ص. 166، 167.

(294) ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 479—480، رقم: 1602؛ أبو نعيم الأصفهاني، **دلائل النبوة**، تحقيق: قلعجي وعبّاس، ج. 1، ص. 90—91، رقم: 47؛ النسائي، **السنن الكبرى**، تحقيق: البنداري وكسروي، كتاب: المساجد، باب: اتّخاذ البيع مساجد، ج. 1، ص. 258، رقم: 700: قال محقّق كتاب ابن بلبان عن الحديث: إسناده قوي. فهم الإمام السندي مِن عبارة الراهب الطائي أنّه صدّق بالإسلام وآمن به. (**شرح سنن النسائي، بهامش، شرح السيوطي للسنن**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث الإسلامي بدار المعرفة، بيروت، 1994، ج. 2، ص. 368.)

وكلوا. ثمّ قدِم المدينة سبعة نفر مِن بني خشين فنزلوا عند أبي ثعلبة، ثمّ أسلموا ورجعوا إلى قومهم[295].

أمّا الوفود التي قدِمت مِن الحبشة فيبدو أنّها كثيرة ومتعدّدة، ومِن المعروف أن الحبشة بلد نصراني متجذّرة فيه النصرانية قبل الإسلام، وكانت الكنيسة ذا نفوذ قوي في المجتمع الحبشي، وكانت النصرانية الحبشية على ارتباط وثيق بالدولة البيزنطية[296]. وثمة إشارات إلى أن عدداً مِن الذين جاؤوا مِن الحبشة كانوا مسلمين منذ كانوا في بلادهم[297]؛ ومع ذلك فنحن نفترض أن مَن قدِم مِن الحبشة كانوا على النصرانية في الأغلب، ومِن الأمثلة التي أمكننا حصرها ما يلي:

قال ابن عبّاس: إن أربعين مِن أصحاب النجاشي قدِموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أُحداً، فكانت لهم جراحات، ولم يُقتَلْ مِنهم أحد، فلمّا رأوا ما بالمؤمنين مِن الحاجة قالوا: يا رسول الله؛ إنّا أهل ميسرة فأْذَنْ لنا نجيء بأموالنا نواسي بها المسلمين، فأنزل الله «الذين آتيناهم الكتاب مِن قبله هم به يؤمنون» (القصص: 52)، ففخر مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي ﷺ فقالوا: يا معشر المسلمين لنا أجران ولكم أجر، أمّا مَن آمن منّا بكتابكم

(295) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 51، ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، ج. 28، ص. 205، 206؛ أبو الخير بن صدّيق الحسيني، **فتح العلام لشرح بلوغ المرام**، تحقيق: محمد صبحي حلاّق، بيروت، 2001، مج. 1، ص. 72؛ الأنصاري التلمساني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 455-456؛ النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، مج. 2، ص. 66. حول حديث أبي ثعلبة الخشني، انظر: البخاري، **الصحيح**، كتاب: الذبائح والصيد، باب: آنية المجوس والميتة، وباب: ما جاء في التصيّد، ج. 3، ص. 434، 436—437، رقم: 5485، 5496؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: الصيد والذبائح، باب: الصيد بالكلاب المعلّمة، ج. 3، ص. 392—393، رقم: 1930. ورد خطأً عند الحسيني أن أبا ثعلبة أتى إلى المدينة، وكان النبي ﷺ يتجهّز إلى حنين، ثم يذكر أنّه شهد بيعة الرضوان. (**المصدر السابق**، ج. 4، ص. 1995).

(296) انظر: عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، **أهل بلال**، الخرطوم، 1994، ص. 21-22؛ علي الشيخ أحمد أبو بكر، **معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة**، الرياض، 1993، ص. 185، 187، 256، 258؛

Firestone, R., "Abyssinia" ,EQ, vol. 1. p. 20, 21; Pankhurst, R., The Ethiopians, Oxford, 1998, pp. 34-36; Tamratm T, Church and State in Ethiopia, Oxfod, 1972, pp. 25 ff.

يقول المقريزي: والحبشة قوم يدينون بالنصرانية مِن قديم، ويعتقدون مذهب اليعقوبية، وهم يتشدّدون في ديانتهم تشدّداً زائداً، ويعادون مَن خالفهم مِن سائر المِلل أشدّ عداوة. (**الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** ضمن كتاب: **رسائل المقريزي**، تحقيق: رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، القاهرة، 2006، ص. 232.)

(297) النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، مج. 1، ص. 160. انظر كذلك: علي الشيخ أحمد أبو بكر، **المرجع السابق**، ص. 186.

فله أجران، ومَن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم، فاشتدّ ذلك على الصحابة فأنزل الله: «يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كِفلين مِن رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم». (الحديد: 28)، فزادهم النور والمغفرة، وقال: «لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء مِن فضل الله». (الحديد: 29). فجعل لهم أجرين مِثل أجور مؤمني أهل الكتاب وسوّى بينهم في الأجر[298]. وقيل: إنّه لّما سمع مَن لم يؤمن مِن أهل الكتاب هذه الآية (أي آية سورة القصص) قالوا للمسلمين أمّا مَن آمن منّا بكتابكم فله أجره مرّتين لإيمانه بكتابنا وكتابكم، ومَن لم يؤمن مِنّا بكتابكم فله أجر كأجركم فبأيّ شيء فُضّلتم علينا؟ فأنزل الله سبحانه آياتَي سورة الحديد؛ ليؤكّد لأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ أنّه لا أجر لهم ولا نصيب في فضل الله إن لم يؤمنوا بنبيّه ﷺ[299].

كما قدِم جعفر بن أبي طالب مِن الحبشة هو وأصحابه، ومعهم سبعون رجلاً بعثهم النجاشي إلى رسول الله ﷺ، عليهم الصوف، اثنان وستّون مِن الأحباش، وثمانية مِن أهالي الشام، وهم بحيرا الراهب (وهو غير بحيرا الراهب المشهور الذي التقى بالنبي ﷺ)[300]، وأبرهة وإدريس وأشرف وتمام (أو تميم) وقثم ودريد الراهب وأيمن؛ فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس إلى آخرها، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى، فأنزل الله تعالى: «لَتَجدنّ أشدّ النّاس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين

(298) الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج. 7، ص. 2387، رقم: 7662. انظر كذلك: ابن حجر الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج. 7، ص. 121؛ المؤلف نفسه، **مجمع البحرين**، ج. 6، ص. 76–77، رقم: 3403. وقال عنه ابن حجر الهيثمي في الزوائد: وفيه مَن لم أعرفه. وحكم محقّق كتاب **مجمع البحرين** بحسنه. انظر كذلك: ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 10، ص. 3341.

(299) الخطيب الشربيني، **تفسير القرآن العظيم (السراج المنير)**، بيروت، د.ت.، مج. 4، ص. 218؛ الصاوي، **حاشية الصاوي على تفسير الجلالين**، ضبط وتصحيح: محمد عبد السلام شاهين، بيروت، 2000، مج. 6، ص. 70.

(300) رُوي حديث عن بحيرا هذا مرفوع إلى النبي ﷺ عزا المتقي الهندي (**كنز العمّال**، ضبط: بكري حياتي، تصحيح: صفوة السقّا، بيروت، 1979، ج. 5، ص. 356، رقم: 13215) إخراجه إلى ابن عدي (**المصدر السابق**، ج. 4، ص. 473) الذي عقّب عليه بقوله: هذا حديث منكر الإسناد والمتن، ولم أسمع بذِكر بحيرا أنّه يسند عن رسول الله ﷺ شيئاً إلا في هذا الإسناد. وقال ابن حجر العسقلاني: وظنّ بعضهم أن صاحب الحديث هو بحيرا الراهب الذي لقي النبي ﷺ قبل البعثة مع أبي طالب، وليس بصواب؛ بل إنْ صحّ الحديث فهو الذي ذكروا قصّته في أبرهة. (**الإصابة**، ج. 1، ص. 405.) وقال الحافظ الذهبي: وهذا باطل، بحيرا لم يدرك المبعث. (**ميزان الاعتدال**، ج. 3، ص. 222). وانظر كذلك: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 232؛ ابن حجر العسقلاني **لسان الميزان**، ج. 4، ص. 68.)

أشركوا ولتجدنّهم أقرب مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأنّ مِنهم قسّيسين ورهباناً وأنّهم لا يستكبرون». (المائدة: 82) وقيل: إن النجاشي بعث إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً مِن خيار أصحابه، فقرأ عليهم النبي ﷺ سورة يس فبكوا، فنزلت هذه الآية[301]، وكانوا مِن أصحاب الصوامع[302]. وقيل: إنّهم كانوا ثمانين رجلاً، أربعين مِن أهل نجران مِن بني الحرث بن كعب، واثنين وثلاثين مِن الحبشة وثمانية روميين مِن أهل الشام. وقيل: إنّهم كانوا أربعين رجلاً مِن أهل نجران مِن بني الحرث بن كعب، واثنين وثلاثين مِن الحبشة، وثمانية وستّين مِن أهل الشام. وقيل: كانوا خمسين رجلاً، وقيل: كانوا سبعين رجلاً، وقيل: إنّهم كانوا اثني عشر رجلاً مِن الحبشة، سبعة قسيسين وخمسة رهبان، وعن ابن عبّاس أن أربعين مِن أصحاب النجاشي قدِموا على النبي ﷺ فشهدوا معه أُحداً[303]. وقيل: هم وفد نجران، وكانوا نصارى، وكانوا عشرين رجلاً قدِموا على النبي

---

(301) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 175، 193، 239، 317، 486، ج. 2، ص. 323؛ المؤلف نفسه، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، ج. 4، ص. 254، رقم: 4380؛ السيوطي، **لباب النقول أسباب النزول**، ص. 101؛ المؤلف نفسه، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، بيروت، 1999، ج. 2، ص. 333؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 168—169. انظر كذلك: الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 11، 44، 42، 58. يقول القُمّي إن النجاشي طلب من هؤلاء الثلاثين الذين بعثهم أن ينظروا إلى رسول الله ﷺ وإلى مقعده ومشربه وطريقة حياته، ليخبروه بها عندما يعودوا إليه. (**التفسير**، تصحيح وتعليق: السيّد طيّب الموسوي الجزائري، قُم، 1404 هـ.، ج. 1، ص. 179).

(302) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. ج. 6، ص. 243. يعلّق الماتُريدي على هذه الآية: فهو— والله أعلم—، على ما كان مِنهم مِن قتل الأنبياء وتكذيبهم إيّاهم، ونصب القتال والحرب مع رسول الله والمؤمنين، ومَا كان مِنهم مِن قول الوَحْش في الله سبحانه، ما لم يستقم أحد بمثل ما وصفوا الله بالبخل والفقر، وغير ذلك مِن القول، وذلك لشدّة بغضهم وعداوتهم وقساوة قلوبهم فعلى ذلك كلّ مَن دعاهم إلى دين الله تعالى فهم له أشدّ عداوتهم قلباً. وأمّا النصارى فلم يكن مِنهم واحد مما كان مِن اليهود مِن قتل الأنبياء ونصْب الحروب والقتل معهم. ولم يروا في مذهبهم القتال ولا الحرب، ولا كان مِنهم مِن القول الوَحْش ما كان مِن اليهود؛ بل كان فيهم اللين والرفق حتى حَمَلهم ذلك على القول في عيسى ما قالوا. وذلك مِنهم له تعظيم فوق القدر الذي جعل الله له حتى رفعوه مِن قدر العبودية إلى قدر الربوبية لذلك كفروا. (**المصدر السابق**، مج. 2، ص. 60.)

(303) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 575؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 99؛ السمرقندي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 453؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 405، ج. 14، ص. 293؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 596، 599، 600، 601؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. ج. 6، ص. 243. حول تخريج الروايات أعلاه، وتبيان ضعفها أو صحّتها، انظر: سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، الرياض، 1425 هـ، مج. 2، ص. 91. القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. ج. 6، ص. 243.

ﷺ وهو في مكة، وهم غير الذين وفدوا عليه ﷺ في المدينة[304]. وقيل: هم ناس مِن أهل الكتاب كانوا على شريعة مِن أهل الحق، يؤمنون بعيسى عليه السلام نبيّاً ورسولاً، فلمّا بعث الله محمداً ﷺ صدّقوه وآمنوا به[305]. وقيل: إن هؤلاء الذين قدِموا مِن الحبشة كانوا فلاّحين[306]، وقيل: كانوا نوّاتين أي ملاّحين[307]. واستُدلّ بهذه الآية أيضاً على رهبان النصارى وعلمائهم الخيّرين الذين التقى بهم سلمان في رحلته الطويلة مِن فارس إلى يثرب بحثاً عن النبي الخاتم[308]، وهذه الآية لا تعني النصارى الذين كانوا في عهد النبي ﷺ فحسب، بل تشمل كلّ مَن ينطبق عليهم وصف المودّة في كلّ عصر[309]، ويحتمل أن هذه الآية نزلت قبل مجيء جعفر مع وفد الحبشة كما سنشير لاحقاً.

وتذكر بعض الروايات أسماء أفراد مِن هؤلاء الأحباش مِنهم: ذو مِخبَر، أو مخمر، قيل: هو ابن أخي النجاشي أو ابن أخته، (وكان مِن الذين خدموا النبي ﷺ)، وذو مندم أو مِهدم، وذو جدن أو دجن وذو روجز وذو مناجب أو مناحب، وسعيد بن بكير، ويقال: بكرون الليثي، وهو أخو النجاشي أو ابن أخيه. ويروى أنّه لما وقف هؤلاء أمام النبي ﷺ قال لهم انتسبوا؛ فقال ذو مهدم:

على عهد ذي القرنين كانت سيوفنا

صوارم تفلقن الحديد المذكرا

---

(304) السهيلي، **غوامض الأسماء المبهمة والأحاديث المسندة في القرآن**، تحقيق: هيثم عيّاش، بيروت، 1988، ص. 48.

(305) البَغَوِي، **التفسير**، ج. 2، ص. 75؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 99.

(306) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 592—593.

(307) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 106؛ الطبراني، **المعجم الأوسط**، مج. 5، ص. 115، رقم: 4639؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 599. وقال ابن حجر الهيثمي عن هذا الحديث: وفيه يحيى الحمّاني ونصير بن زياد، وكلاهما ضعيف. (**مجمع الزوائد**، مج. 4، ج. 7، ص. 17.)

(308) السخاوي، **التحصيل والبيان في سياق قصة السيّد سلمان**، تحقيق: أبو حذيفة أحمد الشقيرات، عَمان، 2007، ص. 211.

(309) محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، القاهرة، 2000، مج. 5، ص. 2326.

وهـود أبـونـا سـيّـد الـنّـاس كـلـهـم
وفي زمـن الأحـقـاف عـزاً وفـخـراً
فـمـن كـان يـعـمـى عـن أبـيـنـا فـإنّـنـا
وجـدنـا أبـانـا الـعـدمـلـي المشـهـرا(310)

ويبدو مِن هذه الأبيات أن قائليها ينتسبون إلى اليمن أكثر من انتسابهم إلى الحبشة.

ويحتمل أن مِن هؤلاء الأحباش مَن لعب بالحراب في المسجد بحضور رسول الله ﷺ؛ فعن أم المؤمنين عائشة قالت: لقد رأيتُ رسول الله يوماً على باب حجرتي، والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم. وفي رواية: كان يوم عيد يلعب فيه السودان (وفي رواية عن عمرو بن حريث أنّهم زنج) بالدَّرَق والحراب، فإمّا سألتُ النبي ﷺ وإمّا قال: تشتهين تنظرين؟ فقلت: نعم. فأقامني وراءه خدّي على خدّه، وهو يقول: دونكم بني أرفدة. وعن أبي هريرة قال: بينا الحبشة يلعبون عند النبي ﷺ بحرابهم، دخل عمر فأهوى إلى الحصى فحصبهم بها، فقال: دعهم يا عمر. وفي رواية عن عائشة أنّه ﷺ قال لعمر: دعهم، أمْناً بني أرفدة، يعني مِن الأمن. وفي رواية عن السيّدة عائشة أيضاً قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد(311)، ويبدو أن هذا الرقص بالحراب كان يفعله

(310) انظر: أبا نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 2، ص. 1036، 1039، رقم: 902، 903؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 17، 20—21، 25—26، 27؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 342، 344، 348؛ ابن عبد الباقي البخاري، **المصدر السابق**، ص. 77؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 463؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 168، 169، 170؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 4، ص. 234؛ القيسي الدمشقي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 110، ج. 8، ص. 50.

(311) البخاري، **الصحيح**، كتاب: الصلاة، باب: أصحاب الحراب في المسجد، ج. 1، ص. 117—118، رقم: 454، 455، كتاب: العيدين، باب: الحراب والدرق يوم العيد، ج. 2، ص. 224، رقم: 950، كتاب: الجهاد، باب: اللهو بالحراب ونحوها، ج. 2، ص. 228، 387، رقم: 0353 ،2901؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: العيدين، باب: الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيّام العيد، ج. 2، ص. 34، 35—36، رقم: .398 ،892 حول روايات أخرى لحديث لعب الأحباش، انظر: ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 13، ص. 176، 177، 180. رقم: 5867، 5868، 5871؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 40، ص. 338، رقم: 24296، ج. 43، ص. 115، رقم: 25960؛ الطبراني، **المعجم الأوسط**، مج. 4، ص. 4،63 رقم: 4201؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 10، ص. 466، رقم: 19724؛ النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، ج. 2، ص. 312، رقم: 1811، 1812 ص. 313، رقم: 1813، ج. 8، ص. 181، رقم: 8903، 8904، ص. 182—183، رقم: 8908. لتفسير تصرّف عمر مع الأحباش، انظر: النووي، **شرح صحيح مسلم**، =

الأحباش في المدينة في يوم مخصوص مِن كلّ عام، وهذا ما دلّ عليه قول زيد بن ثابت: ليس يوم عاشوراء الذي يقوله الناس؛ إنّما كان يوم تستر فيه الكعبة، وتَقْلِس فيه الحبشة عند رسول الله ﷺ، وكان يدور في السنة....... وقد سمّى المناوي هذا اليوم بيوم الحبشة. وخصّ ابن أبي حاتم هذا التقليس بالأحباش، وأنّهم كانوا يقومون بذلك بعد صلاة عيد الفطر. و«التقليس» هو الرقص مع الغناء والضرب بالدفّ، وقيل: هو الغناء الجيّد[312].

= ج. 6، ص. 1104، 1105. وفي إحدى الروايات أن النبي ﷺ قال للأحباش: خذوا يا بني أرفدة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة. والحديث أخرجه أبو نعيم والديلمي مِن حديث الشعبي عن عائشة أمّ المؤمنين، وأخرجه أبو عبيده في الغريب، والخرائطي في اعتلال القلوب عن الشعبي، وعلى إرساله اقتصر السيوطي في الجامع الصغير. وأخرجه الإمام أحمد في **المسند** (ج. 41، ص. 349، رقم: 24855، ج. 43، ص. 115، رقم: 25962) وقال محقّقو **المسند**: حديث قويّ وهذا إسناد حسن. وأخرجه الحميدي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 132—124، رقم: 254. (انظر: ابن حمزة الحسيني، **البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف**، تحقيق: حسين عبد المجيد هاشم، بيروت/صيدا، 1973، ج. 2، ص. 297؛ ابن الصدّيق الغماري، **المداوي لعلل الجامع الصغير وشرح المناوي**، تحقيق: مصطفى صبري، القاهرة، 1996، ج. 3، ص. 475—476، رقم: 3896/1642؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 35، ص. 29، 30، رقم: 935، 936؛ السيوطي، **الجامع الصغير في أحاديث البشير النّذير**، بيروت، 1981، مج. 1، ص. 601، رقم: 3896.)

والحراب جمع حربة، والدَّرَق جمع درقة؛ وهي الترس، والزفن الرقص، وهو وثبهم بسلاحهم. ورأى العلماء في هذا الحديث جواز دخولهم المسجد، ونصال حرابهم مشهورة، وفيه جواز اللعب بالحراب في المسجد، وكان رقصهم جمعاً بين التواثب والإشارة بالسلاح. وأرفدة، قيل: هو لقب للحبشة، وقيل: هو اسم جنس لهم، وقيل: اسم جدّهم الأكبر، وقيل: المعنى يا بني الإماء. وقول ﷺ: «دونكم» مِن الإغراء والتشجيع. وكان قدوم هؤلاء الأحباش سنة سبع، وهكذا يكون عمر السيّدة عائشة خمس عشرة سنة. وأمّا تصرّف عمر معهم فربّما يعود إلى أنّه لم يرَ النبي ﷺ، ولم يعلم أنّه رآهم أو أنّه كان يرى أن هذا اللعب لا يليق بالمسجد، ولم يكن يعلم بإذن رسول الله ﷺ لهم باللعب. (انظر: ابن الجوزي، **تنوير الغبش في فضل السودان والحبش**، ص. 73-74؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 1، ص. 722—723، ج. 2، ص. 559، 560، 564، 565، 566، 6، ص. 115، 116، 118، 686؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 3، ص. 225-226؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 3، ص. 30-310؛ القرطبي، **المُفهم شرح صحيح مسلم**، مج. 3، ص. 1497، 1499؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 6، ص. 1104، 1105.

أحياناً يطلق اسم السودان على الأحباش والنوبيين والزنوج. (انظر: ابن صاعد، **المصدر السابق**، ص. 14.) وهذا ما فسّر به الطبراني فيما رواه ابن عبّاس عن النبي ﷺ قوله: اتّخذوا السودان فإنّ ثلاثة مِنهم مِن سادات الجنّة لقمان الحكيم والنجاشي وبلال المؤذّن. قال الطبراني: أراد الحبش. (**المعجم الكبير**، ج. 1، ص. 144، رقم: 100.) وقيل: إنّ السودان جمع أسود، وينقسمون إلى قسمين: زنوج وأحباش. (المناوي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 144.)

(312) أخرج الطبراني حديث زيد في **المعجم الكبير**، ج. 5، ص. 138، رقم: 4876. قال ابن حجر الهيثمي: «رواه الطبراني في الكبير، ولا أدري ما معناه، وفيه عبد الرحمن بن أبي الزناد وفيه كلام كثير وقد وُثّق». (**مجمع الزوائد**، ج. 3، ص. 187—188.) انظر كذلك: ابن أبي حاتم، **عِلل الحديث**، تحقيق: نشأت بن كمال المصري، القاهرة، 2002، مج. 1، ص. 404، رقم: 604؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 8، ص. 423؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، =

ورُوي أيضاً أن رجلاً جاء مِن الحبشة إلى رسول الله ﷺ يسأله، فقال: يا رسول الله، فُضّلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أَفَرأيتَ إن آمنتُ بك، وعملتُ مثل ما عملتَ إنّي لكائن معك في الجنّة، قال: نعم، ثم قال النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إنه لَيُرى بياض الأسود مِن مسيرة ألف عام، ثم قال رسول الله: مَن قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله، ومَن قال سبحان الله وبحمده كُتب له مائة ألف حسنة وأربع وعشرون ألف حسنة...... قال الحبشي: وأن عيني لترِيان ما ترى عيناك في الجنّة؟ فقال النبي ﷺ: نعم، فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه، فدفنه النبي ﷺ ودلّاه في حفرته. فنزل قوله تعالى: «هل أتى على الإنسان حين مِن الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً». إلى قوله: «ملكاً كبيراً» (الإنسان: 1—20)[313].

= ص. 1442؛ المناوي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 580. قال الحافظ ابن حجر العسقلاني عن سند الحديث إنّه حسن، وقال: ظفرت بمعناه في كتاب الآثار القديمة لأبي الريحان البيروني، فذكر ما حاصله: أن جهلة اليهود يعتمدون في صيامهم وأعيادهم حساب النجوم؛ فالسنة عندهم شمسية لا هلالية. (**فتح الباري**، ج. 4، ص. 310.) وقيل: التقليس هو اللعب بين يدي الأمير إذا قدِم المِصر واستقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو. وقيل: هو أن تقعد الجواري والصبيان على أفواه الطرق يلعبون بالطبل وغير ذلك. (السندي، **شرح سنن ابن ماجه**، تحقيق: خليل مأمون شيحا، بيروت، 1996، مج. 2، ص. 110-111؛ محمد عبد الحفيظ بن عبد الصمد كنّون الحسني الإدريسي، **إتحاف ذي التشوّق والحاجة إلى قراءة سنن ابن ماجه**، الرباط، 1996، ج. 3، ص. 306.) ومِن الجدير بالذِكر أن لفظة «التقليس» و«يقلّسون» بمعنى الرقص والغناء كانت معروفة عند العرب، ومما يشير إلى ذلك أن الصحابي عياض بن عمرو الأشعري شهد عرساً بالأنبار فقال لهم: «ما لكم لا تقلّسون كما كان يُقلّس عند رسول الله ﷺ.» (ابن ماجه، **السنن**، كتاب: إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب: ما جاء في التقليس يوم العيد، ج. 1، ص. 491، رقم: 1302.) ونقل محقّق سنن ابن ماجه عن البوصيري قوله: هذا إسناد رجاله ثقات، وعياض الأشعري ليس له عند ابن ماجه سوى هذا الحديث؛ بل لم يخرّج له أحد مِن أصحاب الكتب الخمسة الأصول. وعن قيس بن سعد بن عبادة قال: إنّه كان يقلّس عند رسول الله ﷺ يوم عيد الفطر. (ابن ماجه، **السنن**، كتاب: إقامة الصلاة والسنّة فيها، باب: ما جاء في التقليس يوم العيد، ج. 1، ص. 491، رقم: 1303.) ونقل محقّق سنن ابن ماجه عن البوصيري قوله: إسناده صحيح ورجاله ثقات. وأخرج الطبراني في **المعجم الكبير** (ج. 18، ص. 371، رقم: (1017).) حديث قيس بن سعد بن عبادة إلا أنّه قال: «لرسول الله ﷺ» بدلاً مِن: «عند رسول الله ﷺ».

(313) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 116-117؛ ابن الجوزي، **تنوير الغبش في فضل السودان والحبش**، ص. 145-146؛ ابن حجر الهيثمي، **مجمع البحرين**، ج. 8، ص. 39—94، رقم: 4774؛ المؤلف نفسه، **مجمع الزوائد**، ج. 10، ص. 357—358، 420؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 1، ص. 276—277، رقم: 141؛ العجلوني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 473. قال ابن حبّان عن هذا الحديث: متنه باطل، وقال الحافظ الذهبي عنه: هذا منكر غير صحيح، وقال عنه الحافظ ابن كثير: فيه غرابة ونكارة وسنده ضعيف. (ابن حبّان، **كتاب المجروحين**، مج. 1، ص. 187، 188؛ ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 323، مج. 6، ص. 365؛ الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج. 1، ص. 462.) =

ومِن الأحباش الذين استقرّوا في المدينة رجل يدعى أبا نيزر بن النجاشي الذي كان عبداً، وجده علي رضي الله عنه مع تاجر بمكة، فاشتراه مِنه وأعتقه مكافأة للنجاشي لما كان مِنه مِن موقف كريم مع مهاجري الحبشة. وكان أبو نيزر طويلاً وسيماً، أسلم وهاجر إلى المدينة وأقام بها. وفي أثناء إقامته فيها أتاه ناس مِن الحبشة فأقاموا عنده شهراً، وكان علي يصنع لهم الطعام. وقال الوفد أبا نيزر: إن أمر الحبشة قد مَرَجَ عليهم، فانطلق معنا نملّكك عليهم فإنّك ابن مَن قد علمتَ. فقال: أمَا إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنتُ لأفعل، فلمّا أَيِسُوا منه رجعوا وتركوه(314). وهذا الوفد لم يكن مسلماً بدليل أن أبا نيزر رفض الاستجابة لطلبهم لأنّه مسلم. والظاهر أنّهم أقاموا في المدينة شهراً بهدف حمله على الذهاب معهم، والأرجح أن مجيئهم كان بعد وفاة النجاشي أصحمة إذ اختلّت الأمور في الحبشة، وإن صحّت الرواية تبقى إشكالية كيف أتى ابن النجاشي؟ وما هي قصّة وصوله إلى مكة، وكيف تعرّض للاسترقاق؟

ويبدو أن مجيء هؤلاء النصارى إلى المدينة كان نتيجة طبيعية وإيجابية لما فعله النبي ﷺ مِن دعوة في خارج شبه الجزيرة العربية، وذلك بإرسال الرسل، أو السرايا والبعوث، أو بالتبشير بالدين الجديد(315) وقد أتى هؤلاء لاستطلاع النّبأ العظيم شخصياً والاتصال بصاحبه مباشرة. وتشير الآيات صراحة إلى نصرانية المذكورين، وأنّهم فَهِمُوا القرآن مباشرة، وتأثّروا

= وقال ابن القيسراني: رواه أيّوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر، وأيّوب ضعيف، وأُنكِر عليه هذا الحديث. (**تذكرة الحفّاظ**، ص. 176، رقم: 416.) وقال ابن حجر الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أيّوب بن عتبة، وهو ضعيف، وقال أيضاً: وفيه توثيق ليّن. وقال ابن عرّاق الكناني: بأنّ أيّوب لم يتّهم بكذب؛ بل وُثّق وأخرج له ابن ماجه، وللحديث شواهد. (**المصدر السابق**، مج. 2، ص. 33.)

(314) ابن إسحاق، **المصدر السابق**، ص. 202، فقرة: 296، 297؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 343؛ الخزاعي التلمساني، **المصدر السابق**، ص. 574؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 2، ص. 118-119؛ المُبَرّد، **الكامل في الأدب**، تحقيق: محمد أحمد الدالي، بيروت، 1997، مج. 3، ص. 1127. يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: أمّا النجاشي ملك الحبشة النصراني فإنه لمّا بلغه خبر النبي ﷺ مِن أصحابه الذين هاجروا إليه آمن به وصدّقه، وبعث إليه ابنه وأصحابه مهاجرين. (**الرسالة القبرصية**، تعليق: علاء الدين دمج، بيروت، 1987، ص. 45.) ويرى بعضهم في قصّة مجيء الأحباش إلى أبي نيزر أن الحبشة كانت تمرّ بأوضاع سيئة ومشكلات خطيرة بعد وفاة النجاشي، وكان هدف الوفد إقناع أبي نيزر بتولي المُلك لأنّه مِن ذرية النجاشي. (علي الشيخ أحمد أبو بكر، **المرجع السابق**، ص. 239.)

(315) محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، ج. 6، ص. 241—242.

به أشدّ التأثّر، وهذا لا يكون إلا مِن عرب ربما قدِموا مِن الشام[316].

وهذا ما يُفهَم مِن قول ابن عبّاس في حديثه عن أوضاع النصارى بعد المسيح عليه السلام، وتبيان حالاتهم وفِرقهم واتخاذهم الأديرة والعزلة: «... فلما بُعث النبي ﷺ ولم يَبقَ مِنهم إلا القليل؛ انحطّ رجل مِن صومعته، وجاء سائح مِن سياحته، وصاحب الدير مِن ديره، فآمنوا به وصدّقوه....»[317].

وأخرج الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله أن راهباً أهدى لرسول الله جبّة سندس، فبعثها النبي إلى النجاشي، وكان قد أحسنَ إلى مَن لجأ إليه مِن أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام. يعني مِن المسلمين حينما هاجروا إلى الحبشة، فأحسنَ إليهم النجاشي[318]. وعلى الأرجح أن هذا الراهب قدِم إلى المدينة للقاء النبي ﷺ، ولم يَلتقِ به النبي ﷺ في أثناء غزوة تبوك، على الرغم مِن أن الراهب أتى مِن الشام، ومما يدلّ على ذلك أن الجبّة بعثها النبي عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي الذي تُوفي في رجب عام 9 هـ[319]، أي قبل خروج النبي ﷺ لتبوك. ورُوي أيضاً أن نصرانياً أهدى إلى رسول الله ﷺ حريراً يتلألأ فقبل هديته[320]، ولم أتمكّن مِن معرفة مَن هو هذا النصراني؟ وأين ومتى أهدى النبي عليه الصلاة والسلام؟ إلا أن يكون المقصود هو الراهب نفسه المشار إليه آنفاً.

وفي قوله تعالى: «لَتُبلَوُنّ في أموالكم وأنفسكم ولَتَسمعُنّ مِن الذين أوتوا الكتاب مِن قبلكم ومِن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور». (آل عمران: 186). يقول ابن جريج: يعني اليهود والنصارى فكان المسلمون يسمعون مِن اليهود

---

(316) محمد عزة دروزة، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 754—755. ينفرد القاضي عبد الجبّار بذِكر سبب لمجيء النصارى إلى يثرب، وهو أن أهل مكة كانوا يبعثون اليهود والنصارى ومَن بالمدينة من أجل قتل رسول الله ﷺ. (**المصدر السابق**، ج. 2، ص. 302.)

(317) النسائي، **التفسير**، تحقيق: سيّد بن عباس الجليمي وصبري بن عبد الخالق الشافعي، القاهرة، 1990، ج. 2، ص. 384-386؛ المؤلف نفسه، **السنن (الموسوعة الحديثية)**، كتاب: **التفسير**، باب: سورة الحديد (57)، ج. 10، ص. 287—288، رقم: 11503.

(318) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 22، ص. 461—462، رقم: ، ج. 23، ص. 74. في سند الحديث ابن لهيعة، وحديثه حَسَن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات. (البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 17، ص. 266.) انظر كذلك: ابن عبد الباقي البخاري، **المصدر السابق**، ص. 68؛ السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 94. وقال محقّق **المسند** حول حديث إهداء الراهب للجبّة: إسناده ضعيف لسوء حفظ ابن لهيعة، وقد صحّ بغير هذا اللفظ.

(319) السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 2، ص. 118.

(320) السرخسي، **شرح كتاب السِّيَر الكبير**، تحقيق: عبد العزيز أحمد، بغداد، 1971، ج. 1، ص. 97.

قولهم: عزير ابن الله، ومِن النصارى قولهم: المسيح ابن الله. وتعني الآية أيضاً أن المؤمنين سيُختَبرون في أموالهم بالإنفاق في سبيل الله، وبما يقع فيها مِن الآفات وفي أنفسهم بالقتل والأسر والجراح والتخويف، وسيسمعون مِن أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى ومِن المشركين طعناً في الدين، وصدَّ مَنْ أراد الايمان، وتخطئة مَن آمن بهذا الدين، وتطالب الآية المؤمنين بالصبر والتقوى؛ لأنّ ذلك مما يجب العزم عليه مِن الأمور، وعلى المؤمنين توطين أنفسهم على احتمال الشدائد والصبر عليها[321]. وهذا ما دفع مَن وُجد مِن نصارى في المدينة إلى نشر أفكارهم والحديث عن ديانتهم ومبادئهم من دون مواربة أو خوف، كما كان يفعل اليهود. ومِن الأمثلة الدالّة على ذلك أيضاً ما رواه ابن عباس قال: قال عبد الله بن صوريا الأعور للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتّبِعْنَا يا محمد تهتدِ. وقالت النصارى مِثل ذلك، فأنزل الله تعالى: «وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قلْ بل مِلّة إبراهيم حنيفاً وما كان مِن المشركين». (البقرة: 135)[322]. وكذلك قول أحبار اليهود أمام النبي ﷺ ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقول النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً[323]. وليس في هذا إشارة إلى جنسية القائلين، وعلى الأرجح أنّهم ليسوا نصارى نجران. وكان في المدينة بعد الهجرة مجالس تضم مسلمين ومشركين ويهوداً[324]، وربّما نصارى. ويروى أنّه جلس أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى وأهل الأديان الآخرين؛ كل فِرقة تدّعي أنّها أفضل مِن الأخرى، فنزل قوله سبحانه: «ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب مَن يعمل سوءاً يُجزَ به ولا يجد له مِن دون الله وليّاً ولا نصيراً» (النساء: 123)[325]. وفي قوله تعالى: «قل يا أهل الكتاب لِمَ تصدّون عن سبيل...». (آل عمران: 98) عن قتادة: هم اليهود والنصارى[326].

(321) ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 2، ص. 619؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 4، ص. 166؛ صدّيق بن حسن الحسيني القنوجي، فتح البيان، مج. 1، ص. 571؛ النسفي، **النفسير (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)**، تحقيق: مروان محمد الشعّار، بيروت، 1996، ج. 1، ص. 297.

(322) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 1، ص. 722.

(323) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 616.

(324) البخاري، **الأدب المفرد**، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، الرياض، 1998، مج. 2، ص. 622؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 2، ص. 429؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 114.

(325) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 475-476؛ ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 380؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 148.

(326) ابن أبي حاتم، **التفسير**، ج. 2، ص. 717.

وفد نصارى نجران:

تعدّ نجران مركزاً مهمّاً مِن مراكز النصرانية في بلاد العرب، وكان أهلها مِن أغنى سكان شبه الجزيرة العربية، وكان يحكمها مجلس ثلاثي مكوّن مِن ثلاثة أشخاص هم السيّد والعاقب والأسقف. فالسيّد هو المسؤول عن الحروب والمعاهدات والضيافة، والعاقب هو المسؤول عن الأمور الداخلية المتعلقة بالأمن وأعمال البلدية، أمّا الأسقف فهو المشرف على رجال الدين في نجران، وكان الثلاثة يتمتّعون بمركز مرموق في البلدة. وكان في نجران كنيسة كبيرة ذات عمارة فخمة مزيّنة ومزخرفة بالفسيفساء والرخام، وكانت مربّعة الشكل، على مرتفع مِن الأرض يصعد إليه بدرج، وهي التي عُرفت بكعبة نجران، وبالكعبة اليمانية، وكان فيها دير مشهور. وكان نصارى نجران على المذهب اليعقوبي، ومع مخالفة هذا المذهب لمذهب الإمبراطورية البيزنطية الرسمي؛ إلا أنّ الإمبراطور كان يهدي لكنيسة نجران رغبة مِن الدولة في كسب نصارى نجران، وليكون للبيزنطيين موطأ قدم في غرب بلاد العرب[327]. وقد وُصف العاقب والسيّد بأنّهما صاحبا نجران[328]، وأحياناً يوصفان بأنّهما أسقفا نجران[329]، وقيل: إنّ العاقب هو مَن يلي السيّد في الرتبة، والأسقف تغْلِب عليه المهمات الدينية في الكنيسة أو الأسقفية، وعادة ما يطلق على الرئيس مِن علماء النصارى[330]. وأكّد عدد مِن المؤرخين أنّ لفظ «أسقف» ليس اسماً؛ وإنّما هو منزلة مِن منازل النصرانية، ونظراً

---

(327) ابن عبد الحق البغدادي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 578؛ أبو الفرج الأصفهاني، **الديّارات**، ص. 163-164؛ برهان الدين لدّو، **المرجع السابق**، ص. 614-615؛ جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 617، 618؛ دي لاسي أوليري، **المرجع السابق**، ص. 157-158؛ صلاح عبد الفتّاح الخالدي، **الرسول المبلّغ** ﷺ، بيروت/دمشق، 1997، ص. 58؛ ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 608. عدَّ بعض العلماء نجران أطيب أراضي إقليم الحجاز. (انظر: السيوطي، **الكنز المدفون**، ص. 130.) يقول مارجليوث إنّ نجران كانت مقرّاً لأسقفية. Magolioth, D. S., Mohammed, London, 1939, p. 128 يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: إنّ النصرانية لجأت إلى أرض نجران فراراً مِن حكم القياصرة الذين اضطهدوها. (**المرجع السابق**، ص. 70.) وفي هذا القول نظر.

(328) ابن شبّه، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 310. لمعرفة نصّ كتاب الصلح، انظر: محمد حميد الله، **المرجع السابق**، ص. 80-82. أكّد الشيخ محمد أبو زهرة أنّه كان في نجران أكثر مِن أسقف، وعدد كبير مِن الرهبان مِنهم مَن أسلم. (انظر: **خاتم النبيين** ﷺ، ج. 2، ص. 1369.)

(329) ابن أبي شيبة، **كتاب المغازي**، ص. 408؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 3، ص. 6.

(330) الرحبي الحنفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 479، 487.

إلى كون ألفاظ العاقب والسيّد والأسقف ألقاباً؛ فقد اختلف المؤرخون والمحدّثون في أسماء هؤلاء الذين وفدوا على رسول الله ﷺ مع أناس مِن أهل نجران[331]، ومما يدلّ على أنّ لفظتي السيّد والعاقب كانتا لقبين لِمَن يتولى مسؤوليات إدارية في نجران: أنّه بعد إجلاء الخليفة عمر لنصارى نجران إلى العراق حيث أسّسوا بلدة تحمل أيضاً اسم نجران، استخدم النجرانيون المسميين (اللقبين) الإداريين نفسيهما[332]. ويبدو أنّ هذه الألفاظ غير عربية، ولها علاقة بالديانة النصرانية على الرغم مِن أنّ نصارى نجران هم مِن العرب، كما تؤكّد المصادر العربية الإسلامية[333]. وقيل عن نجران أنّ فيها بقايا مِن أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام، على الإنجيل، وهم أهل فضل واستقامة[334]. وعلى الرغم مِن اشتهار نجران بالنصرانية؛ إلا أنّها لم تكن عامّة في البلدة كلّها، إذ آمنت بها طوائف مِن النجرانيين ولا سيما أبناء الطبقة العليا وأصحاب النفوذ في البلدة. وبقي جزء مِن السكان على الوثنية[335]، وكان يقيم في نجران عرب وعجم؛ مع أنّ أكثر نصارى نجران كانوا مِن العرب[336].

ومِن خلال تَتبّع الروايات الخاصّة بزيارات نصارى نجران إلى المدينة تبيّن أنّها متكرّرة ومتتابعة فردية وجماعية، ومِن المرجّح أنّها بدأت منذ السنة الأولى للهجرة النبوية إلى المدينة.

(331) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 104؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 369، ج. 3، ص. 196، 466؛ المؤلف نفسه، **فتح الباري**، ج. 7، ص. 118، ج. 8، ص. 118.

(332) ابن سلاّم، **المصدر السابق**، ص. 202؛ أبو يوسف القاضي، **كتاب الخراج**، تحقيق: محمد إبراهيم البنّا، القاهرة، 1981، ص. 162.

(333) الآلوسي، **بلوغ الأرب**، ج. 2، ص. 242؛ ابن سلاّم، **المصدر السابق**، ص. 32؛ قدامة بن جعفر، **المصدر السابق**، ص. 224.

(334) ابن كثير، **السيرة النبوية**، مج. 1، ص. 26. يقول أسد رستم إنّ نجران أهمّ مواطن النصرانية في بلاد العرب. (**المرجع السابق**، ج. 1، ص. 401.)

(335) انظر: غيثان بن علي بن جريس، **نجران: دراسة تاريخية (ق 1 – ق 4 هـ / ق 7– ق 10 م)**، الرياض، 2004، ج. 1، ص. 62.

(336) ابن قدامة المقدسي، **المغني**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وعبد الفتّاح محمد الحلو، القاهرة، 1990، ج. 13، ص. 206؛ ابن قيّم الجوزية، **جامع الفقه**، جمع وتوثيق وتخريج: يسري السيّد محمد، المنصورة، 2000، ج. 4، ص. 86؛ الخزاعي التلمساني، **المصدر السابق**، ص. 521؛ السياغي، **الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير**، الطائف، ط. 2، ج. 4، ص. 642؛ الشافعي، **كتاب الأم، مج. 5: كتاب: الحكم في قتال المشركين**، ص. 444؛ الشنقيطي، **العذب النمير مِن مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق ودراسة: خالد بن عثمان السبت، الدمام/ القاهرة، 2003، مج. 5، ص. 2254.

وكانت هذه الوفود تروح وتغدو على الرسول ﷺ، وتسأله ويجيب في فترات متقاربة أو متباعدة. وكانت موضوعات الحوار والجدال هي العقيدة النصرانية[337]. وقد اختلفت الروايات في تحديد أعداد الوفد بين أربعة عشر وستّين رجلاً، بل أوصل بعضهم العدد إلى سبعين[338]، ويحتمل أنّ رواية الوفد النجراني المكوّن مِن ستّين فرداً هي أشهر روايات وفود نصارى نجران، وهي الرواية التي يعتمد عليها أغلب المفسرين ومؤلّفو الدلائل والمؤرخون[339]، وقيل: إنّهم كانوا ستّين رجلاً، كان فيهم أربعة عشر مِن أشرافهم[340]. ويرى أحد الباحثين أنّ الاختلاف في العدد غير ذي أهمية؛ والمهم أنّ الروايات قد أجمعت على وصول وفد نصارى نجران إلى المدينة[341]. وفي رأيي أنّ سبب اختلاف أعداد الوفد يعود إلى مجيء هؤلاء النجرانيين في مرّات مختلفة بأعداد مختلفة، وليس بالضرورة أنّها كانت وفداً واحداً اختلفت الروايات في تحديد أعداد أفراده.

ويلاحظ مِن خلال الحوارات بين النبي ﷺ وأفراد الوفد أنّ أهل العلم مِن نصارى نجران يعلمون صدق نبوة محمد ﷺ، وأنّه هو النبي المذكور في الإنجيل، ومع ذلك فقد امتنع جزء مِنهم مِن الدخول في الإسلام، نظراً لِمَا لهم مِن صلات سياسية وعقدية واقتصادية، ومصالح مادية مع البيزنطيين[342]، وكما قال العلامة ابن قيّم الجوزية: إنّ رفض بعض سادة

(337) أحمد علي عجيبة، **المرجع السابق**، ص. 14، 16، 19—20، 73.

(338) ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 836.

(339) أحمد علي عجيبة، **نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة**، القاهرة، 2004، ص. 13.

(340)سبط ابن العجمي، **التوضيح**، ص. 214.

(341) غيثان بن علي بن جريس، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 75.

(342) غيثان بن علي بن جريس، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 79. يمتدح كارل برولكمان موقف نصارى نجران في التمسّك بالنصرانية، وعدم استجابتهم للإسلام. (**المرجع السابق**، ص. 73.) ويقول أ. ل. طيباوي إنّ كثيراً من نصارى نجران ظلّوا مخلصين لدينهم. انظر:

Tibawi, A. L., "Chistians unde Muhammad and his Fist Two Caliphs", IC, 6/1,2 (1961), p. 34.

كان النجرانيون يسألون رسول الله ﷺ في أمور ليس لها علاقة بالديانة النصرانية، بل في أمور أخرى أيضاً، ومما يروى في ذلك أنّ الشَّمَرْدَل بن قباث الكعبي النجراني– وكان كاهن قومه، ووفد معهم إلى المدينة– سأل النبي ﷺ في مسائل تتعلّق بالطب والدواء. قال الخطيب البغدادي: في هذا الحديث نظر. وقال ابن الجوزي: فيه مجاهيل. وعلّق عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني: ليس في رجاله مجهول إلا صاحب الترجمة =

النصارى الإسلام كعادة الرؤساء الذين مَنَعَتْهُم الرئاسة مِن اختيار الهدى وإيثار دين قومهم. وإذا كان هذا حال الرؤساء المتبوعين الذين هم مِن العلماء والأحبار، فقد كان بقيّتهم وعامّتهم تبعاً لهم(343).

ويلاحظ أنّه كان مِن أهداف نصارى نجران محاجة الرسول ﷺ ومجادلته، ويتضح أيضاً أنّ المحاجة والجدال بين النبي ﷺ والنصارى كانت تتركّز على العقيدة النصرانية في المسيح عليه السلام، ويُفهَم مِن الآيات الدالّة على هذا الجدال أنّ النصارى المجادلين كانوا يتحلّون بصورة عامّة بدماثة خلق وبُعد عن العنف، على عكس اليهود المعاندين، ويُفهَم مِن آيات سورة آل عمران الخاصّة بنصارى نجران أنّ المناظرة لم تكن في جلسة واحدة، وأنّ بعض الآيات نزلت عقب الجلسة الأولى، وبعضها نزل عقب الجلسة الأخيرة، وقَبْل عودة الوفد النجراني. ومِن المؤكّد أنّ جلسات المناظرة كانت حاشدة شهدها أعضاء الوفد وفريق كبير مِن المسلمين وبعض اليهود، ويُفهَم مِن الآيات أيضاً أنّها كانت تخاطب أناساً قريبين(344). وهذا الاجتماع الحواري والفكري أطلق عليه محمد حسين هيكل مؤتمر الأديان الثلاثة، وقال عنه: أيّ مؤتمر أعظم مِن هذا المؤتمر الذي شهدت يثرب حيث تلتقي فيه الأديان الثلاثة(345).

= (أي قيس بن الربيع)، أمّا نوفل والمقبري والضحاك فثقات، وشيخ الإسماعيلي وشيخه معروفان. وأمّا محمد بن أيّوب خال البرقي فهو مشهور بالوضع، ويحتمل أن يكون محمد بن أيّوب بن سويد وهو مَن نُسب إلى الوضع. (انظر: ابن الجوزي، **العِلل المتناهية في الأحاديث الواهية**، تحقيق: خليل الميس، بيروت، 1983، ج. 2، ص. 882-883، رقم: 1478، ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 289.)

(343) ابن قيّم الجوزية، **هداية الحيارى**، ص. 59. يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: كان عامّة رؤساء النصارى مِن القسيسين والرهبان، وما يدخل فيهم مِن البطارقة والمطارنة والأساقفة؛ إذا صار الرجل مِنهم فاضلاً مميزاً فإنّه ينحلّ عن دينه ويصير منافقاً لملوك أهل دينه وعامّتهم، رضي بالرياسة عليهم وبما يناله مِن الحظوظ. (**الرسالة القبرصية**، ص. 29.)

(344) محمد عزة دروزة، **سيرة الرسول** ﷺ، بيروت/صيدا، 1980، ج. 2، ص. 237، 238، 242، 243—248. انظر كذلك: أحمد فؤاد سيّد، **تاريخ الدعوة الإسلامية في عهد النبي والخلفاء الراشدين**، القاهرة، 1994، ص. 111.

(345) **حياة محمد** ﷺ، القاهرة، 2002، ص. 199.

زيارات السنوات الثلاث الأولى مِن الهجرة:

روى السُّدِّي أنّه لمّا بُعث رسول الله ﷺ وسمع به أهل نجران أتاه مِنهم أربعة نفر مِن خيارهم، مِنهم العاقب والسيّد وماسرجس وماربحر، فسألوه ما يقول في عيسى، فقال: هو عبد الله وروحه وكلمته. قالوا: لا. وعن الحسن البصري: أتى رسول الله ﷺ راهبان مِن نجران (أو راهبا نجران)، فقال أحدهما للآخر: مَن أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل حتى يأمره ربّه، فنزل قوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾. (آل عمران: 58)[346]. ويبدو أنّ الرواية عن الحسن البصري فيها سقط فهي غير كاملة، وهي تشبه رواية أخرى عن الحسن نفسه أخرجها الواحدي؛ وهي: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ فعرض عليهما الإسلام، فقال: أحدهما إنّا قد أسلمنا قبلك. فقال: كذبتما إنّه يمنعكما مِن الإسلام ثلاثة: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير وقولكم له ولد. قالا: مَن أبو عيسى؟ وكان لا يعجل حتى يأمره ربه، فأنزل سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾. (آل عمران: 59). وأخرج السيوطي هذه الرواية بسياق آخر، وهو: جاء راهبا نجران إلى النبي ﷺ، فقال لهما: أسلما تسلما، فقالا: قد أسلمنا قبلك. فقال: كذبتما، يمنعكما مِن الإسلام: سجودكما للصليب (أو للصنم)، وقولكما: اتّخذ الله ولداً، وشربكما الخمر. فقالا: ما تقول في عيسى؟ قال: فسكت النبي ﷺ، فنزل قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾. (آل عمران: 58)، وهي تشبه رواية أخرى عن الأزرق بن قيس: جاء أسقف نجران والعاقب إلى رسول الله ﷺ، فعرض عليهما الإسلام فقالا: قد كنّا مسلمين قبلك. فقال: رسول الله ﷺ: كذبتما، منع الإسلام منكما ثلاث: قولكما: اتّخذ الله ولداً، وسجودكما للصليب، وأكلكما لحم الخنزير، قالا: فمَن عيسى؟، فلم يدرِ ما يقول، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾. (آل عمران: 59). وهي تشبه أيضاً رواية أخرى عن قتادة: ذُكر لنا أنّ سيدي أهل نجران وأسقفهم السيّد والعاقب لقيا نبي الله ﷺ، فسألاه عن عيسى، فقالا: لكلّ آدمي أب؛ فما بال عيسى لا أب له؟، فنزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ

(346) ابن أبي حاتم، **التفسير**، ج. 2، ص. 664، 665.

عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ ﴾(347).

وأتى ثمانية مِن أساقفة العرب مِن أهل نجران مِنهم العاقب والسيّد إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله آية المباهلة، فطلبوا من النبي ﷺ أنْ يؤخّرهم ثلاثة أيّام قبل المباهلة، فذهبوا إلى بني قينقاع والنضير وقريظة فاستشاروهم، فأشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه، وهو النبي ﷺ الذي نجده في التوراة، فصالحوا النبي ﷺ(348). ويرى بعض العلماء أن ذهاب وفد نصارى نجران إلى يهود غير معقول، إذ إن قدوم وفد نجران كان في سنة تسع، ولم يكن بنو النضير وقريظة وقتها في المدنية، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يستشير النصارى اليهودَ لِمَا بين الفريقين مِن العداوة والفِراق(349).

وقدِم وفدٌ نجراني آخر إلى المدينة حتى وقفوا على اليهود في بيت المدراس، فصاحوا بهم: يا ابن صوريا، يا كعب بن الأشرف انزلوا يا إخوة القرود والخنازير. فنزلوا إليهم، فقالوا لهم: هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنة قد غلبكم، أحضِروا المُمتحِنة ولنمتْحِنه غداً(350). ويُفهَم مِن هذه الرواية أن قدوم هؤلاء النصارى قبل مقتل كعب بن الأشرف

(347) انظر أثر الحسن البصري في **أسباب النزول** (ص. 90) للواحدي. وأمّا أثر الأزرق فقد عزا السيوطي في **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 603-604؛ **ولباب النقول** (ص. 52) إخراجه إلى ابن سعد وعبد بن حُميد. قال سليم الهلالي ومحمد آل نصر عن عن أثر الحسن: ضعيف، أخرجه أبو الشيخ في تفسيره، ومِن طريقه الواحدي في **أسباب النزول** والوسيط، وهو مرسل. وقالا عن أثر الأزرق: ضعيف، رجاله ثقات لكنّه مرسل. وقالا عن أثر قتادة: ضعيف، رجاله ثقات لكنّه مرسل. وقالا عن أثر قتادة: ضعيف، رجاله ثقات لكنّه مرسل. (**المرجع السابق**، مج. 1، ص. 244-245، 246.). وقال محقّق اللباب عن أثر الأزرق: هو مرسل، ولأصل هذا الخبر شواهد. وانظر الأثر نفسه عند ابن حجر العسقلاني في كتاب **العُجاب في بيان الأسباب**، ص. 251-252. والأزرق هو الأزرق بن قيس بن بَلحارث بن كعب بن عمرو بن عُلّة بن جَلْد بن مالك. روى عن أبي برزة الأسلمي وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك. قال عنه يحيى بن معين والنسائي: ثقة. وعدّه خليفة بن خياط ضمن الطبقة الرابعة مِن أهل البصرة ممن حفظ عنه الحديث بعد أصحاب رسول الله ﷺ. وقال عنه ابن حبّان: مِن صالحي أهل البصرة، وذكره في الثقات. توفي بُعيد عام 120 هـ. (انظر: ابن حبّان، **كتاب الثقات**، مج. 2، ص. 36؛ المؤلف نفسه، **مشاهير علماء الأمصار**، ص. 92؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 97؛ ابن خيّاط، **كتاب الطبقات**، ص. 214؛ البخاري، **كتاب التاريخ الكبير**، مج. 2، ص. 56؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 68؛ قاسم علي سعد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 200، رقم: 109.)

(348) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 609—610.

(349) السيوطي، **الخصائص الكبرى**، ج. 2، ص. 170، ح. (3).

(350) أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، مج. 11-12، ج. 12، ص. 267.

مما يشير إلى قدم وصول النجرانيين إلى المدينة، وهو ما فسّره عبد الله بن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾. (البقرة: 120): وعن ابن عبّاس أيضا أن يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون أن يصلّي النبي ﷺ إلى قِبلتهم، فلمّا صرف الله القبلة إلى الكعبة شقّ ذلك عليهم، وأَيسوا منه أن يوافقهم على دينهم[351].

وفي رواية أن الوفد النجراني العائد مِن المدينة– وفي رأيي أنها عودة الوفد الثاني إلى نجران– أتى راهبَ نجران، ويدعى ليث بن أبي شمر الزبيدي، وهو في رأس صومعة له، فأخبره بخبر النبي ﷺ، فانطلق بنفسه ليستوضح الأمر، وحمل معه هدية للرسول ﷺ مِنها بردة وذهب وعصا، وأقام في المدينة، قيل: سنين، يرى ويسمع كيف ينزل الوحي والسنن والفرائض، ولكنّه لم يسلم ثم رجع إلى قومه[352]. وكونه يقيم في المدينة سنين يؤكّد أن قدومه المدينة كان قبل وفاة النبي ﷺ بمدّة طويلة ربما لا تقلّ عن خمس سنوات.

ويُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ .. ﴾. (آل عمران: 61) أن النبي ﷺ يدعو المحاجّين والمجادلين في عيسى عليه السلام إلى الاجتماع رجالاً ونساءً وأطفالاً، على الرغم مِن أن نصارى نجران على الأرجح لم يكن معهم نساؤهم لحظة مجيئهم إلى المدينة. ويُفهَم مِن الآية أيضاً الحكم بمشاركة النساء للرجال في الاجتماع في المحاجة الدينية، وهو مبني على أساس أن المرأة كالرجل في أغلب الأمور العامّة[353]. ويُفهَم من ذلك أن الخطاب موجّه أيضاً إلى النصارى المقيمين مع ذراريهم في المدينة، وهذا ما ألمح إليه القاضي عبد الجبّار لّما قال: ومِن أعلامه ﷺ

(351) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 1، ص. 576؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 40.

(352) ابن قيّم الجوزية، **زاد المعاد**، مج. 4، ص. 30؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 5، ص. 296، 297؛ صلاح عبد الفتّاح الخالدي، **المرجع السابق**، ص. 72-73. يرى الشيخ محمد أبو زهرة أن هذا الراهب أتى إلى المدينة في العام العاشر للهجرة. (**خاتم النبيين** ﷺ، ج. 2، ص. 1369.)

(353) محمد رشيد رضا، **تفسير المنار**، القاهرة، 1973، مج. 2، ج. 3، ص. 365، 366. انظر كذلك: ابن عسكر، **المصدر السابق**، ص. 80-81.

هو أن نصارى نجران وغيرهم مِن النصارى دعاهم إلى الإسلام..... فقالوا: أسلمنا قبلك، فكذّبهم في قولهم بأنّهم قالوا: لله ولد، وعظّموا الصليب، وأكلوا الخنزير...... ثم دعاهم إلى المباهلة(354).

ويقول سفيان الثوري إن كل شيء في آل عمران مِن ذِكر أهل الكتاب فهو في نصارى نجران(355)، ولكن هذا القول لا يصحّ على إطلاقه، ومما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾. (آل عمران: 64)، إذ كتب النبي ﷺ هذه الآية في كتابه إلى هرقل إمبراطور بيزنطة، ولهذا أشكل هذا الأمر على بعضهم، ولا سيما مَن يرى أن هذه الآية نزلت في وفد نجران، ولا شك أن حلّ الإشكال يتوقّف على معرفة سبب النزول، ولم تثبت رواية صحيحة مسندة في أنّها نزلت في وفد نجران، وأما ما ورد مِن روايات في هذا الموضوع فهي روايات مرسلة، وفي جميع أسانيدها ضعف. وهي تعارض ثلاث روايات مرسلة أخرى، إسناد إحداها حسن تذكر أن هذه الآية نزلت في يهود المدينة تدعوهم إلى الكلمة السواء، مما يعني أنّها نزلت قبل إجلاء آخر قبائلهم في السنة الخامسة. مما يعضّد القول بأنّ نزول الآية كان قبل إرسال الكتاب إلى هرقل. وفي إيراد البخاري لنصّ الكتاب إلى هرقل إشارة إلى ترجيحه لروايات تَقَدُّم نزول الآية على مجيء وفد نجران(356). كما أنّه هناك آيات في سورة آل عمران يرد فيها عبارة ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾، وتعني اليهود خاصّة(357).

(354) **تثبيت دلائل النبوة**، ج. 2، ص. 426. يقول ن. روبينسون إن آيات سورة آل عمران تخاطب نصارى العرب عامّة. (انظر:

Robinson, N., "Surat Al Imran and those with the Greatest claim to Abaham",JQS, 6/2 (2004), pp. 6, 15.)

(355) ابن أبي حاتم، **التفسير**، ج. 2، ص. 676؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 622.

(356) انظر: أكرم ضياء العمري، **المجتمع المدني في عهد النبوة: الجهاد ضدّ المشركين**، المدينة، 1984، ص. 152-153. حول تضعيف هذه الروايات، انظر: سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 245-248. انظر كذلك: محمدعزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج. 7، ص. 110.

(357) انظر: ابن أبي حاتم، **التفسير**، ج. 2، ص. 678، 689.

وعن ابن عباس قال: لما قدِم أهل نجران مِن النصارى على رسول الله ﷺ أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله ﷺ، فقال: رافع بن حُريملة: ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى والإنجيل، فقال رجل مِن أهل نجران لليهود: ما أنتم على شيء، وجحد بنبوّة موسى وكفر بالتوراة[358]. وبالغوا في القول لمّا قال أبو رافع القرظي: أتريد منّا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رجل مِن أهل نجران يدعى الريس أو الرّبّيس: أذَلِكَ تريد يا محمد (أو: أَوَ ذاك تريد منّا يا محمد)؟ فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبدَ غير الله أو آمر بعبادة غيره[359]. وهذه الرواية تؤكد أن الحوار بين النبي ﷺ وبين نصارى نجران حضره أفراد مِن يهود، مما يشير إلى أن وفود النجرايين كان قبل إجلاء آخر القبائل اليهودية مِن المدينة. وكان يدور أمام النبي ﷺ عدد مِن الحوارات الدينية والعقدية بين اليهود مِن جهة والنصارى مِن جهة أخرى، مِنها لمّا اجتمعت أحبار يهود ونصارى نجران عند النبي ﷺ تنازع الفريقان فقال اليهود: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً. فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ﴾[360].

وفود السنوات مِن الرابعة إلى التاسعة للهجرة:

كثرت في هذه السنوات وفود نصارى نجران إلى المدينة رغبة في الحوار والمجادلة والمحاججة، وهنا أيضاً تختلف الروايات في أسماء الأشخاص وتعيين ذواتهم وأعيانهم ومهاتهم الدينية، وأدوارهم الاجتماعية والإدارية في المجتمع النجراني.

ومما ذُكر في الأخبار أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتباً عندهم فيها ذِكر رسول الله ﷺ، فكلما مات رئيس مِنهم وأفضت الرئاسة إلى غيره ختم على تلك الكتب، حتى

---

(358) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 1، ص. 560. انظر كذلك: محمدعزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج. 7، ص. 132.

(359) البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 5، ص. 291، 292، السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 616، 642.

(360) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 149؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 616. يقول ابن قيّم الجوزية إنّه تجوز «مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته في إسلامه منهم، وإقامة الحجة عليهم، ولا يهرب مِن مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة». (**زاد المعاد**، مج. 4، ص. 32.)

خرج الرئيس الذي كان على عهد رسول الله ﷺ يمشي فعثر فقال ابنه: تعس الأبعد، يريد النبي ﷺ، فقال له أبوه: لا تفعل، فإنّه نبي، واسمه في الوضائع (يعني الكتب)، فلَمّا مات هذا الرئيس، قام الابن بكسر الخواتم، وفتح الكتب فوجد فيها اسم رسول الله ﷺ، فأسلم، وحسن إسلامه وحجّ، وقال رجزاً:

إليـك تَعْـدو قلِقـاً وضينهـا — معترضـاً في بطنهـا جنينهـا

مخالفـاً دين النصـارى دينهـا(361)

ويبدو أن هذه القصّة حدثت بعد انتشار خبر النبي صلوات الله وسلامه عليه في بلاد العرب، وبدأ نصارى نجران يتوافدون إلى المدينة.

ثم قَدِم وفد نجراني آخر مكوّن مِن ستّين راكباً، فيهم أربعة عشر رجلاً مِن أشرافهم، وكان فيهم ثلاثة نفر مِن سادتهم، وهم: العاقب؛ واسمه عبد المسيح، والسيّد؛ واسمه الأيهم، وقيل: شرحبيل، والأسقف؛ واسمه أبو الحارث بن علقمة بن ربيعة، وكان له علم بالدين، وكان صاحب مدراسهم وله فيهم قدر. وكانت ملوك الروم مِن أهل النصرانية قد شرّفوه وموّلوه، وبنوا له الكنائس وأكرموه، لِمَا يبلغهم عنه مِن اجتهاده في الدين. وفي الطريق وهم متوجّهون إلى المدينة عثرت به بغلته، فقال أخوه كرز بن علقمة: تَعِس الأبعد، يريد رسول الله ﷺ، فقال أبو الحارث: بل تعِستَ أنت، أتشتم رجلاً مِن المرسلين؟ إنه الذي بشّر به عيسى وإنّه لَفِي التوراة. قال: فما يمنعك مِن دينه؟ قال: شرّفنا هؤلاء القوم وموّلونا وقد أَبَوْ إلا خلافه، فلو فعلتُ نزعوا منّا كلّ ما ترى. فحلف أخوه ألا يثني له صَعَراً حتى يقدم المدينة فيؤمن به، قال: مهلاً يا أخي فإنّما كنتُ مازحاً، قال: وإنْ، فمضى يضرب راحلته، وأنشأ يقول:

إليـك تَعْـدو قلِقـاً وضينهـا — معترضـاً في بطنهـا جنينهـا

مخالفـاً ديـن النصـارى دينهـا

(361) ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 169.

فقَدِم المدينة وأسلم[362] وقد روى البيهقي[363] هذه القصّة من دون الرجز، مما يشير إلى تعدّد الحادثة، وإسلام أفراد مِن الوفود النجرانية بهذه الطريقة.

وفي أواخر سنة تسع كتب النبي ﷺ إلى أهل نجران يدعوهم للإسلام، فخرج إليه وفدهم المكوّن مِن أربعة عشر رجلاً مِن أشرافهم ، فيهم العاقب وهو عبد المسيح، وهو رجل مِن كندة، وأبو الحارث (أو أبو حارثة) بن علقمة، رجل من ربيعة (أو هو أخو بني بكر بن وائل)، وأخوه كرز، والسيّد وهو الأيهم، وأوس والحارث، وزيد وقيس ويزيد وشيبة وخويلد وخالد وعمرو وعبيد الله ويُحنّس أو مخنس. فقدِم الوفد المدينة فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحبرة، وأردية مكفوفة بالحرير، فقاموا يصلّون في المسجد نحو الشرق، ولم يعترض عليهم رسول الله ﷺ، فلمّا فرغوا أتوه فلم يكلمهم، فقال لهم عثمان: ذلك مِن أجل زيّكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلّموا على النبي ﷺ، فرد عليهم ودعاهم للإسلام فأَبَوا، وكثر الكلام والحِجاج بينهم، وتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا، ثم صالحهم على أمور يدفعونها جزية، ولنجران وحاشيتهم جوار الله وذمّة محمد النبي رسول الله على أنفسهم وملّتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم وبيعهم، وأَشْهَدَ على ذلك شهوداً مِنهم أبو سفيان بن حرب والأقرع بن حابس والمغيرة بن شعبة. ورجع النجرانيون إلى بلادهم، ولم يلبث السيّد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا وأسلما[364]. وهذه قصّة طويلة وهي التي رواها سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جدّه المشار إليه سابقاً. وفي القصة تفاصيل دقيقة لحوارات ونقاشات دارت بين أهالي نجران وبين

---

(362) ابن سعد، **المصدر السابق،** ج. 1، ص. 138-139؛ ابن هشام، **المصدر السابق،** ج. 2، ص. 168-169. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري،** ج. 8، ص. 118.

(363) **دلائل النبوة،** مج. 5، ص. 291.

(364) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة،** ج. 3، ص. 196؛ ابن سعد، **المصدر السابق،** ج. 1، ص. 307-308؛ البيهقي، **دلائل النبوة،** مج. 5، ص. 293 فا بعدها؛ سبط ابن العجمي، **التوضيح،** ص. 214. يقول القُمّي إن نصارى نجران لمّا حضرت صلاتهم أقبلوا يضربون بالناقوس وصلّوا. (**المصدر السابق،** ج. 1، ص. 104.) لمناقشة نصوص هذا الصلح، انظر: غيثان بن علي بن جريس، **المرجع السابق،** ج. 1، ص. 81-82. يعلّق الإمام السبكي على هذا الصلح بقوله: وهذا الحديث في صلح أهل نجران حسن جدّاً عمدة في هذا النوع مِن الصلح..... (**الفتاوى،** بيروت، ج. 2 ص. 377.)

الأساقفة ورجال الدين لما وصلهم كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى الإسلام. كما تشتمل القصّة على تفاصيل الحوار بين الوفد النجراني وبين النبي ﷺ. ومما يؤخذ على هذه الرواية– إلى جانب ضعف سندها– هو أنّها ذكرت في البداية: أن رسول الله كتب إلى أهل نجران قبل أن تنزّل عليه ﴿ طسٓ ﴾ (الآية الأولى مِن سورة النمل) باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب»؛ وقد علّق العلامة ابن القيّم على ذلك بقوله: «أمّا قوله إنه ﷺ كتب إلى نجران باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فلا أظنّ ذلك محفوظاً، وقد كتب إلى هرقل «بسم الله الرحمن الرحيم» وهذه كانت سنّته في كتبه إلى الملوك..... وقد وقع في هذه الرواية قوله وذلك قبل أن ينزل عليه ﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ١ ﴾، وذلك غلط على غلط، فإنّ هذه السورة مكيّة باتفاق، وكتابه إلى نجران بعد مرجعه مِن تبوك»[365]. ووصف أحدهم كتاب النبي ﷺ إلى أهالي نجران بأنّه نوع مِن التقدير النبوي للنصارى، وأنّه تخصيص نبوي لهم دون سائر المِلل الأخرى[366]. وربما كانت معاهدة النبي ﷺ مع نصارى

(365) **زاد المعاد**، مج. 4، ص. 34.

(366) عبد الإله بلقزيز، **تكوين المجال السياسي الإسلامي: النبوة والسياسة**، (مركز دراسات الوحدة العربية)، بيروت، 2005، ص. 158. ورواية سلمة بن عبد يشوع رواها عنه محمد بن موسى بن الفضل عن محمد بن يعقوب عن أحمد بن عبد الجبار عن يونس بن بكير. فالراوي الأوّل يونس هو أبو بكر يونس بن بكير بن واصل الشيباني، صدوق يخطئ، وقد وثّقه عدد مِن الأئمة كابن معين وغيره، توفي عام 99 هـ.، وأحمد هو أبو عمر أحمد بن عبد الجبار بن محمد العطاردي الكوفي، ضعيف، وذُكر أن أهل العراق مجمعون على ضعفه، وسبب تضعيفه أنّه لم يَلقَ القوم الذين يحدّث عنهم، وقد أنكر بعض العلماء هذا القول لأنّ عدداً مِن المحدّثين شهدوا أنّه كان يحدّث ممن يلتقيهم كيونس بن بكير، وسماعه للسيرة صحيح، ورجّح عدد مِن المختصين توثيقه. توفي عام 272 هـ.، وعمره 95 سنة. ومحمد بن يعقوب هو أبو العباس محمد بن يعقوب بن يوسف بن معقل بن سنان، الأصم، المحدث الرحّال الثقة الصدوق، محدّث خراسان، حدّث في الإسلام 76 سنة، ولم يُختلف في صدقه وصحة سماعاته، توفي عام 346 هـ. وعمره 99 سنة. ومحمد بن موسى هو أبو سعيد محمد بن موسى بن شاذان بن عمرو النيسابوري الصيرفي، أحد الثقات الأثبات المشاهير، توفي عام 422 هـ. (انظر: ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، مج. 2، ص. 20، مج. 9، ص. 290؛ ابن أيبك الصفدي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 87، 223؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 81، 613؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 313-314، ج. 8، ص. 521-525؛ ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 83؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 6، ج. 11، ص. 248؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 21، مج. 3، ص. 305؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج. 5، ص. 17-20؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث ووفيات 261–270، 271–280 هـ**، ص. 258-260؛ المؤلف نفسه، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 7، ص. 137-139؛ المؤلف نفسه، **المُغني في الضعفاء**، مج. 1، ص. 75؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 1، ص. 252-253؛ محمد صبحي بن حسن حلاّق، **المرجع السابق**، ص. 21-22.)

نجران ومصالحتهم على دفع الجزية بهدف ربطهم بدولة الإسلام، وقطع أواصر التواصل مع دولة بيزنطة لتأمين ظهر المسلمين في تخطيطهم لمواجهة كبيرة مع البيزنطيين في الشام[367]. ولا سيما إذا ما عرفنا أن نصارى نجران كانوا مقيمين على موالاة ملوك الروم رغبة في الدنيا، مع علمهم ببطلان ما هم عليه[368]، وكان نصارى نجران أوّل مَن أُخِذت منهم الجزية[369].

وفي أثناء هذا اللقاء قال النبي ﷺ لأبي الحارث: أسلم أبا الحارث[370]، وقد كنّاه تألّفاً له، واستُدلّ على ذلك بجواز تكنية أهل الكتاب[371]، والظاهر أن أبا الحارث قد أتى المدينة أكثر مِن مرّة. ولمّا رجع النجرانيون بكتاب الصلح استقبلهم الأسقف ووجوه نجران على مسيرة ليلة، ومع الأسقف أخ له مِن أمّه، وهو ابن عمه في النسب، يدعى: أبا علقمة بشر بن معاوية، وبينما كان يسير مع الأسقف كَبَتْ ببشر راحلته فعرّض بالنبي ﷺ وتعّسه، فنهاه أخوه، وأخبره أنّه نبي، فما كان مِن أبي علقمة إلا أن ثنى عنان ناقته واتّجه إلى المدينة، ولم يفلح أخوه في ثنيه، وقال الرجز السابق. ولمّا وصل المدينة ذهب إلى رسول الله ﷺ فأسلم، وحَسُن إسلامه حتى مات شهيداً في إحدى المعارك[372]، ولا يُستبعد تكرار حادثة الإسلام مع أكثر مِن واحد كما أسلفنا.

ويبدو أن هذه الزيارة كانت آخر زيارة لنصارى نجران كوفد كبير إلى المدينة، وهي التي كانت أكثر مجادلة مع النبي ﷺ، وهي التي عناها عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي بقوله:

---

(367) أكرم ضياء العمري، **المجتمع المدني في عهد النبوة: الجهاد ضدّ المشركين**، ص. 251.

(368) البقاعي، **نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسور**، القاهرة، 1992، ج. 4، ص. 322.

(369) ابن سلاّم، **المصدر السابق**، ص. 32؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 1، ص. 86. يقول سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر عن قصة سلمة بن عبد يشوع إنها ضعيفة، وسندها مسلسل بالمجاهيل فسلمة وأبوه وجدّه مجهولون. (**المرجع السابق**، مج. 1، ص. 256.)

(370) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 14، ص. 316، رقم: 19220؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 10، ص. 552، رقم: 18866. والحديث مِن مرسلات قتادة. وانظر تعليق مُحَقِّقَي كتاب **أحكام الذمّة** لابن القيم (مج. 3، ص. 1319، 1320، ح. (2).)

(371) ابن قدامة المقدسي، **المغني**، ج. 13، ص. 238؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 3، ص. 1321، 1322؛ الخلاّل، **المصدر السابق**، ص. 393.

(372) ابن قيّم الجوزية، **زاد المعاد**، مج. 4، ص. 30.

سمعت النبي ﷺ يقول: ليتَ بيني وبين أهل نجران حجاباً فلا أراهم ولا يروني، مِن شدّة ما كانوا يمارون النبي ﷺ(373). وبلغت المحاججة بينهم وبين النبي ﷺ إلى درجة أنّهم كانوا يقولون عيسى هو الله، وتارة ابن الله، وتارة ثالث ثلاثة، ويحتجّون على قولهم هو الله بأنّه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخبر بالغيوب، ويخلق مِن الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتطير، ويحتجون في قولهم إنّه ولد الله بأنّه لم يكن له أب يُعلم، ويحتجّون على ثالث ثلاثة بقول الله تعالى فعلنا وفعلنا، ولو كان واحداً لقال فعلتُ. وأخذ النبي عليه الصلاة والسلام يناظرهم بدقّة وعِلم وفَهْم، ومما قاله لهم: أَلَسْتم تعلمون أنّه لا يكون ولد إلا يشبه أباه؟ قالوا: بلى، قال: أَلَسْتم تعلمون أنّه حي لا يموت، وأنّ عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: أَلَسْتم تعلمون أن ربنا قيّم على كل شيء يكلوءه ويحفظه ويرزقه فهل يملك عيسى شيئاً مِن ذلك؟ قالوا: لا. وبعد طول مناظرة عرفوا أن الحق مع النبي ﷺ إلا أنّهم أبوا الإسلام(374).

ويقال إن نصارى نجران جادلوا الرسول ﷺ ثلاثة أيّام في إحدى زياراتهم للمدينة(375)، ولهذا يقال إن النجرانيين خاصموا رسول الله ﷺ خصومة لم يخاصم مثلها قط(376)، وقد صرّح القرآن الكريم بحدّة الحوار فقال الله تعالى عنها: ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ (آل عمران: 61) أي فإن جادلك اليهود والنصارى، وقيل: إنّهم قالوا: إنّ الدين اليهودية والنصرانية(377).

---

(373) ابن حجر الهيثمي، **كشف الأستار عن زوائد البزّار على الكتب السّتّة**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، 1985، ج. 1، ص. 98، رقم: 171؛ ابن عبد الحكم، **المصدر السابق**، ص. 204؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 7، ص. 411، رقم: 5339؛ البزّار، **البحر الزّخّار المعروف بمسند البزّار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، المدينة، 1997، ج. 9، ص. 244-245، رقم: 3786؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 604. وورد الحديث برواية: وددت أن بيني وبين أهل الحجاز حجاباً، مِن شدّة ما كانوا يجادلونه. (أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 3، ص. 1620.)

(374) انظر تعليقات القمّي النيسابوري على آيات آل عمران في كتابه: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، القاهرة، 1962، ج. 3، ص. 120.

(375) حسين العودات، **المرجع السابق**، ص. 69.

(376) ابن شبّه، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 309؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 170. وقد سرد ابن إسحاق قصة لقائهم مع النبي ﷺ ونزول آيات سورة آل عمران، وتفسير هذه الآيات. (انظر: ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 170-176.)

(377) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 490.

وقيل: «فإن حاجّك» وهم وفد نصارى نجران المخاصمون والمتصدّون للجدال في طبيعة المسيح عليه السلام[378]، ولهذا فإنّ في الآيتين اللتين تليانهما يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ ﴾، وهما تشيران إلى تأكيد الله سبحانه أن ما ذكره عن عيسى عليه السلام هو الحقّ الذي ما بعده حقّ، وهو الصواب وحده. وفي الوقت نفسه تبيّن الآية التالية طريقة انصراف هؤلاء النصارى عن الحقّ وعدم اتّباعهم له، بل اتّبعوا الباطل والهوى، ولذلك فَهُم مِن المفسدين. وعلى الرغم مِن شدّة الحوار والجدال بين الوافدين النجرانيين والرسول ﷺ إلا أنّه تعامل معهم باللطف وجادلهم بالتي هي أحسن، وكان ﷺ يوسع لهم في المجلس[379].

ومِن الطبيعي أن يكون في المدينة مِثل هذه الحوارات؛ لأنّ الإسلام لم يكن قد عمّ الأوس والخزرج قبل الهجرة، رغم دخوله كل بيت فيها، وقد حدث ذلك بعد هجرة النبي ﷺ إليها. ويلاحظ أن أعداد المقاتلين مِن الأنصار في بدر نحو 240، وفي أُحد نحو 600، وفي الأحزاب أكثر مِن 2000، إذ أن الإسلام بدأت تتسع دائرة انتشاره في المدينة، وفي الوقت نفسه بدأت دائرة النفاق تضيق تدريجياً ويتغلّب الإخلاص على النفاق[380].

الجانب الثقافي والفكري والكتابة عند النصارى:

ترد في كتب الحديث والتاريخ والأدب إشارات تدلّ على أنّه كان في المجتمع المدني في العهد النبوي أكثر مِن لغة لتنوّع فئات المجتمع في تلك الفترة، وسنركّز على لغتين لِصلتهما بموضوع دراستنا هذه، وهما اللغة العبرية واللغة السريانية وانتماؤهما إلى اللغة الآرامية الأم. وتذكر هذه المصادر أن الصحابي المعروف زيد بن ثابت الخزرجي كان ترجمان النبي ﷺ

(378) الآلوسي، **روح المعاني**، مج. 3، ج. 3، ص. 299؛ ابن عسكر، **المصدر السابق**، ص. 80-81؛ الأُدكاوي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 109-110.

(379) ابن حجر العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، ج. 2، ص. 421-422، رقم: 2635؛ البوصيري، **كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، مج. 6، 44، رقم: 5295؛ المؤلف نفسه، **مختصر إتحاف السادة المهرة**، مج. 4، ج. 7-8، ص. 258-259، رقم: 6000.

(380) انظر: محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، ج. 6، ص. 217، 218، 219 فما بعدها.

وكاتبه، وكان أشهر مَن عُرف مِن الصحابة في معرفة هاتين اللغتين، إلى جانب لغات أجنبية أخرى. وكان في الوقت نفسه ممن اشتهر بالكتابة من عِلية الصحابة(381). إذ تعلّمها على يدي أحد أسرى قريش في بدر(382)، ثم تعلّمها مِن بعض اليهود الذين كانوا يجيدون اللغة العربية، إضافة إلى لغتهم العبرية التي كانت هي لغة كتب يهود وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم فيما بينهم(383). وكانت اللغة العبرية معروفة لدى عدد مِن الصحابة، ومما يدلّ على ذلك أن

(381) السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، ج. 2، ص. 351. بذل مايكل ليكر جهداً كبيراً في تتبّع مَن تعلّم الكتابة مِن الأنصار، وبالذّات زيد بن ثابت الذي استنتج أنّه كان يهودياً تعلّم مع صبيان اليهود في الكتّاب. وفهم ذلك مِن رواية فريدة في **تاريخ المدينة** (ج. 2، ص. 126) لابن شبّه مروية عن عبد الله بن مسعود أنّه قال: لقد أخذتُ مِن فِيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة، وإنّ زيد بن ثابت ليهودي له ذؤابتان. ونقل ابن أبي الحديد في **شرح نهج البلاغة** (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1967، ج. 10، ص. 26) هذا القول بصيغة: لقد قرأتُ القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب. ومِن خلال تتبّعي للروايات المختلفة الواردة في **المسند** للإمام أحمد و**المعجم الكبير** للطبراني وجدتُ أنّها تشير كلّها إلى أن زيداً كان ذا ذؤابتين، وكان في الكتّاب بالمدينة، ولكن من دون الإشارة إلى أن ذلك كان مع صبيان أو غلمان اليهود. (انظر هذه الروايات وتخريجها: الإمام أحمد، **المسند**، ج. 6، ص. 225، 398، رقم: 3697، 3846، ج. 7، ص. 23، رقم: 3906؛ والطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 9، ص. 74-75، أرقام: 8433، 8434، 8435، 8436، 8437، 8439، 8440، 8441، 8444؛ والحاكم، **المستدرك**، ج. 2، ص. 228؛ والنسائي في **السنن الكبرى**، تحقيق: البنداري وكسروي، كتاب: الزينة، باب: الذؤابة، ج. 5، ص. 412، 413، رقم: 9329، 9330. وانظر كذلك: أبا نعيم الأصفهاني، **حِلية الأولياء**، مج. 1، ص. 172-173؛ ابن أبي داوود، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محبّ الدين عبد السبحان واعظ، بيروت، 2002، مج. 1، ص. 183-184، 185، 189، أرقام: 50، 51، 52، 54، 55، 60؛ الدَّارَقُطْني، **المؤتَلِف والمختلف**، مج. 2، ص. 672.) ولا يدلّ وجود الذؤابتين بالضرورة على أن زيداً كان يهودياً ولا سيما أن كثيراً مِن العرب كانت لهم ظفائر أو ذوائب، ومما يؤكّد ذلك أن الإمام النسائي ذكر حديث ابن مسعود عن زيد في **سننه** تحت كتاب: الزينة، باب: الذؤابة. وانظر مقال ليكر:
Lecker, M., "Zayd B. Thabit, 'A Jew with Two Sidelocks'", JNES, 56/4 (Oct. 1977), pp. 259-271.

(382) الخزاعي التلمساني، **المصدر السابق**، ص. 71؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 3، ص. 135؛ صفوان عدنان داوودي، **زيد بن ثابت**، دمشق، 1990، ص. 69؛ المقريزي، **إمتاع الأسماع**، مج. 1، ص. 119.

(383) أحمد إبراهيم الشريف، **مكة والمدينة**، ص. 327؛ عبد العزيز بن إبراهيم العمري، الحِرَف والصناعات في الحجاز في عصر الرسول ﷺ، الدوحة، 1985، ص. 235-236، 240—241؛ محمد عزة دروزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، بيروت/صيدا، 1969، ص. 424؛ Beliaev, E. A., op.cit., p. 99; Horovitz, J., "Jewish Proper Names and Derivatives in the Koran", HUCA, 2 (1925), p. 147. انظر كذلك: Beliaev, E. A., op.cit., p. 99 ويفترض بعض الباحثين أنّه كانت ليهود المدينة لغتان؛ الأولى: للطقوس الدينية وهي العبرية أو الآرامية اليهودية أو الآرامية، والثانية لغة التخاطب، وهي السريانية. انظر: محمد محمد شُرّاب، **المدينة النبوية: فجر الإسلام والعصر الراشدي**، بيروت/دمشق، 1994، مج. 1، ص. 89؛ Torrey, Ch. C., op.cit., pp. 47, 52

الرسول ﷺ لما بعث ثلاثة مِن أصحابه لقتل سلام بن أبي الحقيق كبير يهود خيبر أرسل معهم عبد الله بن عتيك، لأنّه يتكلم اللغة العبرية، (أو أنّه كان يرطن باليهودية)، ولهذا لّما وصلوا تحدّث ابن عتيك مع زوجة سلام فلما سَمِعَتْهَ واطمأنّت له فتحت لهم الباب[384]. ويرى جوردون نيوباي رأياً فيه وجه من الصّحّة، فقد سمّى هذه اللغة: «اليهودية»، وعدّها نوعاً مِن اللهجة العربية الخاصّة باليهود، وتحتوي على العديد مِن الألفاظ الآرامية والعبرية. ويرى أيضا أن يهود الحجاز كانوا يكتبون بالخطّ العربي، ولكن باللغة الآرامية أو العبرية[385]. ويرى بعض الباحثين أن هذه اللغة هي العبرية، ولكنّها تتداخل فيها رطانة عربية[386]، كما تكلّم اليهود أيضاً بالآرامية اليهودية التي ترُجمت إليها كتب التوراة والتلمود[387].

وكانت بداية زيد في هذه المهمة اللغوية عندما كان عُمُره 11 عاماً[388] حين مقدم النبي ﷺ إلى المدينة، إذ قرأ على النبي ﷺ سبع عشرة سورة مِن القرآن كان يحفظها، فأُعجِب به النبي ﷺ، وقال له: تعلّم كتاب يهود؛ فإنّي ما آمنهم على كتابي، ففعل زيد، وتعلّم لغتهم في نصف شهر. فكان زيد يكتب للنبي ﷺ، ويكتب لليهود بأمر النبي ﷺ ويقرأ له إذا كتبوا إليه، وفي رواية أن النبي ﷺ أمره بأن يتعلّم كتاب

(384) المقريزي، **إمتاع الأسماع**، مج. 1، ص. 195؛ الواقدي، **كتاب المغازي**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، 2004، مج. 1، 330–331. انظر كذلك: بريك محمد بريك العمري، **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة**، الرياض، 1996، ص. 174.

(385) انظر بحثه التالي، ثم كرّر فكرته في كتاب وبحث آخرين:

Newby, G. D., "Observations about an Early Judaeo-Arabic", JQR, 61/3 (1971), pp. 218, 219-220; idem, A History of the Jews of Arabia, Colombia,1988, pp. 22, 66; idem, "The Sirah as a Source for Arabian Jewish History", JSAI, 7 (1986), pp. 132, 137.

انظر هذا الرأي أيضاً عند: Horovitz, J., "Judaeo-Arabic Relations in Pre-Islamic Times", IC, 3 (1929), p. 188.

(386) جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 569؛ ياسين غضبان، **مدينة يثرب قبل الإسلام**، عَمان، 1993، ص. 112. قيل: إنّ في القرآن الكريم ألفاظاً وكلمات ذات أصل عبري وسرياني أو آرامي. (انظر: السيوطي، **المتوكلي**، تحقيق: عبد الكريم الزبيدي، بيروت، 1988، ص. 103، 117.)

(387) Griffith, S. H., op.cit., vol. 1. p. 309; Torrey, Ch. C., op.cit., pp. 47, 52. انظر كذلك: جريس الهامس، «الجذور اللغوية-الآرامية وابنتها السريانية» في موقع الشبكة المعلوماتية:

www.mandaeanunion.org/language/AR-language_014.html

(388) الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج 3، ص. 439 .

يهود[389]، وفي رواية عن زيد: أمرني رسول الله أن أتعلّم له كلمات مِن كتاب يهود، قال: إني والله لا آمن يهود على كتابي[390]. وفي رواية أخرى: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلّم له كتابَ يهود، فَمَا مرّ بي نصف شهر حتى تعلّمتُ. وقال رسول الله ﷺ: إنّي ما آمن يهود على كتابي، فلما تعلّمت له، كنتُ أكتب إلى يهود إذا كتب إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم[391]. وقال الأعمش: كانت تأتي النبي ﷺ كتب لا يشتهي أن يطّلع عليها إلا مَن يثق به[392]، أي أن النبي ﷺ لم يطمئن أن يكون كاتبه مِن اليهود لئلا يغيّر فيكتب ما لم يقله النبي ﷺ، أو لا يكتب ما يقوله ﷺ[393]. وقد أكّد الواقدي أن زيد بن ثابت كان يكتب الكتابين جمعياً: العربية والعبرانية[394]، وقيل: إن المقصود بكتاب يهود: كتابتهم؛ بمعنى خطهم[395].

وأمّا فيما يتعلّق باللغة السريانية فورد أن النبي ﷺ قال لزيد: «إنّي أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقّصوا، فتعلّم السُّريانية»، وفي رواية أن النبي ﷺ سأله: أَتُحسن (أو هل تُحسن) السريانية؟ قال زيد: لا، فقال : فَتَعلّمها. فإنّه يأتينا كتب، فتعلّمها زيد في سبعة عشر

(389) أبو داود، **السنن**، كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب، ج. 3، ص. 318، رقم: 3644؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 35، ص. ،463 رقم: 21618؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 5، ص. 133-134، رقم: 4856، 4857. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة** ، ج. 2، ص. 491؛ المؤلف نفسه، **تغليق التعليق**، مج. 5، ص. 307؛ البخاري، **كتاب التاريخ الكبير**، مج. 3، ص. 320 ،رقم: 1278/4172.

(390) الترمذي، **السنن**، كتاب: الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في تعلّم السُّريانية، ج. 4، ص. 488، رقم: 2715. انظر كذلك: البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 3، ص. 320؛ Newby, G. D., A History of the Jews of Arabia, pp. 22, 66.

(391) الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 281، رقم: 2039. انظر كذلك: ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 308؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 4، ص. 567. وذكر ابن حجر العسقلاني هذا الحديث باختلاف يسير. (انظر: **تغليق التعليق**، مج. 5، ص. 307.)

(392) الحاكم، **المستدرك**، ج. 3، ص. 422.

(393) العظيم آبادي، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 333.

(394) ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 19، ص. 313؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 3، ص. 422؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: عهد معاوية**، ج. 4، ص. 54؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، مج. 10، ص. 30.

(395) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** ، ج. 13، ص. 231؛ العيني، **عمدة القاري**، ج. 24، ص. 267.

يومـاً(396). وفـي روايـة أن النبـي ﷺ قال: إنّها تأتيني كتـب مِن النـاس (وفـي روايـة: تـرد عليّ أشـياء) لا أحـب أن يقرأهـا كلّ أحـد، فهـل تسـتطيع أن تَعلّمَ كتـاب العبرانيـة– أو قال: السريانية– فقلتُ: نعم(397). وقوله ﷺ: «إنّي أكتب إلى قوم»، وقوله ﷺ: «إنّها تأتيني كتـب» يشـير إلى أناس ليسـوا مِن أهـل المدينـة، وأنّهم يتحدّثون لغة غير العبرية، وهي السريانيـة، ممـا يدلّ علـى نصـرانية هـؤلاء القوم لارتباط اللغة السريانية بهذه الديانة كما سـنذكر لاحقاً. ويعـود سـبب اختيار أحد الصحابة ليتولى مهمة القراءة والردّ على هذه الكتـب أنّه كان في السـابق يقرؤها له اليهـود الذيـن كانـوا يحضرونه، وهـم غير مأمـونين على كتمان بعض ما فيها، أو تحريف بعضها، لذا أمر النبي ﷺ زيدا أن يتعلّم له السريانية ليقرأ كتب هؤلاء القوم ويكتب لهم بلغتهم(398). وقال ابن حديدة الأنصاري(399): إنه كانت تَرِدُ على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية، فأمر زيداً بتعلُّمِها فتعلَّمَها، وأمره أن يتعلّم كتاب يهود.

وقد تعلّم زيد العبرانية والسريانية في مدراس (وقيل: مدارس) باسلة أو ماسكة(400). و«باسلة» تحريف للفظة ماسكة (Masika) وهي إحدى طوائف يهود، وكانت مساكنهم في

(396) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة** ، ج. 2، ص. 491؛ المؤلف نفسه، **تغليق التعليق**، مج. 5، ص. 307-308؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 19، ص. 303-304؛ ابن أبي داود، **كتاب المصاحف**، تحقيق: محب الدين عبد السبحان واعظ، بيروت، 2002، مج. 1، ج. 1، ص. 143، رقم: 4؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 1، ص. 1152-1153؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 3، ص. 422؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 3، ص. 439؛ الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 280، رقم: 2038؛ عبد بن حُميد، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 234، رقم: 243.

(397) ابن أبي داود، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 143، رقم: 4، 2؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 308؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 5، ص. 155-156، أرقام: 4927، 4928، 4930؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، مج. 10، ص. 28.

(398) الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 281-282. فَهِمَ محمد حسين هيكل مِن أمر النبي ﷺ زيداً بتعلّم لغة اليهود وخطّهم أنّه كان للنبي عليه الصلاة والسلام كاتب سرّ مِن اليهود إلى حين إجلاء بني النضير عن المدينة، ليتسنّى له أن يبعث مِن الرسائل بالعبرية والسريانية ما يريده، فلمّا جلا اليهود لم يرغب ﷺ أن يكتب أسراره غير مسلم. (**المرجع السابق**، ص. 254.)

(399) **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 94.

(400) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 308؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 19، ص. 305؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، 2000، مج. 3، ص. 14-15؛ المتقي الهندي، **المصدر السابق**، ج. 13، ص. 395، رقم: 37057. وذكرها ابن الأثير بصيغة «ماسلة». (**الكامل في التاريخ**، مج. 1، ص. 428.)

قرية القف، وهي قرية بني قينقاع[401]. والراجح أن مَن كان يعلّم لغة أجنبية هو مِن غير العرب[402]، وهذا ما يؤكّده أن العبرانية لغة التوراة، وأنّ السرياينة لغة الإنجيل[403]. وليس صحيحا أن المراد بالسريانية هي العبرانية[404]؛ فهما لغتان لا يجيدهما العرب، وهذا ما سنشير إليه لاحقاً. وقد أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت بتعلّم لغة يهود واللغة السريانية في السنة الرابعة مِن الهجرة[405]. وسبب اختيار زيد لتعلم اللغات الأجنبية أنّه كان شابّاً فطناً ذكيّاً لبيباً نجيباً ثَقِفاً، وأنّه كان أحد نجباء الأنصار[406]. وتعلُّم زيد لهاتين اللغتين يأتي مِن قَبيل حثّ النبي ﷺ لبعض أصحابه على تعلّم لغة غير اللغة العربية بحسب ما تدعو الحاجة إلى ذلك[407]، وهذا ما عناه الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله: «يحتمل أن زيداً تعلّم اللسانين (أي العبرانية والسريانية) لاحتياجه إلى ذلك»[408]. وتناقش كاميليا أدانج نوعية اللغة التي

---

(401) حسّان بن ثابت، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 208؛

Lecker, M., "Muhammad at Median: A Geographical Approach", JSAI, 6 (1985), pp. 37-38, 39; idem, Muslims, Jews & Pagans, p. 9; idem, "Zayd B. Thabit", EI2, vol. 11, p. 476; idem, Lecker, M., "Zayd B. thabit, 'A Jew with Two Sidelokcs'", p. 259.

قيل: إنّ ماسكة تحريف للفظة ماسخة، وهم بطن مِن الأزد. (القلقشندي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 14–15، ح. (8).) على الرغم مِن قلّة المعلومات؛ إلا أنّه لا يُستَبعد أنّه كانت ليهود الحجاز مدارس خاصّة بهم. (انظر: Torrey, Ch. C., The Jewish Foundation of Islam, NewYok, 1967, p. 31.)

(402) عبد الحي الكتّاني، **التراتيب الإدارية**، بيروت، 1970، ج. 1، ص. 207.

(403) ابن النّديم، الفهرست، تحقيق: يوسف علي الطويل، **بيروت**، 2002، ص 22؛ المباركفوري، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 412.

(404) محمد حميد الله، «صفة الكتابة في عهد الرسول ﷺ والصحابة»، **مجلة تاريخ العرب والعالم**، س. 6، ع. 61 (نوفمبر 1983، ص. 28 .

(405) الدياربكري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 464، 465؛ محمد بن محمد أبو شهبة، **المرجع السابق**، ج. 2، ص. 5249؛ المقريزي، **إمتاع الأسماع**، مج. 1، ص. 196.

(406) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 3، ج. 5، ص. 368، مج. 4، ج. 8، ص. 31؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 384؛ الذهبي، **تذكرة الحفّاظ**، مج. 1، ح. 1، ص. 27؛ المؤلف نفسه، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 3، ص. 439؛ المؤلف نفسه، **معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: بشّار عوّاد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عبّاس، بيروت، 1984، مج. 1، ص. 37؛ محمد بن محمد أبو شهبة، **المرجع السابق**، ج. 2، ص. 249. كان زيد بن ثابت يُعدّ مِن أصحاب الفتيا مِن صحابة رسول الله ﷺ. (انظر: ابن حزم الأندلسي، **أصحاب الفتيا مِن الصحابة والتابعين ومَن بعدهم**، تحقيق: سيّد كسروي حسن، بيروت، 1995، ص. 43؛ السيوطي، **الكنز المدفون**، ص. 342.)

(407) أحمد أمين، **فجر الإسلام**، القاهرة، 1975، ص. 141.

(408) **فتح الباري** ، ج. 13، ص. 231.

تعلّمها زيد بن ثابت؛ هل هي اللغة العبرية (والسريانية أيضاً) بوصفها لغة للمحادثة والخطاب والكتابة أم أنّه تعلّم للحروف بهدف معرفة القراءة ليس إلا؟ وترى أنّه تعلّم الحروف فقط؛ بدليل أنّه أجاد معرفتها بسرعة وهي مدّة لا تكفي لتعلّم لغتين في وقت واحد[409]. في رأيي أنّه مِن السهولة على زيد أن يتعلّم اللغتين قراءة وكتابة ومحادثة بسرعة لعدّة أسباب:

أولاً: إن مَن تعلّم كتابة قوم وخطّهم سهل عليه تعلّم محادثتهم.

ثانياً: اتّصاف زيد بالنباهة والذكاء وسرعة الفهم ودقّة الاستيعاب.

ثالثاً: معيشة زيد قبل الهجرة النبوية في مجتمع لليهود فيه تأثير كبير، مما جعله على علم بلغتهم.

رابعاً: التشابه والقرب الكبيرين بين اللغتين العبرية أو الآرامية والسريانية وبين اللغة العربية، وهو أمر يسهل على دارسي اللغات السامية ملاحظته.

ومما يشير إلى ذكاء زيد وفطنته ما رواه هو نفسه بقوله: لّما قدِم النبي ﷺ أتاه بنو النّجّار، فقالوا: إنّ منّا غلاماً قد قرأ مما أُنزِل عليك بضع عشرة سورة، فدعاني رسول الله ﷺ فقرأتُ عليه. وفي رواية فاستقرأني فقرأتُ: ق. وفي رواية: ذُهب بي إلى النبي ﷺ لّما قدم المدينة فأُعجب بي (وفي رواية فأعجبه ذلك)[410]. وإعجاب رسول الله ﷺ وبني النّجّار بزيد يكمن في كونه حفظ عدداً مِن سور القرآن الكريم على الرغم مِن صغر سنّه. وهو ما يدلّ على النبوغ المبكّر لزيد.

وفي رأيي أن مَن كان يجيد الآرامية والسريانية هم أصلاً مِن النصارى غير العرب؛ إذ تعد اللغة الآرامية مِن أهم لغات النصرانية، وفرعها اللغة السريانية تعد لغة الآداب النصرانية بوجه خاص، وهي لغة الصلوات أيضاً. ويُعتقد أن جزءاً من الكتاب المقدّس قد نزل باللغة

---

(409) Adang, C., Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible, Leiden,1996, p. 6, 7.

(410) الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 5، ص. 135، رقم: 4863. وأخرج الرواية الثانية الإمام أحمد في **المسند**، ج. 35، ص. 490، رقم: 21618. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 13، ص. 231؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 3، ص. 320؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 3، ص. 439؛ صفوان عدنان داودي، **المرجع السابق**، ص. 27.

السريانية مثل نبوءة دانيال وإنجيل متّى(411). ولا يُستَبعد أن زيداً قد تعلّم السريانية بمعنى الآرامية أو النبطية للتقارب اللفظي والمعنوي بين هذه اللغات(412).

أمّا اللغات الأجنبية الأخرى فقيل: إنّ زيداً تعلّم اليونانية(413). وذكر أبو الحسن بن البراء(414) أن زيداً تعلّم أيضاً الفارسية مِن رسول كسرى في ثمانية عشر يوماً، وتعلّم الحبشية والرومية والقبطية مِن خدّام رسول الله ﷺ. وقيل: تعلّمها مِن أهل هذه الألسن المقيمين في المدينة(415)، ولهذا فقد وُصف زيد بأنّه كان الترجمان الرئيس للنبي ﷺ، وأنّه كان ترجمان النبي ﷺ بالفارسية والرومية والقبطية والحبشية(416). ومعرفة العرب بصورة عامّة بهذه

---

(411) أغناطيوس أفرام الأول برصوم، **كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية**، أمستردام، 1987، ص. 15؛ عبد الله الحلو، **سوريا القديمة: الكتاب الأوّل: التاريخ العام**، دمشق، 2004، ص. 988، 989؛ محمد السيّد علي بلاسي، **المعرّب في لغة القرآن الكريم**، طرابلس، 2001، ص. 76، 183، 300؛ Peters, F. E., op.cit., p. xxvii

(412) المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص. 31، 78؛ نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، **المرجع السابق**، ص. 318. حول التقارب اللفظي بين اللغة العربية وغيرها مِن اللغات السامية، انظر: جرجي زيدان، **تاريخ آداب العربية**، القاهرة، ب.ت.، ج. 1، ص. 37، 38.

(413) إبراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العصر النبوي**، المحمدية، 1990، ص. 248؛ محمد عباسة، «الترجمة في العصور الوسطى» في موقع الشبكة المعلوماتية:
http://annalesuniv-.mosta.dz/texte/ap05/04abbassa.html

(414) هو محمد بن أحمد بن البراء بن المبارك العبدي القاضي والمحدث والقارئ، تتلمذ على أيدي عدد مِن علماء بغداد، أشهرهم علي بن المديني. وكان ثقةً، صدوقاً. وتوفي ببغداد في شوّال سنة 291 هـ. (انظر: ابن الجزري، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 52-53؛ ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1992، ج. 13، ص. 28؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، 1997، ج. 1، ص. 296-297؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: حوادث ووفيات 291–300 هـ**، ص. 241-242.)

(415) ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 4، ج. 8، ص. 31. انظر كذلك: ابن عبد ربّه، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 244؛ الخزاعي التلمساني، **المصدر السابق**، ص. 208؛ صفوان عدنان داودي، **المرجع السابق**، ص. 78-80؛ عبد الحي الكتّاني، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 202 .

(416) إبراهيم حركات، **المرجع السابق**، ص. 248؛ صفوان عدنان داودي، **المرجع السابق**، ص. 80-81؛ عبد الحي الكتّاني، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 202. انظر كذلك: سامي خمّاس الصقّار، «لمحات عن نشوء الحركة العلمية في الحجاز في صدر الإسلام ودور المسجد في حياة المسلمين»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 2، ص. 67.) وتعني لفظة «ترجمة» أو «ترجمان» نقل الكلام من لغة إلى لغة أو المفسّر للسان أو المترجم للكلام. (ابن الأثير (مجد الدين)، **جامع الأصول**، ج. 2، ص. 57؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 196؛ نشوان الحميري، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 746.)

اللغات يعود إلى وجود جاليات مِن أصول فارسية أو حبشية أو رومية فيما بينهم(417)، إلى جانب التواصل بين العرب وبين أهالي الشام ومصر والحبشة، وبحكم الحاجة إلى التخاطب مع هذه الأمم في أثناء التجارة(418). وكان العرب على معرفة بألفاظ رومية، ومِنها القس والقسيس، وهو العالم بلغة الروم، أو هو رئيس النصارى في الدين والعلم(419).

ولم يكن زيد بن ثابت الوحيد مِن الصحابة الذين اهتمّوا بعلم أهل الكتاب ولغاتهم وكتبهم؛ بل كان معه الصحابي المعروف عبد الله بن عمرو بن العاص الذي قيل عنه إنّه كان طلاّبة للعلم، ووُصف بأنّه مِن نجباء الصحابة وعلمائهم، وأنّه كان قَرّاءً للكتب، وقيل إنّه كان عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدّمة. وكان يُعرف بقارئ الكتاب الأوّل. وكان قد أصاب جملة مِن كتب أهل الكتاب، وأدمن النظر فيها ورأى فيها عجائب، وذُكر أنّه كان يحسن السريانية. وكان ابن عمرو قد أصاب زاملتين (وقيل: وِسقين) مِن كتب أهل الكتاب يوم اليرموك، وكان يحدّث مِنهما، ورُوي عنه قوله: رأيتُ فيما يرى النائم كأنّ في إحدى إصبعي سمناً، وفي الأخرى عسلاً، وأنا ألعقهما، فلمّا أصبحتُ ذكرتُ ذلك لرسول ﷺ فقال: تقرأ الكتابين التوراة والفرقان، فكان يقرؤهما. وقال الحافظ الذهبي عن حديث الرؤيا: رواه ابن لهيعة وهو ضعيف الحديث، وهذا خبر منكر ولا يُشرع لأحد بعد نزول القرآن أن يقرأ التوراة، ولا أن يحفظها لكونها محرّفة منسوخة العمل قد اختلط فيها الحق بالباطل، فَلْتُجتَنب، وأما النظر فيها للاعتبار وللردّ على اليهود؛ فلا بأس بذلك للرجل العالم قليلاً والإعراض أَوْلى(420). وكون عبد الله بن عمرو قد حصل على مجموعة مِن كتب أهل

---

(417) عبد العزيز بن إبراهيم العمري، **المرجع السابق**، ص. 241.

(418) أحمد أمين، **فجر الإسلام**، ص. 15.

(419) ابن سِيْدَه، **المصدر السابق**، مج. 6، ص. 105؛ ابن الملقّن، **البدر المنير**، مج. 6، ص. 196؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 99؛ السمرقندي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 454.

(420) انظر: الإمام أحمد، **المسند**، ج. 11، ص. 638، رقم: 7067. انظر كذلك: أبا نعيم، **حِلية الأولياء**، مج. 1، ص. 357؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 244؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 166؛ ابن قدامة المقدسي، **التبيين في أنساب القرشيين**، ص. 464؛ ابن كثير، **التفسير**، مج. 1، ص. 17؛ ابن منظور، **مختصر تاريخ دمشق**، ج. 13، ص. 195، 204؛ الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقّه**، تحقيق: عادل يوسف العزازي، الرياض، 1996، ج. 2، ص. 283، رقم: 980؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: حوادث ووفيات 61–80 هـ**، ص. 161-162؛ المؤلف نفسه، **تذكرة الحفّاظ**، مج. 1، ج. 1، ص. 35؛ المؤلف نفسه، **سِيَر أعلام النبلاء**، 45–46؛ خير الدين =

الكتاب يوم اليرموك يشير إلى أن هذه الكتب كتب خاصّة بالنصارى؛ نظراً لأنّ المعركة كانت بين المسلمين مِن جهة والنصارى البيزنطيين والعرب مِن جهة أخرى. وهذه الكتب بلا شك مكتوبة بغير اللغة العبرية، فقد تكون بالسريانية أو اليونانية أو اللاتينية، وربّما كانت هذه الكتب نُسَخاً مِن الإنجيل وكُتب الدّين النصراني الأخرى، وهذا يرجّح أن ابن عمرو كان يجيد إحدى هذه اللغات أو جميعها، إلى جانب اللغة العبرية كما سنشير إلى ذلك لاحقاً. ويبدو أن ابن عمرو قد أَكْثَرَ مِن الحديث مِن كتب أهل الكتاب إلى درجة أن رجلاً قال له: حدّثني ما سمعتَ مِن رسول الله، وَدَعْنِي وما وجدتَ في وِسقك (وفي رواية: في وِسقَيْك) يوم اليرموك(421). والظاهر أن الناس كانوا يقصدونه يسألونه عن ذلك، ومما يدلّ على ذلك أن التابعي عطاء بن يسار قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص فقلتُ: أَخْبِرْني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ فقال: أجل، والله إنّه لَمَوصوف في التوراة بصفته (وفي رواية: ببعض صفته) في القرآن ..... قال عطاء: لقيتُ كعباً (أي كعب الأحبار) فسألته فما اختلفا في حرف(422). وهذا يشير إلى دقّة ابن عمرو في النقل وتمكّنه مِن القراءة التي أهّلته أن يحفظ من دون أن يخطئ.

وعُرف عن عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن كلاب القرشي الزهري بأنّه كان يجيد أكثر مِن لغة، وقد استكتبه رسول الله ﷺ، فكان ينوب عن زيد بن

= الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 4، ص. 111؛ عادل نويهض، **معجم المفسّرين**، بيروت، 1983، مج. 1، ص. 318. وعلّق محقّقو **المسند** على حديث ابن عمرو بقولهم: إسناده حسن، أحاديث قتيبة عن ابن لهيعة حِسان، وباقي رجاله ثقات. وقال ابن حجر الهيثمي: رواه أحمد وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف. (**مجمع الزوائد**، ج. 7، ص. 184.) «الزاملة» البعير الذي يُحمل عليه الطعام والمَتاع، أو الدابّة التي يُحمل عليها مِن الإبل وغيرها. و «الوِسق» هو حِمل البعير؛ وهو ستّون صاعاً بصاع النبي عليه الصلاة والسلام. والجمع أوسق ووسوق. (انظر: ابن سِيْدَه، **المصدر السابق**، مج. 6، ص. 528؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 10، ص. 456، مج. 11، ص. 370؛ الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث**، ج. 2، ص. 124؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 1872.) وقول إن ابن عمرو كان يقرأ بالسريانية رواه ابن سعد عن شريك بن خليفة. (**المصدر السابق**، ج. 5، ص. 87.)

(421) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 11، ص. 824، 427 رقم: 6385، 6836.

(422) الترمذي، **السنن**، كتاب: البيوع، باب: كراهية السخب في الأسواق، ج. 2، ص. 24، رقم: 2125، وفي كتاب: تفسير القرآن، باب: إنّا أرسلناك شاهداً ومبشّراً ونذيراً، ج. 3، ص. 261، رقم: 4838. وأخرجه الإمام أحمد، **المسند**، ج. 11، ص. 193، رقم: 6622؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 7، ص. 45.

ثابت إذا غاب، فكان يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك وبعض أمراء الأجناد، وكان يكتب بين القوم في قبائلهم ومياههم، وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء. وكان مِن أمانته أن النبي ﷺ كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك فيكتب ويختم، ولا يطالبه بقراءته لأمانته عنده. وقيل: إنه كان مِن المواظبين على كتابة الرسائل عن النبي ﷺ. ثم استكتبه الخليفتان الراشدان أبو بكر وعمر، واستعمله الخليفتان الراشدان عمر وعثمان، على بيت المال، وكان إسلام الأرقم قبل فتح مكة. وذُكر أنّه توفي في خلافة عثمان وقيل: عام 44 هـ. وجزم ابن حِبّان بأنّه توفي في شهر ربيع الأول عام 64 هـ. بمكة، وصلّى عليه عبد الله بن الزبير ودُفن بالحجون، وكان عمره يوم مات 62 سنة. وكان قد عمي قبل وفاته[423].

ولم تذكر المصادر ما هي اللغات التي يجيدها الأرقم؟ وأين تعلّمها؟ ومتى؟ ومَن هم الملوك الأجانب الذين كان يكاتبهم بأمر رسول الله ﷺ؟ ومِن الجدير بالذِكر أن ملوك زمانه عليه الصلاة والسلام هم: ملك فارس، وإمبراطور بيزنطة، ومقوقس مصر، ونجاشي الحبشة. وتبقى أيضاً إشكالية عُمْرِ عبد الله؛ إذ يرى ابن حِبّان أنّه كان عند موته ابن 62 وهذا يعني أنّه وُلد في العام الثاني للهجرة، وكان عند إسلامه ابن ستّ أو سبع سنوات، ولمّا توفي رسول الله ﷺ كان الأرقم في 11 أو 12 من عمره، بمعنى أنّه كتب للنبي ﷺ وكان عمره بين السابعة والثانية عشرة من عمره، وهذا غير مستبعد فزيد بن ثابت كتب للنبي ﷺ وعمره 11 عاماً، وهي سنّ مناسبة لتعلّم اللغات الأجنبية وإجادتها. ومِن المؤكّد أن ابن الأرقم جاء إلى المدينة، وفيها تعلّم هذه اللغات كما فعل زيد بن ثابت من قبله. ولكن يبقى هذا محض افتراض؛ ولا سيما فيما يتعلّق بعُمِرِ ابن الأرقم. ومِن الغريب أن الحافظ ابن حجر العسقلاني نقل عن ابن حِبّان أنّه توفي سنة 44 هـ، وعقّب على ذلك بقوله: «وهو وَهْم»، ونحن نقلنا مِن المطبوع مِن كتاب الثقات أن ابن الأرقم توفي عام 64 هـ.

(423) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 68؛ ابن حِبّان، **كتاب الثقات**، مج. 1، ص. 361؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 4-5؛ ابن حديدة الأنصاري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 139؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 3، ص. 3؛ ابن عبد ربّه، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 244؛ ابن قدامة المقدسي، **التبيين في أنساب القرشيين**، ص. 492، 94؛ خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 4، ص. 71؛ القضاعي، **كتاب الإنباء بأنباء الأنبياء**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت/صيدا، 1999، ص. 141، ح. (3).

ورُوي عن أمّ المؤمنين عائشة أنّها قالت: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحّشاً، ولا صخّاباً في الأسواق، ولا يجزئ بالسيّئة مِثلها، ولكن يعفو ويصفح. وفي رواية عنها: أن رسول الله مكتوب في الإنجيل لا فظّ غليظ، ولا سخّاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيّئة مثلها بل يعفو ويصفح[424]. والظاهر أن الرواية الثانية هي الأصل، ولكن لم نعلم هل كانت أمّ المؤمنين تقرأ الإنجيل، أو أن أحداً أخبرها بذلك، أو أن الرسول عليه الصلاة والسلام هو نفسه الذي أخبرها؟ وهذا يدلّ عليه ما رواه الخرائطي عن أمّ المؤمنين– بإسناد ضعيف– أنّها قالت: إنّ رسول الله ﷺ قال: مكتوب في الإنجيل....[425]. ويحتمل أن أحداً أخبرها بشيء مما في الإنجيل وغيره، وهذا يُفهَم من رواية أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي، ويهودية ترقيها؛ فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله. وفسّر العيني قوله: «ارقيها بكتاب الله» أي بالتوراة والإنجيل[426].

---

(424) ابن رَاهَوَيْه، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 919، رقم: 1068؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: البِر والصلة، باب: ما جاء في النبي ﷺ، ج. 4، ص. 136، رقم: 2016، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الإمام أحمد، **المسند**، ج. 42، ص. 256، رقم: 25417؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 13، ص. 237، رقم: 3668؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 1، ص. 299، رقم: 351؛ المؤلف نفسه، **السنن الكبرى**، ج. 7، ص. 45. وأخرج الحاكم الرواية الثانية عن أمّ المؤمنين في **المستدرك** (ج. 2، ص. 614) وقال: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، وأقرّه الذهبي. وقال عنه محقّق دلائل البيهقي: إسناده صحيح.

(425) **مكارم الأخلاق ومعاليها**، سعاد سليمان الخندقاوي، القاهرة، 1991، مج. 1، ص. 389، رقم: 387-303. ومِن الروايات التاريخية التي تشير إلى ذِكر رسول الله في الإنجيل ما رواه كعب بن عدي العبادي– ابن أسقف الحيرة الذي أشرنا إليه سابقاً– أنّه لما ترك المدينة بعد وفاة النبي ﷺ في طريقه إلى العراق التقى براهب قدارسه، وتحدّث معه في شأن النبي عليه الصلاة والسلام، وأخبره أنّه مكتوب في الإنجيل بعض صفاته، وأخرج له سِفراً عنده فقرأه، فإذا فيه صفة رسول الله ﷺ. (انظر: الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 32.)

(426) الحديث أخرجه الإمام مالك في **الموطّأ**، تحقيق: صدقي جميل العطّار، بيروت، 1998، كتاب: العين، باب: التعوّذ والرقية في المرض، ص. 573، رقم: 1756. وقال عنه محقّق الموطّأ: انفرد به الإمام مالك بين الكتب التسعة. انظر كذلك: الكاندهلوي، **أوجز المسالك**، ج. 16، ص. 523، رقم: 11/1695. وأخرجه البيهقي في **السنن الكبرى** (ج. 9، ص. 349)، وفي **معرفة السنن والآثار** (تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، 1991، مج. 14، ص. 123). وقال عنه النووي: إسناده صحيح. (**المجموع شرح المهذّب**، بيروت، 1970، مج. 9، ص. 65. وانظر: العيني، **عمدة القاري**، ج. 21، ص. 262. وقد اُختُلِف في تفسير قول أبي بكر «ارقيها بكتاب الله» فقيل: القرآن، وقيل: التوراة؛ لأنّ اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن إلا إن كانت معرّبة بالعربية أو أُمِن تغييرهم لها، وقيل: المراد ذِكر الله أو رقية موافقة لِما في كتاب الله. (انظر: أبا الوليد الباجي، **المصدر السابق**، مج. 9، ص. 385؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 241، 242؛ الكاندهلوي، **أوجز المسالك**، ج. 16، ص. 523، 524.) ورُوي أيضاً عن عائشة أن =

ويُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ١٥٦ ﴾. (الأنعام: 156): أي أهل التوراة وأهل الإنجيل، ويحتجّ العرب على ذلك بأنّه لا علم لهم بشيء مِن ذلك، ويحتجّون بأنّه لم ينزل عليهم كتاب، وذِكر التوراة والإنجيل لأنّهما الباقي حينئذ مِن الكتب السماوية، وهما الأشهر مِنها لاشتمالهما على الأحكام. ونظراً إلى أن هذين الكتابين مكتوبان بلغتهما، وهم لا يعرفونها، ولا يفقهون ما فيها، لغلبة الأمّيّة عليهم، ولأنّ اليهود والنصارى هم أهل الكتابين مِن دون العرب، ولذلك لم يُؤمر العرب بما في الكتابين. وتدلّ هذه الآية على أن لغة التوراة والإنجيل هي العبرية والسريانية[427] أو الآرامية. والمعروف أن الإنجيل في تلك الفترة لم يكن مترجماً إلى اللغة العربية، واقتصر تفسيره وقراءته على مَن يعرفون السريانية واليونانية، مما زاد في بُعد العرب ونفورهم مِن قراءة كتب السابقين[428].

ويُستنتَج أيضاً مِن هذه الآية أن اليهود والنصارى كانوا في بلاد العرب على حالة فكريّة وثقافيّة أفضل مِن أحوال أهل الجاهليّة، وتشير لفظة «الدراسة» إلى التعليم، والقراءة بمعاودة للحفظ أو للتأمّل، وهذه أمور لم يكن يحسنها أهل الجاهليّة مع الكتب السماويّة الأولى. وإيراد لفظة «دراستهم» وليس «دراستها»؛ لأنّها تشير إلى الطائفتين، وهما يمثّلان جماعة وخَلقاً، وتفيد لفظة«الغفلة» إلى عدم الفهم والانتباه[429]. ويُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ

= رسول الله ﷺ دخل عليها وامرأة تعالجها أو ترقيها، فقال: عالجيها بكتاب الله. قال أبو حاتم: أراد عالجيها بما يبيحه كتاب الله، لأنّ القوم كانوا يرقون في الجاهلية بأشياء فيها شِرك، فنهاهم بهذه اللفظة عن الرقى إلا بما يبيحه كتاب الله من دون ما يكون شِركاً. هذا الحديث أخرجه ابن حِبّان (انظر: ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 13ن ص. 464، رقم: 6098)، وقال عنه محقّق كتاب ابن بلبان: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(427) البيضاوي، **التفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)**، تحقيق: عبد القادر عرفان العشّا حسّونة، بيروت، 1996، ج. 2، ص. 468؛ صدّيق بن حسن الحسيني القنوجي، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 463؛ محمد عزة دروزة، **تاريخ بني إسرائيل**، ص. 424-425؛ المراغي، **التفسير**، تحقيق: باسل عيون السود، بيروت، 1998، مج. 3، ص. 242؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 61.

(428) لطفي حداد، **الإسلام بعيون مسيحية**، بيروت، 2004، ص. 87-88. ولا يستبعد أن الطوائف والمجموعات اليهودية في الحجاز كانت تحتفظ بمجلّدات ونسخ مِن كتبهم الدينية المقدّسة. (انظر: Torrey, Ch. C., op.cit., pp.34).

(429) محمد الطاهر بن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، تونس، 1997، مج. 5، ج. 6، ص. 180-181؛ الشنقيطي، **العذب النمير مِن مجالس الشنقيطي في التفسير**، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، الدمام/القاهرة، 2003، مج. 2، ص. 888، 889. وقد عبّر ابن إسحاق عن حالة العرب الفكرية بقوله: «وكانت العرب أمّيين لا يدرسون كتاباً، =

﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾. (ص: 5–7). أي أن كفّار قريش يحتجّون على النبي ﷺ بالتوحيد وعبادة الإله الواحد؛ أنّهم لم يسمعوا بهذا التوحيد في المِلّة الآخرة، وهي النصرانية التي هي آخر المِلل، أو أنّهم لم يسمعوا بذلك فيما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام. وقد كذبوا في ذلك لأنّ حديث البعثة والتوحيد كان مِن أشهر الأمور[430]. والراجح أنّهم يَعْنُون النصرانية بالذّات؛ لأنّها هي المِلّة السماوية بعد اليهودية.

ومما يشير إلى قراءة أهل الكتابين للتوراة والإنجيل في مجتمع المدينة، أو على معرفة المسلمين لهذين الكتابين عند أهلهما على الأقل؛ ما رواه جبير بن نُفير أن رسول الله ﷺ قال: يوشك أن يُرفَع العلم، فقال زياد بن لبيد: يا رسول؛ وكيف يُرفَع العلم وقد قرأنا القرآن وعلّمناه أبناءنا؟ قال: ثكلتك أمّك يا ابن لبيد إن كنتُ لأراك مِن أفقه أهل المدينة، أَوَلَيست التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى، فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله، ثم قرأ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ (المائدة: 66). وفي رواية قال لبيد: ذكر النبي ﷺ شيئاً، وقال: وذاك عند أوان ذهاب العلم، قال: قلنا: يا رسول الله وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن، ونقرئه أبناءنا، ويقرئه أبناؤنا أبناءهم إلى يوم القيامة؟ قال: ثكلتك أمّك يا ابن أمّ لبيد إن كنتُ لأُراك مِن أفقه رجل بالمدينة؛ أَوَلَيس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل فلا ينتفعون مما فيهما بشيء. وفي رواية: .... وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلّقوا بالحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم. وفي رواية عن وحشي بن حرب أن رسول ﷺ قال: يوشك العلم أن يُختَلس مِن النّاس حتى لا تقدرون مِنه على شيء، فقال زياد بن لبيد: وكيف يُختَلس مِنّا العلم وقد قرأنا القرآن وأقرأناه أبناءنا فقال: ثكلتك أمّك يا ابن لبيد هذه التوراة والإنجيل بأيدي اليهود والنصارى ما يرفعون بها رأساً، أو فماذا يغني عنهم أو

= ولا يعرفون مِن الرسل عهداً، ولا يعرفون جنّة ولا ناراً ولا بعثاً ولا قيامة إلا شيئاً يسمعونه مِن أهل الكتاب» (**المصدر السابق**، ص. 62، فقرة: 61.

(430) أبو السعود، **التفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)**، بيروت، 1994، ج. 7، ص. 217؛ الماوردي، **التفسير (النُكت والعيون)**، تحقيق: خضر محمد خضر، الكويت، 1982، ج. 3، ص. 436.

فما أغنى عنهم حين تركوا أمر الله[431]، وحضور وحشي بن حرب هذا المجلس يشير إلى حدوثه بعد فتح مكة، إذ أسلم وحشي بعدها.

وكان أهل الكتابين عامة واليهود خاصة ينشرون متعمّدين أفكارهم الدينية في المجتمع الإسلامي، ومما يدلّ على ذلك أن أناساً مِن المسلمين جاؤوا بكتب قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه مِن اليهود، فقال النبي ﷺ: كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عمّا جاء به نبيّهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم، فنزل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. (العنكبوت: 51)[432]. ويُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. (وفي قراءة: «تدرّسون») (آل عمران: 79)، أن أهل الكتابين كانوا يعلمون التوراة والإنجيل ويدرسونهما، ويبدو أن الآية تشير إلى النصارى خاصّة؛ لأنّ لفظة «بشر» تقصد عيسى عليه السلام[433]. وروى البخاري مِن حديث أبي هريرة: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية فيفسّرونها بالعربية لأهل

(431) انظر: ابن ماجه، **السنن**، كتاب: الفتن، باب: ذهاب القرآن والعلم، ج. 4، ص. 438-439، رقم: 4048؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 29، ص. 17، رقم: 17473، ص. 442، رقم: 17919، ج. 39، ص. 418، 23990؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 1، ص. 99، ج. 3، ص. 590؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 18، ص. 43-612 ،44—216، رقم: (75)، 7867. وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه. انظر كذلك: ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 4، ص. 1170؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 381. وقد أخرج الطبراني حديث وحشي في **المعجم الكبير**، ج. 22، ص. 137-138، رقم: 364؛ وقال محقّق تفسير ابن كثير (مج. 2، ص. 572، ح. 3): إسناده ضعيف، وله شواهد. وقال الهيتمي عن حديث وحشي: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. (**مجمع الزوائد**، ج. 1، ص. 201.) ويشير قوله: «المصاحف» إلى أن كتب أهل الكتاب كانت مكتوبة ومتداولة بين أيديهم.

(432) انظر: السيوطي، **لباب النقول**، ص. 182. وقال محقّق **اللباب**: أخرجه الدارمي والطبري وأبو داود في مراسيله عن يحيى بن جعدة مرسلاً، وهو ضعيف لإرساله، ولا يصحّ وصله، وسياق الآيات يدلّ على أن المُخاطَب بذلك هم الكفّار. (انظر: أبا داود، **كتاب المراسيل**، تحقيق: عبد الله بن مساعد الزهراني، الرياض، 2002، ص. 487، رقم: 448. قال عنه محقّق الكتاب: إسناده صحيح إلى مرسله).

(433) تذكر عدد مِن كتب التفسير أن سبب نزول هذه الآية أن اليهود والنصارى اختلفوا فيما بينهم، فجاء الفريقان جميعاً إلى رسول الله ﷺ، وقال كلّ فريق نحن أَوْلى بإبراهيم (عليه الصلاة والسلام)، فقال لهم رسول الله ﷺ: كلّكم على الخطأ فغضبوا، وقالوا: والله ما تريد إلا أن نتّخذك حناناً (أي معبوداً)، فأنزل الله الآية. (حول تفسير الآية، وذِكر سبب النزول، انظر: الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 101؛ الزمخشري، **الكشّاف**، ج. 1، ص. 405؛ السمرقندي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 297-280) .

الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم، ولكن قولوا: آمنّا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون[434]. فَسّر بعضهم قوله «كان أهل الكتاب» أي مِن اليهود، وهذا وفق سياق حديث أبي هريرة، ولكن في رأيي أن اللفظة أعمّ وأشمل في قول النبي ﷺ: «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم»، وهذا ما فهمه البخاري عندما وضع الحديث تحت كتاب: التوحيد، باب: ما يجوز مِن تفسير التوراة وغيرها مِن كتب الله بالعربية وغيرها. وفسّر بدر الدين العيني[435] هذا التصرّف بقوله: أي هذا باب ما يجوز مِن تفسير التوراة وغيرها مثل الإنجيل والزبور، والصحف التي أنزلت على الأنبياء السابقين باللغة العربية وغيرها مِن اللغات. ومِن هنا أفترض أن غيرهم مِن أتباع المِلل كالنصارى مثلاً يفسرون الإنجيل أيضاً ويقرؤونه على المسلمين. كما أن عبارة «لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم» بلا شك تشمل الطائفتين اليهودية والنصرانية، ولا يُستَبعد أن الأديرة وغيرها مِن أماكن عبادة النصارى كانت تضمّ كتباً دينية، ونسخاً مِن الإنجيل وتعاليم الكنيسة.

ومما يؤكّد ذلك أيضاً ما رواه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ: حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، وحدّثوا عنّي ولا تكذبوا عليّ. وما رواه عبد الله بن عمرو: بلّغوا عنّي ولو آية، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج. وما رواه أيضاً ابن عمرو: لقد كان رسول الله ﷺ يحدّثنا اليوم والليلة عن بني إسرائيل ما يقوم إلا لحاجة. وما رواه عمران بن حصين: كان رسول الله ﷺ يحدّثنا عامّة ليله عن بني إسرائيل لا يقوم إلا إلى عُظْم صلاة، يعني المكتوبة. وفي رواية عنه أيضاً: كان رسول الله ﷺ يحدّثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح

(434) البخاري، **الصحيح**، كتاب: تفسير القرآن، باب: قولوا آمنّا بالله وما أُنزل إلينا، ج. 3، ص. 129، رقم: 4485، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنّة، باب: قول النبي ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»، ج. 4، ص. 383، رقم: 7362، كتاب: التوحيد، باب: ما يجوز مِن تفسير التوراة وغيرها مِن كتب الله بالعربية وغيرها، ج. 4، ص. 432، رقم: 7542؛ النسائي، **السنن (الموسوعة الحديثية)**، كتاب: **التفسير**، باب: سورة العنكبوت (29)، ج. 10، ص. 211، رقم: 11323. انظر كذلك: الديلمي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 21، رقم: 7325. يقول ابن صاعد: إن بني إسرائيل اشتهروا بعلوم الشريعة وسِيَر الأنبياء، فكان أحبارهم أعلم الناس بأخبار الأنبياء وبدء الخليقة، وعنهم أخذ علماء المسلمين. (**المصدر السابق**، ص. 109.)

(435) **المصدر السابق**، ج. 25، ص. 191.

ما يقوم فيها إلا إلى عُظْم صلاة، ورُوي هذا الحديث نفسه عن عبد الله بن عمرو[436]. ولهذا كان ابن عمرو نفسه يحدّث مِن كتب أهل الكتاب بما فهمه مِن هذا الحديث مِن الإذن في ذلك[437].

(436) أخرج النسائي حديث أبي سعيد في **سننه** (الموسوعة الحديثية)، ج. 5، ص. 364، رقم: 5817؛ وأخرج ابن حِبّان حديث أبي هريرة وقال عنه محقّق كتاب ابن بلبان: إسناده حسن (مج. 14، ص. 147، رقم: 6254). وأخرج الترمذي حديث ابن عمرو: «بلّغوا عنّي ولو آية....» في **سننه**، كتاب: العلم، باب: ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل، ج. 4، ص. 465. وأخرج الخطيب البغدادي الحديث نفسه في كتابه **السابق واللاحق** (تحقيق: محمد بن مطر الزهراني، الرياض، 2000، ص. 81). وأخرج ابن حِبّان حديث ابن عمرو: «لقد كان رسول الله ﷺ يحدّثنا...» وقال عنه محقّق كتاب ابن بلبان: إسناده صحيح على شرط مسلم. (ج. 14، ص. 148، رقم: 6255.) وأخرج الإمام أحمد حديث ابن عمرو في **المسند** (ج. 33، ص. 150، رقم: 19922)، وقال عنه محقّقو **المسند**: إسناده صحيح رجاله رجال **الصحيح**. وأخرج الإمام أحمد في **المسند** (ج. 33، ص. 149-150، رقم: 19921) حديث عمران بن حصين، وقال عنه محقّقو **المسند**: حديث صحيح لكن مِن حديث عبد الله بن عمرو. وأخرج البزّار حديث عمران في **مسنده** (ج. 9، ص. 67-68، رقم: 3596) وعلّق عليه بقوله: هذا الحديث لا نعلم يُروى عن النبيﷺ إلا برواية عمران بن حصين وعبد الله بن عمرو. (انظر كذلك: ابن حجر الهيثمي، **كشف الأستار عن زوائد البزّار**، ج. 1، ص. 122، رقم: 230؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 9، ص. 482، رقم: 7145.) وأخرج البخاري حديث ابن عمرو «بلّغوا عنّي...» في **صحيحه**، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل، ج. 2، ص. 371، رقم: 3461، كما أخرج ابن حِبّان الحديث نفسه. (ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، ج. 14، ص. 149، رقم: 6256). وأخرج أبو داود في **سننه** حديث ابن عمرو «كان نبي الله ﷺ يحدّثنا عن بني إسرائيل حتى يصبح...» في كتاب: العلم، باب: الحديث عن بني إسرائيل، ج. 3، ص. 322، رقم: 3663. انظر كذلك: ابن خزيمة، **الصحيح**، ج. 2، ص. 292، رقم: 1342؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 2، ص. 379؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 18، ص. 207، رقم: 510. وقال ابن حجر الهيثمي عن حديث عمران بن حصين: رواه البزار وأحمد والطبراني في الكبير وإسناده صحيح. (**مجمع الزوائد**، ج. 1، ص. 191.) وعلّق الإمام ابن خزيمة على حديث ابن حصين: فالنبي ﷺ كان يحدّثهم بعد العشاء عن بني إسرائيل؛ ليتّعظوا مما قد نالهم مِن العقوبة في الدنيا، مع ما أعدّ الله لهم مِن العقوبة في الآخرة لمّا عصوا رسلهم. يقول أ.د. عبد العزيز بن صالح الهلابي: إن المقصود ببني إسرائيل في هذا الحديث هو الأمم الماضية بصفة عامّة. («الحياة العلمية والأدبية في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 2، ص. 18).

(437) انظر تعليق محقّق سنن الترمذي، ج. 4، ص. 465، ح. 2. انظر كذلك: ابن كثير، **التفسير**، مج. 1، ص. 17. ومما يشير إلى عموم أهل الكتاب اليهود والنصارى أنّه ورد في الحديث النهي عن التصديق والتكذيب لكلتا الطائفتين مِن أهل الكتاب؛ لأنّه يحتمل أن يكون ما يخبرون به صدقاً فيُكَذَّب، أو كذباً فيُصدَّق مما يوقع في الحرج. ويُلاحَظ أن البخاري وضع عنواناً لأحد أبواب كتاب الاعتصام وبالكتاب والسنّة، وهو «قول النبي ﷺ لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء»، وهذا النهي إنّما هو عن سؤالهم عما لا نصّ فيه، ولا يدخل في النّهي الأخبار المصدّقة لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة. وقوله: «حدّثوا» يفيد الأمر للإباحة لهذا الفعل مِن غير ارتكاب إثم، أو بمعنى حدّثوا عن بني إسرائيل ما في الكتاب والسنّة مِن غير حرج يلزمكم. ورفع الحرج عن الحديث عن أهل الكتاب لا يعني إباحة الكذب عليهم. (انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 8، ص. 216، ج. 13، ص. 412، 414، 633؛ ابن الملقن، **قصص الأنبياء ومناقب القبائل مِن التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، تحقيق: أحمد حاج محمد عثمان، مكة، 1998، ص. 330-331.)

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ فالمراد به مَن آمن مِنهم، والنّهي إنّما هو سؤال مَن لم يؤمن مِنهم، ويحتمل أن يتعلّق الأمر بالتوحيد والرسالة المحمدية، وما شابه ذلك، والنهي عما سواه(438). وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾. ووجْه الدلالة أن التوراة بالعبرانية، وقد أمر الله سبحانه أن تتلى على العرب وهم لا يعرفون العبرانية، ويُفهَم مِن الآية أيضاً الإذن في التعبير عنها بالعربية(439).

وجاء في حديث الفَلَتان بن عاصم الجرْمي أنّه قال: كنّا قعوداً (وفي رواية جلوساً وفي رواية: كان النبي ﷺ جالساً في المجلس) مع النبي ﷺ في المسجد، فشخص بصره إلى رجل يمشي في المسجد فقال: يا فلان (وفي رواية: أيا فلان أو: أبا فلان). فقال: لبيك يا رسول الله، ولا ينازعه الكلام إلا قال: يا رسول الله، قال: فقال له رسول الله ﷺ: أتشهد أنّي رسول الله؟ قال: لا. قال: أتقرأ التوراة؟ قال: نعم. قال: والإنجيل؟ قال: نعم. قال: أَتَقرأ القرآن؟ قال: والذي نفسي بيده لو أشاء لقرأته. قال: ثم ناشده هل تجدني نبيّاً في التوراة والإنجيل؟ قال: سأحدّثك، نجد مِثلك وهيئتك ومِثل مخرجك، وكنّا نرجو أن تكون فينا، فلما خرجتَ تخوّفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فإذا ليس أنت هو...(440). ويَرِد في رواية عند ابن قانع: قال: كنتُ جالساً عند النبي ﷺ إذ شَخَص ببصره إلى رجل، فإذا هو يهودي عليه

(438) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 8، ص. 216، ج. 13، ص. 412، 414، 633.

(439) الدهلوي، **شرح تراجم أبواب البخاري**، تحقيق: عزّت محمد فرغلي ومحمد عبد الحكيم القاضي، بيروت/القاهرة، 1999، ص. 452. يقول أرينت وينسينك أن معرفتنا [أي الغربيون] عن الحياة الدينية عند يهود الحجاز غير كاملة الصورة، وأنّ أفضل مصدر لمعرفة هذه الناحية هو القرآن الكريم. Wensinck, A. J., op.cit., p. 37

(440) ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 14، ص. 541-542، رقم: 6580؛ ابن حجر الهيثمي، **كشف الأستار عن زوائد البزّار**، ج. 4، ص. 207-208، رقم: 3544؛ البزّار، **المصدر السابق**، ج. 9، ص. 144-145، رقم: 3700؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 6، ص. 232، رقم: 2544؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 18، ص. 332-334، رقم: 854، 855. انظر كذلك: ابن الأعرابي، **كتاب المعجم**، تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الدمّام، 1997، مج. 1، ص. 71-72، رقم: 105؛ ابن حجر العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، ج. 4، ص. 30-31، رقم: 3881؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 4، ص. 2292-2293. قال ابن حجر الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات مِن أحد الطريقين. (**مجمع الزوائد**، ج. 8، ص. 242.) وقال أيضاً: رواه البزّار ورجاله ثقات. (**مجمع الزوائد**، ج. 10، ص. 407-408.) وعلّق البزّار على الحديث بقوله: وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه عن رسول الله إلا مِن هذا الوجه بهذا الإسناد. وقال عنه محقّق كتاب ابن بلبان: حديث حسن.

قميص وسراويل ونعلان...»[441]، ولم أهتدِ إلى اسم هذا الرجل، وعلى الرغم مِن الإشارة إلى أنّه يهودي في رواية ابن قانع، وفي إحدى روايتي الطبراني: «فدعاه فأقبل رجل مِن اليهود عليه قميص وسراويل ونعلان»، وفي رواية عند البيهقي: «فأقبل رجل مِن اليهود مجتمع عليه قميص وسراويل»؛ إلا أنّني أرى أن هذا الرجل كان على النصرانية، ومما يشير إلى ذلك تأدّبه مع النبي ﷺ ومخاطبته إيّاه برسول الله. وفي الوقت نفسه يقرّ بأنّه يقرأ التوراة والإنجيل؛ وأظن أنه من فعل ذلك نصراني لا يهودي. إلى جانب أنّه ورد في إحدى الروايات قول الرجل: «أُنبِئنا أنّك هو»، مما يشير إلى أنّه لم يكن مقيماً في المدينة، إذ إن يهود المدينة شاهدوا النبي ﷺ وتحاوروا معه وجادلوه. كما أن ابن حِبّان وضع هذا الحديث تحت عنوان: «ذِكر عناد بعض أهل الكتاب رسول الله ﷺ». ولفظة «أهل الكتاب» تشمل اليهود والنصارى. ولا أستبعد أن يكون هذا الرجل هو راهب نجران الذي أقام في المدينة سنين يراقب المسلمين، وينظر أحوالهم ولم يسلم. وهذا الحوار جرى بحضور الفَلَتَان وهو ممن أسلم بعد فتح مكة[442].

ومما يشير إلى معرفة أهل المدينة بمبادئ وسلوكيات نصرانية أنّه بُعيد دخول الإسلام إلى المدينة، وقَبل أن تنزل الجمعة؛ قال الأنصار: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيّام، وللنصارى مِثل ذلك، فَهَلُمّ فلنجعل يوماً نجتمع فيه ونذكر الله ونصلّي ونشكر، فقالوا: يوم السبت لليهود، ويوم الأحد للنصارى، فاجعلوا يوم العَرُوبة (أي الجمعة)، فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة. ولذا قيل: إن أسعد بن زرارة هو أوّل مَن أقام صلاة الجمعة بالمدينة[443].

(441) **معجم الصحابة**، ج. 12، ص. 4266، رقم: 1533.

(442) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 312.

(443) ابن الفرّاء الغسّاني، **المصدر السابق**، ص. 128؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 2، ص. 254-255؛ الشبلي، **المصدر السابق**، ص. 208. انظر كذلك: السيوطي، **الوسائل إلى معرفة الأوائل**، تحقيق: عبد القادر أحمد عبد القادر، الكويت/المنصورة، 1990، ص. 36؛ فؤاد صالح السيّد، **المرجع السابق**، ص. 243. وهذا مِن قَبيل التوافق مع رغبة النبي ﷺ حيث ورد عنه: أضلّ الله عن الجمعة مَن كان مِن قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد؛ فجاء الله بنا فهدانا الله إلى الجمعة. وفي رواية: هُدينا إلى الجمعة، وأضلّ الله عنها مَن كان قبلنا. (مسلم، **الصحيح**، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمّة ليوم الجمعة، ج. 2، ص. 12، رقم: 856. وللاطّلاع على التعليق على هذا الحديث، انظر: البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 19-20؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 2، ص 255.؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 3، ص. 248-249؛ القرطبي، **المُفهم شرح صحيح مسلم**، مج. 3، ص. 1444؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 6، ص. 1069.)

وهذا ما يشير إلى أن المسلمين كانوا يعلمون أن كلاًّ مِن اليهود والنصارى كان لهم يوم مخصوص بعبادتهم.

ومما يشير إلى ذلك أيضاً ما رُوي بخصوص بدء الأذان، وسنحاول إيراد عدد مِن تلك الروايات، مِنها ما رواه أنس بن مالك في حديث الأذان المشهور: .... قال: ذكروا النار والنّاقوس فذكروا اليهود والنصارى، فأُمر بلال أن يشفع الأذان ويوتر الإقامة. وفي رواية عنه: التمسوا شيئاً يؤذّنون به عَلَماً للصلاة. وفي رواية أنّهم قالوا له: لو اتّخذنا ناقوساً يا رسول الله، فقال: ذلك للنصارى، فقالوا: لو اتّخذنا بوقاً، قال: ذلك لليهود. وما رواه عبد الله بن عمر: كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحيّنون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلّموا يوماً في ذلك؛ فقال بعضهم: اتّخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود... وعن عبد الله بن زيد: لّما أمر النبي ﷺ بالنّاقوس ليضرب به ليجتمع الناس إلى الصلاة؛ أطاف بي مِن الليل وأنا نائم رجل عليه ثوبان أخضران، وفي يده ناقوس يحمله، فقلتُ: يا عبد الله أَتَبِيع الناقوس؟ قال: فما تصنع به؟ قلتُ: أدعو به إلى الصلاة، قال: أَفَلا أدلّك على خيرٍ مِن ذلك، فعلّمه الأذان. وعنه كذلك: لّما أجمع رسول الله أن يضرب بالناقوس، وهو له كاره لموافقته النصارى، طاف بي مِن الليل طائف... وفي رواية: كان رسول الله ﷺ قد همّ بالبوق، وأمر بالناقوس فنحت، فأُرِي عبد الله بن زيد في المنام ما أشرنا إليه. وفي رواية: قالوا: لو اتّخذنا ناقوساً، فقال رسول الله ﷺ: ذلك للنصارى، فقالوا: لو اتّخذنا بوقاً، فقال رسول الله ﷺ: ذلك لليهود، قالوا: لو اتّخذنا ناراً، فقال رسول الله: ذلك للمجوس. وفي رواية عن أنس: لّما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشيء يعرفونه، فذكروا أن ينوّروا ناراً أو يضربوا ناقوساً. وفي رواية عند عبد الرزاق: كان النبي ﷺ قد أهمّه أمر الأذان حتى هم أن يأمر رجالاً، فيقومون على آطام المدينة فينادون للصلاة حتى نقسوا أو كادوا أن ينقسوا...[444]. ويُفهَم من هذا أن المسلمين كانوا

(444) أخرج البخاري حديث أنس في **صحيحه**، كتاب: الأذان، باب: بدء الأذان، ج. 1، ص. ،149 رقم: 603، وفي كتاب: الأذان، باب: الأذان مثنى مثنى، ج. 1، ص. ،149 رقم: 606، وفي كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذُكر عن بني إسرائيل، ج. 2، ص. 371، رقم: 3457. أخرج البخاري حديث ابن عمر في **صحيحه**، كتاب: الاذان، باب: بدء الأذان، ج. 1، ص. 149، رقم: .604 وأخرج مسلم حديث أنس في **صحيحه**، كتاب: =

يتشاورون فيما بينهم ليجعلوا لصلاتهم عَلَماً. والظاهر أن النبي ﷺ قد كَرِه عمل الناقوس في البداية لكونه مِن عَمَلِ النصارى، ولمّا اضطرّ إلى اتّخاذ شيء يجمع الناس به للصلاة أمر أن يعمل. وتفيد رواية الدارمي أن الناقوس قد نُحت وأُعِدّ ليضرب للمسلمين إلى الصلاة، وبينما هم على ذلك رأى ابن زيد الرؤيا. ولعلّه ﷺ اختار ناقوس النصارى لأنّهم أكثر طواعية له ومودّة إليه مِن اليهود(445). ومِن الجدير بالذِكر أن أوّل مَن فكّر فيه المسلمون هم مَن كانوا يرونهم ويعاشرونهم مِن اليهود والنصارى، والذين التقوا بهم في المدينة وخارجها، وكانوا يعلمون مِن أحوالهم الكثير. وفي حديث ابن عمر برواية ابن ماجه المشار إليه في الهامش: أن النبي ﷺ استشار الناس لِما يهمّهم مِن أمر الصلاة، فذكروا البوق، فكرهه مِن أجل اليهود، ثم ذكروا النّاقوس فكرهه مِن أجل النصارى.

= الصلاة، باب: الأمر بشفع الأذان، ج. 1، ص. 297، رقم: 3- (...). وأخرج مسلم حديث ابن عمر في **صحيحه**، كتاب: الصلاة، باب: بدء الأذان، ج. 1، ص. 296، رقم: 377. وأخرج الترمذي حديث ابن عمر في **سننه**، كتاب: الصلاة، باب: ما جاء في بدء الأذان، ج. 1، ص. 369، رقم: 190. وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب مِن حديث ابن عمر. وأخرج ابن ماجه حديث ابن عمر في **سننه**، كتاب: الأذان والسنّة فيها، باب: بدء الأذان، ج. 1، ص. 290. وأخرج الدَّارَقُطْنِي الحديث نفسه في **سننه**، ج. 1، ص. 237. وأخرج ابن خزيمة حديث ابن عمر في **صحيحه**، بتحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، بيروت، 1390 هـ.، ج. 1، ص. 188، رقم: 361؛ وأخرج البيهقي حديث أنس في **السنن الكبرى**، ج. 1، ص. 390؛ وأخرج ابن حبّان حديث أنس برواية: «التمسوا» (ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 571، رقم: 1671.) وأخرج أبو داود حديث ابن زيد في **سننه**، كتاب: الصلاة، باب: كيف الأذان، ج. 1، ص. 135، رقم: 499. وأخرج الإمام أحمد حديث ابن زيد في **المسند**، ج. 26، ص. 399، رقم: 16477، ص. 402، رقم: 16478؛ وأخرج ابن حبّان أيضاً حديث ابن زيد (ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 572، رقم: 1679.) وكذلك أخرجه البيهقي في **السنن الكبرى**، ج. 1، ص. 414. وكذلك أخرجه عبد الرزاق في **المصنّف**، ج. 1، ص. 460-461، رقم: 1787، 1788. وأخرج ابن ماجه في **سننه** حديث: «كان رسول الله قد همّ بالبوق....» كتاب: الأذان والسنّة فيها، باب: بدء الأذان، ج. 1، ص. 289، رقم: 706. وأخرج رواية: «قالوا: لو اتّخذنا ناقوساً..... للمجوس» أبو الخير بن صدّيق الحسيني (**المصدر السابق**، مج. 1، ص. 272.) وأخرج ابن خزيمة حديث أنس: «لما كثر الناس.... أن ينوّروا ناراً...» في **صحيحه**، ج. 1، ص. 190-191، رقم: 368؛ انظر كذلك: الشوكاني، **نيل الأوطار**، مج. 1، ج. 2، ص. 35.

(445) السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 9-10؛ محمد محمود خطّاب السبكي، **المرجع السابق**، ج. 4، ص. 131. انظر كذلك: الدارمي، **السنن**، ج. 1، ص. 286، رقم: 1187. يقال إن الرجل الذي رآه عبد الله بن زيد كان ملكاً مِن الملائكة. (ابن الملقّن، **البدر المنير**، مج. 3، ص. 368.) وانظر تعليق شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، اقتضاء الصراط المستقيم، مج. 1، ص. 356. ثمة لفظة ناقوس في السريانية بالمعنى نفسه الذي في اللغة العربية؛ ولكن تكتب بصيغة «نقش». انظر: Smith, J. P., op.cit., pp. 352, 353 انظر كذلك: أحمد هبو، «تأثير لغات الشعوب القديمة في لغة كتب السيرة»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 2، ص. 100.

وقد شُرِع الأذان في السنة الأولى للهجرة، وكان النّاقوس المعروف لديهم عبارة عن خشبتين أو حديدتين (وهو قليل)؛ إحداهما طويلة والثانية أقصر مِنها، وكانت الطويلة تُضرَب بالقصيرة فيخرج مِنها صوت مميّز، وكان النصارى يستخدمونها لأوقات صلواتهم. ثم أصبحت تُطلق على الأجراس التي اتّخذوها الآن بدلاً عن الخشبتين أو الحديدتين، وكانت تُعرف بالوبيل. وهي التي عناها الشاعر جرير بقوله:

لَمّا تذكرتُ بالدَيْريْن أرّقني

صوت الدجاج وقرع بالنّواقيس

وقيل: إن الخشبة الطويلة كانت تُعرف بالناقوس، والقصيرة تسمّى وبيلاً. وقوله «فنُحت» أي فسعوا في نحته[446]، أو ربّما صُنع وأُعدّ، ولا نعلم مَن الذي نفذ هذه المهمّة، وهل هي محض خشبتين أو حديدتين تصنعان صناعة، أم يحتاج الأمر إلى وقت وخبرة؟ وفي رواية مرسلة عن أبي عاصم عبيد بن عمير المكي، أحد كبار التابعين قال: ائتمر النبي هو

(446) أبو الخير بن صدّيق الحسيني، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 272؛ البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 14؛ حبيب زيّات، **المرجع السابق**، ص. 29، 9؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 9، ص. 21؛ الزرقاني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 172؛ السندي، **شرح سنن ابن ماجة**، مج. 1، ص. 390؛ السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 5؛ العظيم آبادي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 169؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 1751؛ الكاندهلوي، **أوجز المسالك**، ج. 2، ص. 6 ،5؛ **المنجد في اللغة والأعلام (جزء اللغة)**، ص. 831. وبيت جرير في **ديوانه**، بشرح وضبط عمر فاروق الطبّاع، بيروت، 1997، ص. 272. ويبدو أن لفظ «وبيل» هي تحريف للفظة «أبيل» وهي تعني رئيس النصارى، وقيل: هو صاحب الناقوس يدعوهم للصلاة أو هو ضارب الناقوس، وقيل: هو الراهب وسُمّي به لتأبّله عن النساء وترك غشيانهنّ، وقيل: هو الراهب الرئيس. وكان النصارى يسمّون عيسى عليه السلام أبيل الأبيليين. وكانوا يعظّمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله. وفي قول الشاعر الجاهلي عمرو بن عبد الجن ما يشير إلى ذلك: (وما قدّس الرهبان في كل هيكل / أبيل الأبيليّيْن عيسى بن مريما). وفي بعض المصادر: وما سبّح الرهبان في كل بيعة أبيل الأبيليين عيسى بن مريما (أو المسيح بن مريما). (انظر: ابن سِيْدَه، **المصدر السابق**، مج. 10، ص. 410؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 11، ص. 8 ،7؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 14، ص. 5؛ الطبري، **التاريخ**، ج. 1، ص. 622؛ المرزباني، **معجم الشعراء**، تحقيق: فاروق اسليم، بيروت، 2005، ص. 63، 35؛ نشوان الحميري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 155.) وقد قال الأعشى: (فإنّي وربّ الساجدين عشية / وما صكّ ناقوس الصلاة أبيلها)، وقال أيضاً: (وما أَيْبُلي على هيكل / بناه وصلّب فيه وصارا). (**الديوان:** ص. 103، 227، رقم: 5، 23. وقيل: إن لفظة «أبيل» فارسية معرّبة. (ابن بَرّي، **المصدر السابق**، ص. 36؛ البِشْبِيشي، **المصدر السابق**، ص. 16.) تقول الكاتبة الأمريكية كارين أرمسترونج إن المسلمين قد شاهدوا النصارى المحليين في المدنية وهم يستخدمون الناقوس.
Armstong, K., op.cit., p. 116.

وأصحابه كيف يجعلون شيئاً إذا أرادوا جمع الصلاة اجتمعوا لها به؟ فائتمروا بالناقوس، فبينا عمر بن الخطاب يريد أن يبتاع خشبتين للناقوس إذ رأى عمر في المنام ألا تجعلوا الناقوس؛ بل أذّنوا للصلاة(447).

ومما يشير إلى شيوع سلوكيات النصارى، ومعرفة الناس بها في المجتمع المدني؛ ما يُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾. (المائدة: 87) يذكر المفسّرون أن مِن أسباب نزول هذه الآية أن عدداً مِن الصحابة أرادوا أن يتخلّوا من اللباس ويتركوا النساء ويمتنعوا مِن الطعام الطيّب ويتزهّدوا، وأرادوا أن يتخذوا الصوامع. وقال بعضهم: ما حقّنا إن لم نُحدِث عملاً؛ فإنّ النصارى قد حرّموا على أنفسهم فنحن نحرّم، فامتنع بعضهم عن أكل اللحم، وحرّم بعضهم النوم، وحرّم بعضهم النساء، وكانوا عشرة مِنهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون. فنهاهم رسول الله ﷺ وحذّرهم وخوّفهم. وكان مما قال لهم: لا آمركم أن تكونوا قسّيسين ورهباناّ(448). ويبدو أن تصرّف المسلمين هذا ورغبتهم في الترهّب جاء بعد فهمهم للآية 82 مِن سورة المائدة التي سبقت هذه الآية حيث مدح عزّ وجلّ النصارى، ووصفهم بأنّهم أقرب الناس مودّة للمؤمنين. وذُكر أن مِن أسباب ذلك أن مِنهم قسّيسين ورهباناً؛ فظنّ المسلمون أن هذا ترغيب لهم في الرهبانية، وظن الميّالون للتقشّف والزهد أنّها منزلة تقرّبهم إلى الله، ولن يتحقق ذلك إلا بترك التمتّع بالطيّبات مِن الطعام واللباس والزينة، فأرادوا أن يفعلوا كفعل النصارى ويترهّبوا، ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الأرض، فأراد سبحانه إزالة هذا الوهم ليظهر للمسلمين أنّهم ليسوا مأمورين بذلك. وعدّ الله ذلك اعتداء، ونهى عنه(449).

---

(447) أبو داود، **كتاب المراسيل**، ص. 126، رقم: 20. قال عنه محقّق الكتاب: إسناده صحيح إلى مرسله.

(448) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 13، ص. 235، رقم: 162006؛ ا ابن كثير، **التفسير**، ج. 8، ص. 595-596؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 609 فما بعدها؛ عبد الرزاق، **التفسير**، ج. 1، ص. 191-192. ضعّف كلٌّ مِن سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر هذه الرواية. (**المرجع السابق**، مج. 2، ص. 95-69، 96—97.

(449) ابن تَيْمِيَّة، **التفسير الكبير**، ج. 4، ص. 140؛ ابن عجيبة، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة، 1999، مج. 2، ص. 70؛ ابن العربي، **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، 2000، مج. 2، ص. 105؛ الشاطبي، **الاعتصام**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سليمان، المنامة، 2000، مج. 2، ص. 195؛ الفخر الرازي، **التفسير الكبير**، إعداد: مكتب إحياء التراث العربي، بيروت، 1997، مج. 4، =

وقد قال الرسول ﷺ لعثمان بن مظعون: إن الرهبانية لم تكتب علينا. وعن سعد بن أبي وقّاص قال: لقد ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التّبتّل ولو أحلّه (وفي رواية فلو أجاز له) لاختصينا، وفي رواية أن عثمان قال: يا رسول الله ائذن لنا في الترهّب. فقال: إن ترهّب أمّتي الجلوس في المساجد وانتظار الصلاة[450]. وورد عنه ﷺ قوله: .... ولا تبتّل ولا ترهّب في الإسلام[451]. ونظراً إلى أن هذه الآية نزلت– في رأي بعض العلماء– في عثمان بن مظعون ولأنّ هذه الآية تلي آية مودّة النصارى للمسلمين؛ نرجّح أن آية المودّة نزلت قَبل مجيء جعفر بصحبة الوفد الحبشي كما أشرنا سابقاً، مما يشير إلى أنّها تعني أناساً آخرين مِن النصارى. ومِن المعروف أن عثمان بن مظعون كان أوّل مَن توفي مِن المهاجرين بالمدينة، وأوّل مَن دُفن مِنهم في البقيع، وكان ذلك بعد بدر التي شارك فيها، في شهر ذي الحجة مِن السنة الثانية للهجرة[452]. ورُوي أنه أراد ناس مِن أصحاب النبي ﷺ أن يرفضوا الدنيا ويتركوا النساء ويترهّبوا، فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام فغلّظ فيهم المقالة، ثمّ قال:

= ج. 12، ص. 416؛ محمد أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، القاهرة، 2000، مج. 5، ص. 2333؛ محمد محمود حجازي، **التفسير الواضح**، القاهرة، 1992، مج. 1، ص. 553؛ المراغي، **المرجع السابق**، مج. 3، ص. 8. يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة: قد اشتهر في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب الذين أرادوا التبتّل مِن الصحابة مثل عثمان بن مظعون والذين اجتمعوا معه. (**التفسير الكبير**، ج. 4، ص. 139.)

(450) أخرج حديث عثمان بن مظعون الإمام أحمد في **المسند** (ج. 43، ص. 70-71، رقم: 25893)، وقال عنه محقّقو **المسند**: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأخرج الإمام أحمد حديث سعد في **المسند** (ج. 8، ص. 33، 34، 38، أرقام: 8313، 8314، 8315، 8319)، وقال عنه محقّقو **المسند**: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وانظر كذلك: ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 9، ص. 337، رقم: 4027؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 7، ص. 79؛ سعيد بن منصور، **السنن**، تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، الرياض، 1993، مج. 4، ص. 1515، رقم: 771. وانظر تعليق الإمام الشاطبي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 195، 196، وأخرج البَغَوي حديث عثمان: «يا رسول الله ائذن لنا في الترهّب....» في **شرح السنّة** (ج. 2، ص. 370-371، رقم: 484)، وقال محقّق الكتاب: إسناده ضعيف. التبتّل هو الانقطاع إلى الله تعالى بالكليّة. (السيوطي، **الكنز المدفون**، ص. 343.)

(451) السيوطي، **الجامع الصغير**، ج. 2، ص. 746، رقم: 9880. وأشار السيوطي لضعفه، وقال: عن طاوس مرسل. وانظر تعليق الشيخ الألباني، **ضعيف الجامع الصغير وزياداته**، بيروت، 1990، ص. 907، رقم: 6287.

(452) حول سنة وفاة عثمان بن مظعون، انظر: ابن حبّان، **كتاب الثقات**، مج. 1، ص. 79؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 382؛ البخاري، **التاريخ الأوسط**، تحقيق: تيسير بن سعد أو حيمد، الرياض، 2005، مج. 1، ص. 304؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 1149. يقول سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر عن سبب نزول الآية في عثمان بن مظعون وأصحابه إنّه صحيح.(**المرجع السابق**، مج. 2، ص. 93.)

إنّما أهلك مَن كان قبلكم بالتشديد، شدّدوا فشُدّد عليهم، فأولئك بقاياهم في الديار والصوامع، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وحجّوا واعتمروا، فاستقيموا يُستقم لكم. ونزلت فيهم الآية السابقة. وفي رواية قال ﷺ: ... لا تشدّدوا على أنفسكم فيُتشدّد عليكم؛ فإنّ قوماً شدّدوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديار، رهبانيّة ابتدعوها ما كتبناها عليهم. وفي رواية: وستجدون بقاياهم في الصوامع والديّارت[453]. ومِن المعروف أن تحريم الطيّبات والزينة وتعذيب النفس مِن العبادات المأثورة عن قدماء الهنود واليونانيين، وقلّدهم فيها أهل الكتاب، ولا سيما النصارى الذين شدّد رهبانهم على أنفسهم، وحرّموا عليها ما لم تحرّمه الكتب المقدّسة عندهم[454].

والظاهر أن مثل هذه الأفكار كانت شِبه رائجة في المجتمع الإسلامي الأوّل، حتى قال النبي ﷺ: إنّي لم أبعث باليهودية ولا النصرانية، ولكنّي بُعثت بالحنيفية السمحة، والذي نفسي بيده لغداة أو روحة في سبيل الله خير مِن الدنيا وما فيها، ولَمُقام أحدكم في الصفّ خير مِن صلاته ستّين سنة[455]. وفي رواية قال ﷺ: إنّي لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية، ولكن بُعثت بالحنيفية السمحة[456]. وقوله: إنّي لم أبعث بالرهبانية. وقوله عليه الصلاة والسلام: إن لكلّ أمّة رهبانية؛ ورهبانية أمّتي الجهاد في سبيل الله، وفي رواية: لكلّ نبي رهبانية ورهبانية هذه الأمّة الجهاد في سبيل الله، وفي رواية: إن لكلّ أمّة رهبانية ورهبانية

---

(453) عبد الرزاق، **التفسير**، ج. 1، ص. 192. أخرج أبو داود الرواية الثانية في **سننه**، كتاب: الأدب، باب: في الحسد، ج. 4، ص. 276-277، رقم: 4904. وأخرج البخاري في **التاريخ الكبير** (مج. 4، ص. 99) الرواية الثالثة عن سهل ابن حنيف. وانظر تعليق شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، 1999، مج. 1، ص. 180-181.

(454) محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 7، ص. 19، 20؛ محمد محمود حجازي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 554.

(455) هذا الحديث مِن رواية أبي أمامة أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج. 36، ص. 623-624، رقم: 22291؛ والطبراني في **المعجم الكبير**، ج. 8، ص. 216، رقم: 7868. وقريب منه مِن رواية أبي هريرة أخرجه الإمام أحمد في **المسند**، ج. 15، ص. 473-474، رقم: 9762؛ والبيهقي في **الجامع لشُعب الإيمان**، تحقيق: مختار أحمد الندوي، بومباي، 1989، ج. 8، ص. 158-159، رقم: ،3925 ج. 16، ص. 458-،459 رقم: 10786؛ وفي **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 160. وأشار محقّق الجامع إلى حُسن إسناده. وقال عنه محقّقو **المسند**: رجاله ثقات. وقال عنه ابن حجر الهيثمي في **مجمع الزوائد** (ج. 5، ص. 279-280): رواه البزار ورجاله ثقات.

(456) الخطيب البغدادي، **الفقيه والمتفقّه**، ج. 2، ص. 283، رقم: 980. وعلّق عليه محقّق كتاب الخطيب بقوله: حسن لغيره.

أمّتي الرباط في نحور العدو[457]. ونهى ﷺ عن وصال الصيام لأنّه صوم النصارى، ويشبه أن يكون مِن رهبانيّتهم التي ابتدعوها، فعن بشير بن الخصاصية أن رسول الله ﷺ نهى عن الوصال، وقال: يفعل ذلك النصارى، ولكن صوموا كما أمركم الله، وأتمّوا الصيام إلى الليل، فإنْ كان الليل فأفطروا[458].

ومِن سلوكيات المظاهر والأعمال ما ذكره كثير مِن المؤرخين والرواة أن صناعة النّعوش لنقل الموتى أوّل ما حدثت في المدينة لنقل جثمان أمّ كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وكان هذا اقتراح أسماء بنت عميس التي رأت مِثل هذه العادة عند نصارى الحبشة[459]، ويعد مِن مظاهر التأثير الثقافي والفنّي الحبشي في المجتمع العربي قبل الإسلام وبعده الصناعات الحرفية مثل صناعة النعوش، وفي المجال الفنّي الرقص والغناء[460] الذي أشرنا إليه سابقاً. كما كانت معرفة المسلمين بالعمائر الدينية النصرانية كبيرة، وكانت أوصافها وهندستها متداولة بين المسلمين، وإن كان ذلك خارج بلاد العرب، ومما يدلّ على ذلك ما روته أمّ المؤمنين عائشة أن أمّ حبيبة وأمّ سلمة ذكرتا كنيسة رَأَينَها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تلك الصور، أولئك شِرار الخلق عند الله يوم القيامة. وفي رواية عنها أيضاً: أنّهم تذاكروا عند رسول الله ﷺ في مرضه فذكرت أمّ حبيبة وأمّ سلمة الكنيسة. وفي رواية: ذكرت

(457) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 21 ص. 317، رقم: 13807. انظر كذلك: ابن أبي عاصم، **كتاب الجهاد**، تحقيق: مساعد ابن سليمان الراشد الحميد، دمشق، 1989، ص. 186-188. رقم: 33؛ ابن المبارك، **كتاب الجهاد**، تحقيق: نزيه حمّاد، بيروت، 1971، ص. 35-36، رقم: 16. وأشار محقّقو **المسند** إلى ضعف إسناده. وقال ابن حجر الهيثمي (**مجمع الزوائد**، ج. 5، ص. 278): رواه أبو يعلى وأحمد إلا أنّه قال: لكلّ نبي رهبانية.... وفيه زيد العمي وثّقه أحمد وغيره وضعّفه أبو زرعة وغيره وبقيّة رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر الهيثمي (**مجمع الزوائد**، ج. 5، ص. 279) عن حديث «في نحور العدو»: رواه الطبراني (**المعجم الكبير**، ج. 8، ص. 168، رقم: 7708) وفيه عفير بن معدان؛ وهو ضعيف. انظر كذلك: المتقي الهندي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 286، 311، رقم: 10527، 10649.

(458) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 36، ص. 286-287، رقم: 21955؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 2، ص. 44، رقم: 1231. انظر تعليق شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، مج. 1، ص. 213.

(459) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 14، ص. 80-81، رقم: 17634؛ الجراعي، **الأوائل**، تحقيق: عادل الفريجات، بيروت/دمشق، 1988، ص. 47؛ السيوطي، **الوسائل إلى معرفة الأوائل**، ص. 36؛ فؤاد صالح السيّد، **المرجع السابق**، ص. 521.

(460) عبد الغني إبراهيم، **المرجع السابق**، ص. 58-59.

أزواج النبي ﷺ كنيسة رأينها بأرض الحبشة يقال لها مارية، فذكرن مِن حسنها وتصاويرها(461). وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: أراكم ستشرّفون مساجدكم كما تشرّفت اليهود كنائسها، وكما تشرّفت النصارى بِيَعها. و«التشريف» جعل بنائها عالياً مرتفعاً(462).

والخاتم: قال أنس بن مالك: إن النبي عليه الصلاة والسلام أراد أن يكتب إلى رهط أو أناس مِن الأعاجم أو إلى العجم؛ فقيل له: إنّهم لا يقبلون (أو لا يقرؤون) كتاباً إلا عليه خاتم (أو إلا أن يكون مختوماً)، فاتّخذ النبي ﷺ خاتماً مِن فضّة. والأعاجم هم الروم. وقد صرّحت بذلك رواية أخرى: لمّا أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له: إنّهم لنْ يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوماً، فاتّخذَ خاتماً مِن فضّة(463). وذُكر أن فَصَّ هذا الخاتم كان

---

(461) أخرج البخاري الرواية الأولى عن عائشة في **صحيحه**، كتاب: الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ، ج. 1، ص. 111، رقم: 428، وفي كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة الحبشة؛ ج. 2، ص. 460-471، رقم: 3873؛ وأخرج مسلم الرواية نفسها في **صحيحه**، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتّخاذ الصور فيها والنهي عن اتّخاذ القبور مساجد، ج. 1، ص. 388-389، رقم: 16- (528)؛ وأخرجها النسائي أيضاً: **السنن (الموسوعة الحديثية)**، ج. 1، ص. 390ن رقم: 785. وأخرج مسلم إخراج الرواية الثانية عن عائشة في **صحيحه** في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتّخاذ الصور فيها والنهي عن اتّخاذ القبور مساجد، ج. 1، ص. 389، رقم: 17- (000)؛ وأخرج البخاري الرواية الثالثة عن عائشة في صحيحة في كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة ، ج. 1، ص. ،113 وفي كتاب: الجنائز، باب: بناء المسجد على القبر، ج. 1، ص. 314، رقم: 1341؛ وأخرج مسلم الرواية نفسها في **صحيحه**، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتّخاذ الصور فيها والنهي عن اتّخاذ القبور مساجد، ج. 1، ص. 389، رقم: 18- (000)؛ وأخرجها ابن حبّان (ابن بلبان الفارسي، **المصدر السابق**، مج. 7، ص. 454، رقم: 3181)؛ والبيهقي في **السنن الكبرى** (ج. 8، ص. 80)؛ و البَغَوِي في **شرح السنّة** (ج. 2، ص. 415-416، رقم: 509).

(462) أخرج ابن ماجه حديث ابن عبّاس في **سننه**، كتاب: المساجد والجماعات، باب: تشييد المساجد، ج. 1، ص. 303، رقم: 740. ونقل محقّق السنن عن البوصيري قوله: إسناده ضعيف، فيه جبارة بن المغلّس وهو كذّاب. انظر كذلك: السندي، **شرح سنن ابن ماجه**، مج. 1، ص. 409؛ محمد عبد الحفيظ بن عبد الصمد كنّون الحسني الإدريسي، **المرجع السابق**، ج. 3، ص. 248.

(463) البخاري، **الصحيح**، كتاب: الجهاد والسير، باب: دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يُقَتَلون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر والدعوة قبل القتال، ج. 2، ص. 236، رقم: 2938، وكتاب: اللباس، باب: نقش الخاتم، ج. 4، ص. 52-53، رقم: 5872، وباب: اتّخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب، ج. 4، ص. 53، رقم: 5875، وكتاب: الأحكام، باب: الشهادة على الخطّ المختوم وما يجوز مِن ذلك....، ج. 4، =

حَبَشيّاً[464]، بمعنى أنّه حجر مِن جزع أو عقيق، وكان معدنهما بالحبشة واليمن، وقيل: لأنّ لونه حبشي؛ أي أسود أو أحمر يميل إلى السواد، أو هو مصنوع كصنع الحبشة، أو أن صانعه حبشي. أو أن الحبشي بمعنى أنّه كان نوعاً مِن الزبرجد يكون ببلاد الحبشة، لونه يميل إلى الخضرة[465]. والمراد بالخاتم: الطابع الذي كان يختم به الكتب، وهو عادة في الأمم ماضية. وعادة ما يُنقش على الفصّ اسم صاحبه، وبصورة عامّة إن الخاتم على شكل حلقة ذات فصّ مِن غيره[466]. وفي كتاب اللباس مِن صحيحه وضع البخاري باب: اتّخاذ الخاتم ليُختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم. ووضع مسلم باباً عنونه بـ: في اتّخاذ النبي ﷺ خاتماً لمّا أراد أن يكتب إلى العجم. وأورد حديث أنس: لمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم...[467]. مما يشير إلى أنّه رحمه الله قصد الروم بقوله «العجم». وعلّق القاضي عياض على لبس النبي ﷺ للخاتم بقوله: فيه مخالقة النّاس بأخلاقهم، واستئلاف العدو بما لا يضرّ[468]. وذُكر: أن لبس الخاتم كان في السنة السادسة، وقيل: في السنة السابعة، وجُمع

= ص. 335، رقم: 7162؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 30، رقم: 3131؛ الترمذي، **السنن**، المؤلف نفسه، **شمائل النبي** ﷺ، ص. 75، رقم: 90. قال عنه الترمذي: حسن صحيح، وقال عنه محقّق الشمائل: إسناده صحيح. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 397.

(464) مسلم، **الصحيح**، كتاب: اللباس والزينة، باب: في خاتم الورِق فصّه حبشي، ج. 3، ص. 523، رقم: 2094. انظر كذلك: ابن ماجه، **السنن**، كتاب: اللباس، باب: نقش الخاتم، وباب: مَن جعل فصّ خاتمه مما يلي كفّه، ج. 3، ص. 286، 287، رقم: 3641، 3646؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 65، رقم: 3140، ص. 66، رقم: 3141؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: اللباس، باب: ما جاء في خاتم الفضّة، ج. 4، ص. 15، رقم: 1739، 1740؛ المؤلف نفسه، **شمائل النبي** ﷺ، ص. 74، رقم: 87. قال عنه الترمذي: حديث حسن صحيح غريب مِن هذا الوجه.

(465) السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، الرياض، د.ت.، ج. 1، ص. 76؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **السراج الوهّاج**، ج. 8، ص. 124؛ عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللحجي، **كتاب منتهى السول على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول** ﷺ، بيروت، 1998، ج. 1، ص. 540؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 6، ص. 608؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 14، ص. 2589.

(466) عبد الله بن سعيد بن محمد عبادي اللحجي، **المرجع السابق** ، ج. 1، ص. 538، 539، 540.

(467) البخاري، **الصحيح**، كتاب: اللباس، باب: اتّخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، ج. 4، ص. 53؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: اللباس والزينة، باب: اتّخاذ النبي ﷺ خاتماً لمّا أراد أن بكتب إلى العجم، ج. 3، ص. 522. وحديث أنس برقم: 56 (000)، وكتاب الفضائل، باب: في سدل رسول الله شعره ﷺ وفرقه، ج. 4، ص. 123، رقم: 2336. انظر كذلك: أبا يعلى الموصلي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 30، رقم: 3271، 3272؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 10، ص. 128.

(468) **إكمال المُعلم**، ج. 6، ص. 608.

بينهما بأنّه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة. وكان اتّخاذ الخاتم قبل إرسال الكتب إلى الملوك(469).

وعن ابن عبّاس قال: كان النبي ﷺ يحبّ موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ ناصيته ثم فرق بعد(470). وشاهِدُنا مِن الحديث أن أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى كانت لهم هيئات في التزيّن كان المسلمون يشاهدونها أمامهم، وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم، وفي رواية: غيّروا الشيب ولا تشبّهوا باليهود والنصارى(471)، بمعنى تغيير لون شيب الرأس واللحية، ومخالفة اليهود والنصارى، ويبدو أن الباعث على الأمر بها كان للعادة، وتكوين شخصية إسلامية في وقت خاصّ(472). وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: أعفوا اللحى وخذوا الشوارب وغيّروا شيبكم، ولا تشبّهوا باليهود والنصارى، وعن أبي أمامة قال: قلنا: يا رسول الله إن أهل الكتاب يقصّون عثانينهم ويوفّرون سبالهم، فقال النبي ﷺ: قُصّوا سبالكم ووفّروا عثانينكم، وخالفوا أهل

(469) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 399؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 7، ص. 303؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 15، ص. 2811.

(470) البخاري، **الصحيح**، كتاب: اللباس، باب: الفرق، ج. 4، ص. 59، رقم: 5917. انظر كذلك: البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 96، رقم: 3182. سدل الشعر إرساله، ويقال سدل شعره وأسدله إذا أرسله ولم يضم جوانبه، والمراد إرساله على الجبين واتّخاذه كالقَصّة، والظاهر أنّه رجع إليه بوحي، ولعلّه فعل ذلك استلطافاً لأهل الكتاب في أوّل الهجرة، وموافقة لهم على مخالفة عبّاد الأوثان، فلمّا أغنى الله تعالى عن استئلافهم وأظهر الإسلام على الدين صرّح بمخالفتهم في غير شيء، أو لعلّه عليه الصلاة والسلام علم أن هذا ممّا لم يبدّلوه مِن شرائعهم، أو أنّه ﷺ أراد في البداية أن يتألّفهم ولا سيما اليهود، فلمّا اطّلع على أحوالهم فرأهم أبغض الناس، وأنّ التألّف لا يؤثّر في قلوبهم خالفهم. (لمزيد مِن المناقشة، انظر: ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 442، 443؛ السندي، **شرح سنن ابن ماجه**، مج. 4، ص. 173.)

(471) البخاري، **الصحيح**، كتاب: اللباس، باب: الخضاب، ج. 4، ص. 57، رقم: 5899؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: اللباس والزينة، باب: في مخالفة اليهود في الصبغ، ج. 3، ص. 528، رقم: 2103. انظر كذلك: البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 88-89، رقم: 3174، 3221؛ الحميدي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 471، رقم: 1108؛ الطبراني، **المعجم الأوسط**، ج. 6، ص. 406، رقم: 6532، ج. 8، ص. 237، رقم: 8386.

(472) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 434؛ ابن الملقن، **قصص الأنبياء ومناقب**، ص. 331؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **السراج الوهّاج**، ج. 8، ص. 61؛ المباركفوري، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 353-345؛ موسى شاهين لاشين، فتح المُنعم **شرح صحيح مسلم**، القاهرة، 2002، ج. 8، ص. 369، 371.

الكتاب[473]. وعن ابن عبّاس قال: قدم وفد مِن العجم حلقوا لحاهم، وتركوا شواربهم، فقال رسول الله ﷺ: احفوا الشوارب واعفوا اللحى[474]. ولا نعلم مَن هؤلاء العجم هل هم مِن الروم أم مِن الفرس؟ ولا يُستَبعد أن يكون هؤلاء العجم مِن أهل الكتاب[475]، وربما مِن الروم.

ووردت إشارات عديدة في أحاديث ردّ السلام على أهله الذمّة، وهي على ثلاثة أوجه: الأول مطلقة تشمل أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى، وفي بعضها أن الصحابة رضي الله عنهم سألوا النبي ﷺ: إن أهل الكتاب يسلّمون علينا فكيف نردّ عليهم؟ فقال لهم: قولوا: وعليكم[476]. وقوله أهل الكتاب تشمل اليهود والنصارى[477]. والثاني: خاصّ بالردّ على اليهود؛ لأنّهم يقولون: السام عليكم (أي الموت)، والردّ هو: وعليكم أو وعليك. وقد حدث بسبب بعض الحكايات في لقاءات بين الرسول والمسلمين وبين أفراد ومجموعات مِن اليهود[478]. والثالث: خاصّ بالردّ على اليهود والنصارى تحديداً؛ فعن عبد الله بن عمر عن

---

(473) البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 17، ص. 314-315. «عثانين» جمع عثنون وهي اللحية، و«سبالهم» جمع سبلة؛ يعني الشارب.

(474) أخرج ابن النّجار حديث ابن عبّاس. (انظر: ابن حمزة الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 291.)

(475) ابن الهمام، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 48؛ البابرتي، **المصدر السابق**، ج. 6، ص. 48؛ الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**، ج. 4، ص. 244؛ السياغي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 641، 643.

(476) أغلب هذه الأحاديث مِن رواية أنس بن مالك، وانظرها في المصادر التالية: البخاري، **الصحيح**، كتاب: الاستئذان، باب: كيف يردّ على أهل الذمّة السلام، ج. 4، ص. 129، رقم: 6258؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، ج. 4، ص. 7، رقم: 2163. انظر كذلك: أبا داود، **السنن**، كتاب: الأدب، باب: السلام على أهل الذمّة، ج. 4، ص. 353، رقم: 5207؛ أبا يعلى، **المسند**، ج. 5، ص. 295، 457، 478، أرقام: 2916، 3279، 3214؛ ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 8، ص. 442، رقم: 5811؛ ابن ماجه، **السنن**، كتاب: الأدب، باب: ردّ السلام على أهل الذمّة، ج. 3، ص. 306، رقم: 3697؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 19، ص. 188، رقم: 12141، ج. 20، ص. 367، 433، رقم: 13087، 13211، ج. 21، ص. 375، رقم: 13934؛ النسائي، **السنن الكبرى**، كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول لأهل الكتاب إذا سلّموا عليه، ج. 6، ص. 103، 104.

(477) المناوي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 483، رقم: 683.

(478) روى مثل هذه الأحاديث جماعة مِن الصحابة؛ كأمّ المؤمنين عائشة، وأنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، فقد أخرج البخاري حديث عائشة في **صحيحه**، في كتاب: الجهاد والسير، باب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة، ج. 2، ص. 236، رقم: 2935، وفي كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كلّه، ج. 4، ص. 79-80، رقم: 6024، وباب: لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحّشاً، ج. 4، ص. 80-81، رقم: 6030، وفي كتاب: الاستئذان، باب: كيف يردّ على أهل الذمّة السلام، ج. 4، ص. 129، رقم: 6256، وفي كتاب: =

النبي أنّه قال: إذا سلّم عليك اليهودي والنصراني، فإنّما يقول السام عليكم، فقل: عليكم(479). وعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام؛ فإذا لقيتموهم في طريق فاضطرّوهم إلى أضيقها (أو أضيقه)(480). وتشير إحدى روايات

= الدعوات، باب: الدعاء على المشركين، ج. 4، ص. 159، رقم: 6395، وباب: قول النبي ﷺ يستجاب لنا في اليهود، ولا يستجاب لهم فينا، ج. 4، ص. 160، رقم: 6401، وفي كتاب: استتابة المرتدّين والمعاندين، باب: إذا عرّض الذمّي وغيره بسبّ النبي ﷺ ولم يصرّح نحو قوله: السام عليك، ج. 4، ص. 279، رقم: 6927، وأخرج البخاري حديث أنس في **صحيحه،** كتاب: استتابة المرتدّين والمعاندين، باب: إذا عرّض الذمّي وغيره بسبّ النبيﷺ، ولم يصرّح نحو قوله: السام عليك، ج. 4، ص. 278، رقم: 6926، وأخرج البخاري حديث ابن عمر في **صحيحه،** كتاب: الاستئذان، باب: كيف يردّ على أهل الذمّة السلام، ج. 4، ص. 129، رقم: 6257، وفي كتاب: استتابة المرتدّين والمعاندين، باب: إذا عرّض الذمّي وغيره بسبّ النبي ﷺ ولم يصرّح نحو قوله: السام عليك، ج. 4، ص. 279، رقم: 6928؛ وأخرج مسلم حديث عائشة في **صحيحه،** كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، ج. 4، ص. 8، رقم: 2165، وأخرج مسلم حديث ابن عمر في **صحيحه،** كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، ج. 4، ص. 7-8، رقم: 2164، 2165، وأخرج مسلم حديث جابر في **صحيحه،** كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يردّ عليهم، ج. 4، ص. 9، رقم: 2166. انظر كذلك: أبا داود، **السنن،** كتاب: الأدب، باب: السلام على أهل الذمّة، ج. 4، ص. 353، رقم: 5206؛ أبا يعلى، **المسند،** ج. 5، ص. 410، 425، 445، أرقام: 3089، 3114، 3153؛ ابن أبي شيبة، **المصنّف،** ج. 8، ص. 442، 443، رقم: 5810، 5813؛ ابن حجر الهيثمي، **كشف الأستار،** ج. 2، ص. 422، رقم: 2010؛ ابن ماجه، **السنن،** كتاب: الأدب، باب: ردّ السلام على أهل الذمّة، ج. 3، ص. 306، رقم: 3698؛ ابن رَاهَوَيْه، **المصدر السابق،** ج. 1، ص. 296، رقم: 274، ج. 2، أرقام: 815، 816، 912؛ الإمام أحمد، **المسند،** ج. 19، ص. 416، 449. رقم: 12427، 12467، ج. 20، ص. 305، 450، رقم: 12995، 13240، ج. 21، ص. 125، 294، 462، أرقام: 13459، 13766، 14084؛ البَغَوِي، **شرح السنّة،** ج. 12، ص. 269-272، أرقام: 3311-3314؛ البوصيري، **كتاب إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة،** مج. 6، ص. 44، 45، رقم: 5294، 5296؛ البيهقي، كتاب الآداب، ص. 178، رقم: 286، المؤلف نفسه، **السنن الكبرى،** ج. 9، ص. 203؛ الترمذي، **السنن،** كتاب: تفسير القرآن، باب: ومِن سورة المجادلة (م 3—ت تابع 58)، ج. 5، ص. 244، رقم: 3301؛ الحميدي، **المصدر السابق،** مج. 1، ص. 120-121، رقم: 248، مج. 2، ص. 290-291، رقم: 656؛ عبد الرزاق، **المصنّف،** ج. 10، ص. 392، رقم: 19460؛ النسائي، **السنن الكبرى،** كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول لأهل الكتاب إذا سلّموا عليه، ج. 6، ص. 102، 103.

(479) النسائي، **السنن الكبرى،** كتاب: عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول لأهل الكتاب إذا سلّموا عليه، ج. 6، ص. 102.

(480) أخرجه مسلم في **صحيحه،** كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف الردّ عليهم، ج. 4، ص. 9، رقم: 2167. وأخرجه الترمذي في **سننه،** كتاب: الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في التسليم على أهل الذمّة، ج. 4، ص. 482، رقم: 2700، وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه الإمام أحمد في **المسند** (ج. 13، ص. 56، رقم: 7617)، وقال عنه محقّقو **المسند:** إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه البَغَوِي في **شرح السنّة** (ج. 12، ص. 269، رقم: 3310)؛ وعبد الرزاق في **المصنّف** (ج. 10، ص. 391، رقم: 19457)؛ وأخرجه البخاري في **الأدب المفرد** (مج. 2، ص. 619، رقم: 1103.) رواية: أهل الكتاب لا تبدؤهم بالسلام.... =

الحديث إلى نوع مِن الواقع المعاش آنذاك؛ وهو ما يرويه سهيل بن أبي صالح قال: خرجتُ مع أبي إلى الشام، فكان أهل الشام يمرّون بأهل الصوامع فيسلّمون عليهم، فسمعتُ أبي يقول: سمعتُ أبا هريرة يقول عن النبي ﷺ: لا تبدؤوهم بالسلام واضطرّوهم إلى أضيقه(481).

ويعلّق الشيخ موسى شاهين لاشين على أحاديث الردّ على اليهود بقوله: كان اليهود يسكنون قرى حول المدينة وعلى أطرافها، ويجوبون الديار والشوارع والمحلات يتعاملون خلالها بالبيع والشراء وتبادل المنافع مع أهلها، وكانت التحيّة عندهم: أنعم صباحاً، وأنعم مساءً، ثم صار السلام شعاراً للمسلمين، ولكن اليهود لم يستحسنوا هذه التحيّة؛ فكانوا إذا لقوا المسلمين قالوا لهم: السام أي الموت، يوهمونهم أنّهم يقولون: السلام عليكم. وقد فطن المسلمون لهذا التحوير والتحريف للتحيّة فشكوا إلى رسول الله ﷺ، فأرشدهم إلى كيفية الردّ عليهم(482). ولا يُستبعد أن تكون هذه الحالة مشابهة لتعامل بعض النصارى مع المسلمين، ربّما كتقليد لليهود أو مبادرة مِنهم في العداوة للمسلمين، وهذا ما يُفهم مِن حديث ابن عمر عن كيفية الردّ على اليهود والنصارى.

= ولا يعني عدم مبادأتهم بالسلام إهانتهم إن كانوا مِن أهل الذمّة، ولم يظهر مِنهم سوء نيّة للمسلمين؛ بل يقصد إظهار فضل المسلم وتقديمه على غيره، لأنّ إهانة أهل الذمّة ممنوعة لقوله تعالى: «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم مِن دياركم أن تبرّوهم وتقسطوا إليهم». (انظر: الشنقيطي، **المرجع السابق**، مج. 5، ص. 2238-2239؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **السراج الوهّاج**، ج. 8، ص. 238-239؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 7، ص. 52-53؛ النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 14، ص. 2650-2651.)

(481) الإمام أحمد، **المسند**، ج. 14، ص. 232-233، رقم: 8561؛ البيهقي، **كتاب الآداب**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، 1986، ص. 177. وسهيل بن أبي صالح أحد العلماء الثقات المتّقين، توفي في عهد أبي جعفر المنصور في نحو 140 أو قبلها بيسير. وأبوه أبو صالح ذكوان السّمّان، مديني كوفي تابعي ثقة، متّفق على توثيقه، كان يجلب السمن والزيت إلى الكوفة. توفي عام 101 هـ بالمدينة. (انظر: ابن الجوزي، **المنتظم**، ج. 7، ص. 69؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، مج. 2، ص. 446، 447؛ ابن شاهين، **تاريخ أسماء الثقات**، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت، 1986، ص. 125، 158؛ ابن القيسراني، **الجمع بين رجال الصحيحين**، بيروت، 1405 هـ.، ج. 1، ص. 132، 133، 208؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 461-462؛ الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: حوادث ووفيات 121–140 هـ**، ص. 450؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 3، ص. 338؛ العجلي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 345، 440.

(482) **المرجع السابق**، ج. 8، ص. 487-488.

وروى جابر عن النبي ﷺ قوله: لا تسلّموا تسليم اليهود والنصارى؛ فإنّ تسليمهم بالأكفّ والرؤوس والإشارة. وفي رواية: ... فإنّ تسليمهم إشارة بالأكفّ والحواجب[483]. وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: ليس منّا مَن تشبّه بغيرنا، لا تشبّهوا باليهود ولا بالنصارى؛ فإنّ تسليم اليهود بالإشارة، وتسليم النصارى بالأكفّ. وفي رواية عن ابن عمرو: نهى رسول الله عن الإشارة بالأيدي والرؤوس في السلام، وقال: إن اليهود تشير بأكفّها والنصارى بروؤسها[484].

وعن أم المؤمنين عائشة قالت: إن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نَقَضَه. وفي رواية: أن رسول الله ﷺ كان لا يترك في بيته شيئاً فيه تصليب إلا قَضَبه[485].

---

(483) النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، ج. 9، ص. 134، رقم: 10100. وروى الديلمي الرواية الثانية (**المصدر السابق**، ج. 5، ص. 20، رقم: 7323.) وانظر كذلك: المناوي، **المصدر السابق**، مج. 6، ص. 521، رقم: 9798. وذكر الألباني عن هذه الرواية أنّها موضوعة، وقال: لكن صحّت من دون زيادة «الحواجب»، وهي الرواية التي رمز إلى حُسنها. (انظر: الألباني، **ضعيف الجامع الصغير**، ص. 899، رقم: 6230، المؤلف نفسه، **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، بيروت، 1988، مج. 2، ص. 1224، رقم: 7327.)

(484) الترمذي، **السنن**، كتاب: الاستئذان والآداب، باب: ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام، ج. 4، ص. 480، رقم: 2695. وقال الترمذي عن هذا الحديث: هذا حديث إسناده ضعيف. وروى ابن المبارك هذا الحديث عن ابن لهيعة فلم يرفعه. وعلى ما في سند الحديث مِن مقال إلا أنّه يشير إلى أنّه لا يكفي لإقامة السنّة أن يأتي بالتحية بغير لفظ؛ كالإشارة بشيء مما ذُكر أو بالانحناء ولا بلفظ غير السلام. وقوله: «ليس مِنّا» أي مِن أهل طريقتنا ومراع متابعتنا. (المباركفوري، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 392؛ المناوي، **المصدر السابق**، مج. 6، ص. 521.) وقال ابن حجر الهيثمي: عن ابن عمرو وأظنّه مرفوعاً.... رواه الطبراني في الأوسط وفيه مَن لم أعرف. (**مجمع الزوائد**، ج. 8، ص. 38-39.) والحديث أخرجه الطبراني في **المعجم الأوسط**، وقال عنه: لم يَروِ هذا الحديث عن الليث بن سعد إلا أبو المسيب سلام بن مسلم. (ج. 7، ص. 238، رقم: 7380.) وأخرجه الديلمي في الفردوس (ج. 3، ص. 415-416، رقم: 5270.) وقال عنه محقّقه: ضعيف. وقال عنه محقّق **مشكاة المصابيح**: إسناده ضعيف، وقد رواه ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه عبد الله بن عمرو ولم يصرّح ابن لهيعة بالتحديث بل رواه عنعنة، وهو مدلّس فهذا أدعى للشكّ في روايته، وتوقيف ابن المبارك له هو الأصوب. (الخطيب التبريزي، **مشكاة المصابيح**، تحقيق: سعيد محمد اللحّام، بيروت، 1991، ج. 3، ص. 7، رقم: 2649، ح. (1).) وعزا نبيل سعد الدين جرار إخراج الرواية الثانية إلى ابن عمرو إلى ابن المقرئ في معجمه. وقال عنه: في إسناده مَن لم نقف له على ترجمة. (**الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء**، الرياض، 2007، مج. 4، ص. 372-373، رقم: 3782.)

(485) البخاري، **الصحيح**، كتاب: اللباس، باب: نقض الصور، ج. 4، ص. 65، رقم: 5952؛ البَغَوِي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 132، رقم: 3070. أخرج الرواية الثانية أبو داود في **سننه**، كتاب: اللباس، باب: في الصليب في الثوب، رقم: 4151. انظر كذلك: ابن رَاهَوَيْه، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 763، رقم: 835، ص. 778 ،رقم: 861، 862.

«تصاليب» جمع صليب، أي تصاوير على شكل صليب، ويقال ثوب مصلّب أي عليه نقش كالصليب الذي كان رمزاً لعبادة النصارى. وقولها: «نقضه» أي كسره وأَبْطَله وغيّر صورته[486]، ورُوي أن النبي ﷺ رأى على بعض أزواجه سِتراً فيه صليب فأمر به فنقضت. وورد عن أم المؤمنين عائشة أنّها لا تلبس الثياب التي فيها الصليب، وورد أن أم المؤمنين أم سلمة كانت تكره الثياب المصلّبة أي التي تصوّر فيها الصلبان[487]. ولرمزيّة الصليب ولمعانيه الدينية المتعلّقة بالنصارى تحديداً يقول عدي بن حاتم: أتيتُ النبي ﷺ وفي عنقي صليب مِن ذهب، فقال: يا عدي اطرحْ عنك هذا الوثن[488].

وكان الأحباش قد جلبوا معهم بعض عادات الذبح، وهذا ما بيّنه حديث رافع بن خَديج قال: قلتُ: يا رسول الله إنّا لاقوا العدو غداً وليس معنا مُدىً، قال: ما أنهر الدم وذُكر اسم الله فكُل ليس (وفي رواية: ما خلا) السنّ والظُّفر، (أو ما لم يكن سنّاً أو ظفراً)، وسأحدّثك (أو سأخبرك أو سأخبركم) عن ذلك؛ أمّا السنّ فعظم، وأمّا الظفر فمدي الحبشة[489]. والإشارة إلى تحريم الذبح بالظفر معناه أن الأحباش يدمون مذابح الشاة بأظفارهم حتى تزهق النفس خنقاً وتعذيباً. وقد نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الذبح بالظفر معّللاً بأنّها مدي الحبشة، وكان الأحباش في أظفارهم طول فيذكّون بها دون سائر الأمم؛ فيجوز أن يكون نهى عن ذلك لِمَا فيه مشابهتهم فيما يختصّون به[490].

(486) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 10، ص. 471، 472؛ الخطّابي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 206؛ السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 206؛ العيني، **عمدة القاري**، ج. 22، ص. 71.

(487) انظر: ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 8، ص. 196، رقم: 4848؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 8، ص. 197، رقم: 4850، ج. 11، ص. 76، رقم: 19957.

(488) البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 10، ص. 116؛ الترمذي، **السنن**، كتاب: تفسير القرآن، باب: ، ج. 5، ص. 122، رقم: 3095؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 17، ص. 92.

(489) أبو داود، **السنن**، كتاب: الأضاحي، باب: في الذبيحة بالمروة، ج. 3، ص. 102، رقم: 2821. انظر كذلك: الإمام أحمد، **المسند**، ج. 14، ص. 232-233، رقم: 8561؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 236؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 4، ص. 270، 271، 273، أرقام: 4383، 4384، 4394، 4395. وقال عنه محقّقو **المسند**: إسناده صحيح رجاله رجال الشيخين غير سعيد بن عامر الضبعي، فقد روى له البخاري في الأدب وهو ثقة. وعن أبي هريرة أن النبيﷺ نهى عن ذبائح الزنج. (قال ابن القيسراني: رواه عبد الله بن أذينة عن ثور بن يزيد عن الزهري عن حُميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة. وعبد الله يروي عن ثور المنكرات. (**تذكرة الحفّاظ**، ص. 104، رقم: 234).)

(490) انظر: ابن تَيْمِيَّة، **اقتضاء الصراط المستقيم**، ج. 1، ص. 348؛ الحكيم الترمذي، **المصدر السابق**، ص. 120؛ العيني، **عمدة القاري**، ج. 21، ص. 113.

قبائل وعشائر متنصّرة وأمّهات في يثرب ينتمين إلى قبائل شاعت فيها النصرانية:

بالغ الأب لويس شيخو لّما زعم أن الأوس والخزرج كانوا جميعهم على النصرانية واستدل على ذلك بانتساب هاتين القبيلتين إلى غسّان التي يراها قبيلة نصرانية بأجمعها. وبالغ أكثر لّما قال: أن أهل يثرب انقسموا إلى قسمين: يهود كبني قريظة والنضير، ونصارى وهم عرب الأوس والخزرج[491]. واستدل أيضاً بقول الشهرساتي: «الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم أهل الكتاب والأميون، والأُمّي من لا يعرف الكتابة، وكانت اليهود والنصارى بالمدينة والأُمّيّون بمكة[492]. ورأت فاطمة علي باخشوين في زعم واستشهادات لويس شيخو ادّعاءً لا يصح إذ أنه لا تفيد عبارة الشهرستاني تعميم اليهودية والنصرانية في أهل يثرب، وإنما يُفهَم منها بزن يثرب كانت إحدى مراكز أهل الكتاب في إقليم الحجاز وخاصة من اليهود. وتنفي نفياً قاطعاً انتشار النصرانية بين الأوس والخزرج وإن اجتمعتا بغسان في الانتساب إلى قبيلة الأزد اليمنية. وتضيف أيضاً أن غسان نفسها لم تكن جميعها على النصرانية بل وجد فيها من يؤمن بالوثنية. وأما وثنية الأوس والخزرج فمعروفة ومشهورة وتدل عليها العديد من الروايات والأخبار[493]. ونحن بدورنا نقول أنه من الصعب المبالغة في انتشار النصرانية بين الأوس والخزرج لدرجة اعتبارها دين هذين الحيين من العرب. وفي الوقت نفسه من الصعب الاعتقاد بأنه لم يكن أفراد أو جماعات من القبيلتين كانوا على النصرانية. ولا نستبعد معرفة عرب يثرب بالنصرانية كما دللنا على ذلك فيما سبق. ولكن لم تكن هي الديانة الرئيسة بالنسبة لهم.

أما العشائر والمجموعات القبيلة الأخرى في يثرب فتشير المصادر إلى أنه قدِم مِن الشام بنو الشظيّة، حيّ مِن غسّان، فنزلوا بالقرب مِن جبل ميطان، فلم يتّفقوا مع أهلها فتحوّلوا قريباً مِن جذمان، وكان به أُطم اشتهر به، ثم تحوّلوا فنزلوا براتج، وهي في الأصل اسم جبيل

(491) **النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية**، بيروت، 1936، ص 110، 114. نقلاً عن فاطمة علي باخشوين، المرجع السابق، ص 187.

(492) **المِلَل والنِّحل**، تحقيق: محمد سيّد كيلاني، بيروت، 1975، مج 1، ص 208.

(493) انظر: فاطمة علي باخشوين، **المرجع السابق**، ص 187. انظر كذلك: عمر فرّوخ، **العرب في حضارتهم وثقافتهم**، ص 53–54.

سُميت المنطقة المحيطة به باسمه، وهو في غربي وادي بطحان، وفيه أُطم باسمه. وقد ذكر ابن الكلبي أن أم ثعلبة بن الأختم بن جفنة بن عمرو بن مزيقياء كانت تدعى الشطِبة، وبها عُرف أبناؤه وهم في المدينة، ولعلّ الشظية هي نفسها الشطِبة. وبنو معاوية بن الحارث بن بُهثة (أو بَهثة) بن سليم، وبنو الجذما حيّ مِن اليمن، وكانوا نازلين ما بين مقبرة بني عبد الأشهل وبين قصر ابن عراك بطريق أُحد، ثم انتقلوا إلى منطقة راتج. وبنو مريد (أو مزيد أو مرثد) حيّ مِن بلي، وقيل: إن بني مريد كانوا مِن سكّان يثرب قبل الإسلام. وبنو غُصينة مِن بلي وهم بنو عامر بن مالك بن عامر (وقيل: هم بنو عمرو بن عَمّارة)، وغصينة أم لهم، وهم حلفاء لبني عمرو بن عوف مِن الأوس. وبنو أُنيف حيّ مِن بلي أيضاً، ويقال إنّهم بقيّة مِن العماليق، وكان لبني أُنيف بقباء أطم الأجش عند البئر التي يقال لها لاوة، وأُطُمان في ما بين مزرعتين الأولى تدعى الماية والثانية تُسمّى القائم، ولهم أيضاً آطام عند بئر عذق وغيرها، وكانوا أكبر الفروع البلوية بقباء. وقد قال شاعرهم:

ولو نطقت يوماً قباء لخبّرت
بأنّا نزلنا قبل عاد وتبّع
وآطامنا عاديّة مُشْمَخِرّة
تلوح فتُنْكي مَن نعادي وتمنع

وقيل: إن بني أُنيف بطن مِن الأوس وليس مِن بلي، وأنّ منازلهم كانت بين منازل بني عمرو بن عوف وبين العصبة[494]. وبلي التي ينتمي إليها بنو أُنيف ومزيد وعشائر

(494) انظر: أبا عبيد البكري، **المسالك والممالك**، مج. 1، ص. 224؛ المؤلف نفسه، **معجم ما استعجم**، مج. 1، ج. 1، ص. 30؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 596؛ ابن زبالة، **المصدر السابق**، ص. 169، 182—183؛ ابن الكلبي، **جمهرة النسب**، تحقيق وخط: محمود فردوس العظم، دمشق، 1983، ج. 2، ص. 365؛ السمهودي، **المصدر السابق**، ج 1، ص. 301،، 302، 306، 349، 382—383، ج. 3، ص. 225؛ عاتق بن غيث البلادي، **معجم القبائل العربية المتّفقة اسماً والمختلفة نسباً أو دياراً**، بيروت، 2002، ص. 184؛ الفيروزآبادي، **المغانم المُطابة**، ص. 8، 87، 149، 322، 366، 399؛ محمد سليمان الطيّب، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 330، ح. (1). انظر كذلك: أبا الفرج الأصفهاني، **المصدر السابق**، مج. 11، ج. 22، ص. 344؛ ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص. 261، 442—443؛ عمر رضا كحالة، **معجم قبائل العرب**، بيروت، 1991، ج. 1، ص. 48، ج. 2، ص. 594؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج. 1، ص. 127؛ Lecker, M., Muslims, Jews & Pagans, pp. 50, 62, 65, 68, 69-70 يقول ياسين غضبان إن بني أنيف مِن اليهود. (**المرجع السابق**، ج. 6، ص. 101.)

أخرى كانت تقيم في شمال الحجاز على تخوم الشام، وكان لهم وجود في مصر والشام في عهد ظهور النصرانية، واعتنق معظمهم هذا الدين. وكان بين البلويين وأهل المدينة تحالفات سبقت الإسلام، فلمّا أسلموا ظلّت هذه التحالفات قائمة بعد الإسلام. وشارك واحد وعشرون رجلاً مِن بلي في معركة بدر؛ أي نحو عُشر عدد الأنصار في تلك الموقعة، وتدلّ هذه النسبة العالية على كثرة عددهم في المدينة. وهؤلاء البلويون غير البلويين الذين استقرّوا في المدينة بعد الهجرة، وخطّ لهم الرسول خطّة ومسجداً مع جهينة(495). ومِن بطون بلي بنو مُريد ويقال لهم أيضاً الجعادرة، وكانوا حلفاء بني أميّة بن زيد مِن الأنصار(496)، وقد عُرف أحد البلويين باسم يثربي، وهو أبو رِمثة رفاعة، وقيل: حِبّان أو حبيب، وقيل غير ذلك(497).

(495) ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص. 442؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 512؛ صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 34؛ محمد سليمان الطيّب، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 321-322، 329، 330. نسب صالح أحمد العلي أبا الهيثم مالك بن التيّهان إلى بلي؛ وهذا قول غير صحيح فمالك أشهلي أوسي، وكان أحد النقباء يوم بيعة العقبة. ومَن نسبه إلى بلي كان مِن قبيل الافتراض أو بصيغة «قيل أو يقال». (انظر: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 430، مج. 4، ص. 222 ، مج. 5، ص. 326؛ ابن حِبّان، **كتاب الثقات**، مج. 1، ص. 438؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 365؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 4، ص. 336.) حول مشاركة حلفاء الأنصار مِن بلي وغيرهم في معركة بدر، انظر: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 188؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 288، ج. 4، ص. 104، 117، 118، 247، ج. 6، 136—137، 151، ج. 7، ص. 257؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 4175، 420، 421، 427، 431، 432، 433، 436، 439، 475، 476، 495، 527؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 381، ج. 3، ص. 55، 62؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 275، 277، 280، 281، 285، 289؛ الأنصاري التلمساني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 460، 461، 462؛ الواقدي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 149، 151، 153، 156.)

(496) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 327؛ عاتق بن غيث البلادي، **معجم القبائل العربية المتّفقة اسماً والمختلفة نسباً أو دياراً**، ص. 183-184. ذكر ابن دريد أن بني مرّة بن مالك بن الأوس كانوا يسمّون الجعادرة؛ لأنهّم كانوا يقولون للرجل إذا جاورهم: جعدر حيث شئتَ فأنت آمن؛ أي اذهب حيث شئتَ. (**الإشتقاق**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، 1991، ص. 437.) انظر كذلك: ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 305، ج. 5، ص. 302.

(497) ابن حِبّان، **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، تصحيح: م. فلايشهر، بيروت، 1959، ص. 24؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 118؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 14، ص. 46؛ ابن منده، **المصدر السابق**، ص. 327، رقم: 2874؛ الدولابي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 51، 52؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 132؛ المؤلف نفسه، **المقتنى في سرد الكنى**، تحقيق: محمد صالح عبد العزيز المراد، المدينة، 1408 هـ، ج. 1، ص. 239، رقم: 2225؛ الحافظ المزِّي، **تحفة الأشراف**، ج. 9، ص. 208؛ مسلم، **الكنى والأسماء**، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشعري، المدينة، 1984، ج. 1، ص. 328، رقم: 1166.

وقد أدرك عدد مِن البلويين الإسلام ولكنّهم لم يسلموا، وكان مِنهم البراء بن عمير بن وبرة بن ثعلبة بن غَنْم البلوي، حليف بني عمرو بن عوف الذي أسلم ولده طلحة وهو غلام ولم يسلم هو. وكان طلحة قد التقى بالنبي ﷺ بعد قدومه المدينة، وجعل يدنو مِنه ويلتصق به ويقبّل قدميه، وقال له: يا رسول الله مُرني بما أحببتَ، لا أعصي لك أمراً، فعجب النبي عليه الصلاة والسلام لذلك وهو غلام، وسرّ به، فقال له: اذهب فاقتل أباك، فذهب ليفعل فدعاه ﷺ وقال له: أقبِلْ؛ فإنّني لم أبعث بقطيعة رحم. ولمّا مرض طلحة عاده النبي ﷺ وقال لأهله: إنّي أرى طلحة قد حدث فيه الموت، فإذا مات فآذنوني حتى أصلّي عليه. ولمّا أحسّ طلحة بدنوّ أجله قال لأهله: ادفنوني وألحقوني بربي ولا تدعو رسول الله ﷺ؛ فإنّي أخاف عليه اليهود أن يصاب في سببي[498]. فلو كان البراء مسلماً لما سأل النبي ﷺ ابنه طلحة أن يقتله مِن قَبيل الاختبار، كما أن معاجم الصحابة لم تدرج البراء ضمن الصحابة، إلى جانب أن معرفة طلحة بعداوة اليهود للرسول ﷺ تشي بشيء مِن علمه بأمور الخلافات الدينية في المجتمع المدني في بدايات الهجرة إلى المدينة. وفي حديثنا عن هذه القبائل غير الأوس والخزرج لا نجزم بأنّهم كانوا نصارى، وقد ذُكر أن بعضهم كانوا وثنيين مثل كعب بن عُجرة الذي تأخّر إسلامه، وكان له صنم في بيته يكرمه ويمسحه مِن الغبار[499].

وشارك ثمانية مِن بلي مِن عشيرة فرّان في معركة بدر، وثمة في الحجاز مناجم قريبة مِن المدينة تُعرف بمناجم فرّان؛ ولكن المصادر لا تذكر أي علاقة بين هذه المناجم وبين بني فرّان، ولا يستبعد أنّهم كانوا يمتلكونها، أو كانوا على أقلّ تقدير يعملون فيها، وقد أكّد ياقوت

(498) الحديث بهذا السياق مع اختلاف يسير في الألفاظ، أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب: الجنائز، باب: التعجيل بالجنازة وكراهية حبسها، والطبراني في **المعجم الكبير**، ج. 4، ص. 28، رقم: 3554، ج. 8، ص. 311-312، رقم: 8163. قال ابن حجر الهيثمي رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن. (**مجمع الزوائد**، ج. 3، ص. 37.) انظر كذلك: أبا نعيم الأصفاني، **معرفة الصحابة**، ج. 3، ص. 1552، رقم: 1527؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 472؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 425-427؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 271؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 315-316؛ ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، ج. 6، ص. 491، رقم: 4605؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج.،1 ص. 470؛ المتقي الهندي، **المصدر السابق**، ج. 13، ص. 444-445ن رقم: 37159.

(499) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 386، 387.

الحموي أن معدن أو ماء فران منسوب إلى فران بن بلي[500]. وعلى الرغم مِن قِدم سكنى البلويين في المدينة وكثرة عددهم، ووجود خطط متميّزة لهم فيها، واعتناقهم المبكّر للإسلام؛ إلا أن المصادر لم تذكر لأيّ عشيرة مِن بلي دوراً مستقلاً وأغلب رجالهم كانوا حلفاء لعشائر متفرّقة، ولم يكونوا متماسكين أو متعاونين. كما لم تُذكر لهم عشيرة في الوثيقة النبوية أو دستور المدينة، ولا في تنظيم ديوان العطاء فيما بعد، مما يشير إلى أن معظمهم قد انقرضوا، ولم يَبقَ لهم عقب بعد الإسلام. فأمّا بنو معاوية وبنو الجذما فلم يرد لهم ذِكر في أخبار الحوادث في الإسلام مما يدلّ على تناقص أهمّيتهم[501]. وكان في يثرب أيضاً أناس أو أفراد مِن بني غسّان مِثل أبي مريم نذير الغسّاني الذي يبدو أنّه كان مقيماً في المدينة قبل الهجرة. والحارث وسعد وكعب بنو جَمّاز بن مالك بن ثعلبة الذين كانت لهم ولادات في الأوس والخزرج[502]. وأفراد مِن قبيلة بهراء، وقد اشترك أحدهم وهو عتبة بن ربيعة بن خالد في موقعة بدر. وعَبيدة بن ربيعة بن جبير مِن بني عمرو بن كعب، وكان حليفاً لبني غُصينة[503]. وغسّان وبهراء قبيلتان شماليتان متنصّرتان معروفتان. ومِن أمثلة خلاف كتب الأنساب والسيرة على تحديد العشائر والبطون والأسر المدنية وتمييز كلّ مِنها[504] أنّها ذكرت عشيرتين باسم بني أُنيف، إحداهما أوسيّة، والثانية بلويّة، وفي رأيي إن ما قيل عن مشاركة فعّالة لرجال مِن بني أُنيف هم أوسيّون وليسوا بلويين، كما يرى المؤرخ صالح العلي. كما كان في

---

(500) صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 34؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج. 4، ص. 278. انظر كذلك: أبا عبيد البكري، **معجم ما استعجم**، مج. 1، ج. 1، ص. 30.

(501) صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 34، 35. انظر كذلك: Lecker, M., Muslims, Jews & Pagans, p. 37.

(502) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 517، مج. 5، ص. 287؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 308؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 370؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 4، ص. 318؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 6، ص. 3011، رقم: 3425؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 105، 202. انظر تعليق أحمد الشبول على وجود أفراد وعشائر مِن عرب الشمال في المدينة. («علاقات الأمّة الإسلامية في العصر النبوي مع بلاد الشام وبيزنطة»)، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 3**، ج. 1، ص. 159، 163).

(503) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 447، 455؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 360؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 4، ص. 145؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 281؛ الواقدي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 157.

(504) صالح أحمد العلي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 42.

المدينة أفراد مِن قبيلة جذام الشمالية كانوا حلفاء للأنصار أسلموا بمجيء الإسلام، وكان مِنهم زيد بن عدي الجذامي(505).

ولكون قبيلتَي بلي وعذرة القضاعيتين مِن القبائل الشمالية أصلاً، وبما أنّه كانت أكثرية قبائل الشمال نصرانية بتأثير مِن جيرانهم البيزنطيين؛ لا يُستَبعد أن هؤلاء البلويين والعذريين قد استقرّوا في يثرب بعد حملة الغساسنة لمساعدة أبناء عمومتهم في المدينة. والصّلة بين الأوس والخزرج وبني عذرة قديمة؛ إذ ذُكر أن أمّهم قَيْلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد، وقيل: قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة، ولذلك يقال لهم أبناء قَيْلة(506). ومِن الأمّهات العذريات في يثرب أم أناس بنت سعد، وهي أم ثعلبة بن زيد بن الحارث بن حرام بن كعب، وهو نفسه ثابت بن الجذع، وسُمّي بذلك لشدّة قلبه وصرامته. وهند بنت عمرو أم عمرة بنت سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج، وأمّ معتّب بن عبيد وأمّ ثعلبة بن سعد بن مالك الخزرجي أيضاً مِن بني عذرة. وأمّ عمرو بن بشير بن أنس بن أميّة البيضاء مِن بني عذرة(507). وكانت أم زيد بن جشم بن حارثة مِن بني عذرة أيضاً(508). ومِن الأمهات البلويات أم كعب بن الحارث بن ظالم بن عبس النّجّاري، وتدعى أم نيار بنت إياس بن عامر. وكانت أم معن بن عدي بلوية، وأمّ عمرو بن بُليل بن بلال بن أُحيحة مِن بني جَحْجَبا بلوبة. وأمّ أُسَيْرَة بن عمرو بن قيس بن مالك وأخته أنيسة، آمنة بنت أوس بن عجرة. وكانت أم شريك بن عبد عمرو بن قيظي الأنصاري هي ابنة أبي بردة نيار بن عمرو البلوي. وذُكر أيضا أن أم البراء بن عازب الأنصاري كانت بلوية؛ ولكن المصادر لا تتّفق على اسمها مع أنّه تشير إلى أن أبا بردة هانئ بن نيار بن عمرو البلوي كان خال البراء، وعندما تذكر اسم والدته لا

(505) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 392.

(506) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج. 1، ص. 427-428؛ ابن خلدون، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 598؛ ابن الكلبي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 370؛ الحازمي، **كتاب عجالة المبتدى وفضالة المنتهى في النسب**، تحقيق: عبد الله كنون، القاهرة، 2002، ص. 87؛ Wensinck, A. J., op.cit., p. 25

(507) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 421، 527، ج. 4، ص. 763، 282 ج. 10، 350؛ ابن الفرّاء الغسّاني، **المصدر السابق**، ص. 128؛ الطبري، **المنتخب مِن كتاب ذيل المذيّل**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1982، ص. 497. انظر كذلك: Watt, W. M., op.cit., p. 107

(508) ابن قدامة المقدسي، **الاستبصار في أنساب الأنصار**، ص. 178؛ ابن الكلبي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 392.

تورد اتّفاقاً بين نسبها ونسب أبي بردة. ومِن بهراء أم عامر بن أُميّة بن زيد بن الحسحاس النّجّاري. وكانت أم يزيد بن الحارث بن قيس بن مالك بن أحمر الخزرجي مِن بلقين بن جَسْر مِن قضاعة وتدعى فُسحُم، وكان ينسب إليها. وكانت أم قَرَظة بن كعب بن عمرو بن عامر ابنة قيس بن شهاب مِن بلقين. وكانت والدة أم الحكم ودّة بنت عقبة بن رافع الأشهلية الأنصارية مِن بني سلامان مِن قضاعة، وكانت تدعى أم البنين بنت حذيفة بن ربيعة. ومِن الأمّهات القضاعيات سلمة (سلمى) بنت عازب بن خالد بن الأجشّ بن عبد الله بن عوف، وهي والدة عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة الخزرجي. وهي أيضا أم غزية بنت سعد بن خليفة بن الأشرف الخزرجية[509].

ومِن الأمّهات الغسانيات أم عاصم بنت سليم بن رافع بن سهل بن عدي، وهم حلفاء بني زَعُوراء الأشهليين، وهي أم عاصم بن عبد الله بن قيس الأنصاري. وعميرة بنت عمرو بن ضمضم بن عمرو بن غَزيّة بن مالك، وقومها حلفاء بني معاوية، وهي أم الجلاّس والحارث ابني سويد بن الصامت بن خالد مِن بني حبيب بن عمرو بن عوف. وفاطمة بنت زيد مناة بن عمرو، وهي أم أثيلة بنت الحارث بن ثعلبة بن صخر بن حرام[510]. وعبد الرحمن بن حُوَيِّصَة بن مسعود بن كعب الخزرجي الأنصاري أمّه الصعبة بنت حِبّان بن كُرز

(509) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 428؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 431، 475، 476، 495، ج. 4، ص. 279، 307، 333، 350، 359، ج. 10، ص. 300، 349، 392. ذكر ابن الأثير (**أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 93) أن أمّ قَرَظة بن كعب تدعى جُندبة بنت ثابت بن سنان. بينما ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني (**الإصابة**، ج. 5، ص. 329) أن اسمها خليدة بنت ثابت. وذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أن أمّ يزيد بن الحارث مِن القين. (**الإصابة**، ج. 6، ص. 511.) حول اسم أمّ البراء بن عازب وخاله أبي بردة، انظر: ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 5، ص. 30؛ ابن حِبّان، **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، ص. 26؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 6، ص. 410، ج. 7ن ص. 31، ج. 8، ص. 351؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 417، ج. 4، ص. 288، ج. 5، ص. 282، ج. 10، ص. 313؛ ابن منده، **المصدر السابق**، ص. ،165 رقم: 1303؛ الأنصاري التلمساني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 459؛ الدولابي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 33؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 117؛ المؤلف نفسه، المقتنى في سرد الكنى، ج. 1، ص. 105، رقم: 617؛ مسلم، **الكنى والأسماء**، ج. 1، ص. 149، رقم: 429؛ النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، مج. 2، ص. 43. وسلامان هم بنو سعد بن هذيم أحد بطون قضاعة. (انظر: أبا الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، مج. 9، ج. 14، ص. 253-254؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 269؛ عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج. 4، ص. 254؛ القلقشندي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ص. 300.)

(510) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 293، 313، 314، ج. 10، ص. 388-389.

بن جابر مِن طيء. وكانت والدة كبشة بنت واقد بن عمرو الخزرجية الأنصارية، هند بنت رهم بن طريف مِن طيء(511). وثابت بن قيس بن شمّاس أمّه هند بنت رهم حبى (أو حيي) بن الأغر بن طريف بن عمرو بن عبد رضا مِن طيء(512). وكانت نصرانية، توفيت بعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، فجاء ثابت إلى النبي ﷺ يستأذنه في حضور جنازة أمّه، فأمره أن يركب ويتقدّمها(513)، وكانت أمّه موصوفة بالعقل والحكمة، وهي التي شجّعت ابنها قيساً

(511) ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 285، ج. 10، ص. 340-341.

(512) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 511؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 342؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 1، ص. 267؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 1، ص. 464، رقم: 376؛ خليفة بن خيّاط، **كتاب الطبقات**، ص. 94؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 8، ص. 329. جزم ابن سعد أن أمّ ثابت هي هند الطائية، وإن عقّب بعد ذلك بقوله: ويقال بل كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة، وأخوته لأمّه عبد الله وعمرة ابنا رواحة. ولم يكرّر هذا القول في ترجمته لعبد الله بن رواحة. (**المصدر السابق**، ج. 3، ص. 566، ج. 4، ص. 342، ج. 10، ص. 339.) وجزم الذهبي بأنّ أمّه هند الطائية، وعقّب على ذلك بقوله: وقيل بل كبشة بنت واقد بن الإطنابة. (**سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 3، ص. 134). واستعمال ابن سعد والذهبي صيغة التضعيف يشير إلى صحّة كون أمّ ثابت طائية.

(513) ابن الجوزي، **العِلل المتناهية**، ج. 2، ص. 901؛ ابن حجر العسقلاني، **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، تحقيق: مركز الدراسات والبحوث، الرياض، 1996، مج. 2، ص. 668؛ ابن قيِّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، ج. 1، ص. 434؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج. 9، ص. 116؛ الخلاّل، **المصدر السابق**، ص. 219؛ الدَّارَقُطْنِي، **السنن**، بيروت، 1980، ج. 2، 75—76؛ الزيلعي، **نصب الراية لأحاديث الهداية**، تصحيح: محمد عوّامة، بيروت، 1997، ج. 2، ص. 292، رقم: 3142. وقد ضعّف بعض العلماء هذا الحديث مِن حيث السند. (انظر: **موسوعة الأحاديث والآثار الضعيفة والموضوعة**، إعداد: علي حسن الحلبي وآخرون، الرياض، 1999، مج. 4، ص. 79، رقم: 8793، 8794.) وقال خلدون الأحدب: إسناده ضعيف لضعف أبي معشر وبقيّة رجال الإسناد حديثهم حسن. (**المرجع السابق**، مج. 6، ص. 598، 599، رقم: 1349.) ومدار ضعف السند على أبي معشر. ويُذكر أن الإمام أحمد أتى إلى أحد رواة الحديث، وهو أبو علي سهل بن المغيرة البزار جاء إليه يسأله عن هذا الحديث. قال عنه ابن مهدي: كان أبو معشر يعرف وينكر. وقال عنه الإمام أحمد: كان بصيراً بالمغازي، وقال: يُكتَب مِن حديث أبي معشر أحاديثه عن محمد بن كعب القرظي في التفسير، وقال: صدوق ولكنّه كان لا يقيم الإسناد، وقال: أَكْتُبُ حديثه أعتبر به. وقال عنه البخاري: منكر الحديث. وقال يحيى بن معين: ليس بقوي، وقال: ليس بشيء، وقال: يُكتَب رقاق الحديث مِن حديثه أو يكتب مِن حديثه الرقائق. وقال علي بن المديني: كان ذاك شيخاً ضعيفاً ضعيفاً ضعيفاً، وكان يحدّث عن محمد بن قيس ويحدّث عن محمد بن كعب بأحاديث صالحة، وكان يحدّث عن المقبري، وعن نافع بأحاديث منكرة. وقال عمرو بن علي: أبو معشر ضعيف. ما روى عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب ومشايخه فهو صالح. وما روى عن المقبري وهشام بن عروة ونافع وابن المنكدر فهي رديئة لا تُكتَب. وقال الترمذي: قد تكلّم بعض أهل العلم في أبي معشر من قِبَل حفظه. وقال النسائي: ضعيف، ومع ضعفه كان قد اختلط، عنده مناكير. وكان يحيى بن سعيد القطّان لا يحدّث عن أبي معشر. وقال ابن حبّان: كان ممن اختلط في آخر عمره، وبقي قبل أن يموت سنين في تغيير شديد، لا يدري ما يحدّث به، فكثر المناكير في روايته في اختلاطه فبطل الاحتجاج به. =

على تعلّم الكتابة والقراءة(514).

ومِن المحتمل أن أفراداً مِن أهلها كانوا في المدينة، أو كانوا زائرين لها، ومما يدلّ على ذلك أن عبد الرحمن بن ثابت بن قيس بن شمّاس استأذن النبي ﷺ في أن يزور أخواله (وفي رواية خاله، وفي رواية: خالاً له، وفي رواية: أخاً له، وفي رواية: إخوانه) مِن المشركين، فأذن له، فلمّا رجع قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾. (المجادلة: 22)(515)، ولفظة «المشركين» تشمل اليهود والنصارى،

= وقال عنه الخطيب البغدادي: كان مِن أعلم الناس بالمغازي. وقال عنه البيهقي: قد روى عنه الكبار إلا أن أهل العلم بالحديث يضعّفونه، وقال عنه: غير قوي. وقال أبو نعيم: كان كيّساً حافظاً. وقال ابن حجر: ضعيف، أسنّ واختلط. وقال الخليلي: أبو معشر له مكان في العلم والتاريخ، وتاريخه احتجّ به الأئمّة وضعّفوه في الحديث، وكان ينفرد بأحاديث، وتغيّر قبل موته بسنتين تغيّراً شديداً. وقال عنه الذهبي: كان مِن أوعية العلم على نقص في حفظه. توفي في رمضان عام 170 هـ، وصلّى عليه الخليفة هارون الرشيد، ودُفن في المقبرة الكبيرة ببغداد. (ابن الجوزي، **العلل المتناهية**، ج. 2، ص. 901؛ ابن حبّان، **كتاب المجروحين من المحدّثين**، مج. 2، ص. 404-401؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 599؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، مج. 5، ص. 593-595؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 311-312؛ ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 445-446؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، ج. 1، ص. 434، ح. (1)؛ البخاري، **كتاب التاريخ الكبير**، مج. 8، ص. 11؛ حسين بن قاسم الكلداري، **الدُّر النقي مِن كلام الإمام البيهقي**، الشارقة، 1997، ص. 376؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 190؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج. 13، ص. 429-434؛ المؤلف نغسه، **السابق واللاحق**، ص. 324؛ الدَّارْقُطْنِي، **السنن**، ج. 2، ص. 76؛ الدارمي، **التاريخ**، ص. 221، 246؛ الذهبي، **تذكرة الحفّاظ**، مج. 1، ج. 1، ص. 172؛ المؤلف نفسه، **المُغني في الضعفاء**، مج. 2، ص. 453؛ الزيلعي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 292؛ السمعاني، الأنساب، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، بيروت، 1988، ج. 3، ص. 320؛ السيوطي، **طبقات الحفّاظ**، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، 1974، ص. 100؛ العقيلي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 1432-1433، رقم: 1913؛ العلائي، **كتاب المختلطين**، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب وعلي عبد الباسط مزيد، القاهرة، 1996، ص. 124؛ قاسم علي سعد، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 2273؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 29، ص. 325، 327—328.

(514) عبد الرحمن عميرة، **المرجع السابق**، مج. 1، ج. 2، ص. 145. وللأسف لم يذكر الكاتب مصدره في هذه المعلومة.

(515) أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 4، ص. 1818، رقم: 1816؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 325؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 14، ص. 329. أورد كلّ مِن سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل النصر هذا الأثر، ولم يعلّقا على صحته أو ضعفه. (**المرجع السابق**، مج. 3، ص. 351—352.) عزا ابن حجر العسقلاني إخراج الأثر إلى ابن السكن وابن منده وابن مردويه في التفسير مِن طريق الربيع بن بدر عن يونس بن عبيد عن الحسن البصري، وعقّب عليه بقوله: الربيع ضعيف. (**الإصابة**، ج. 4، ص. 248.) والربيع هو أبو العلاء الربيع بن بدر التميمي السعدي البصري، يلقّب عُلَيلَة. قال عنه ابن معين: ليس بشيء، وضعّفه أبو داود وغيره، وقال عنه النسائي والدَّارْقُطْنِي: متروك، وذكر ابن عدي أن عامّة حديثه ورواياته عمن يروي لا يتابع عليها. توفي عام 178 هـ. =

وكونهم أخواله أي أخوال أبيه. ومِن الجدير بالذِكر أنّني لم أهتدِ إلى معرفة أم عبد الرحمن بن ثابت، ويذكر أن ثابت بن قيس تزوّج جميلة (أو زينب) بنت عبد الله بن أُبي ابن سلول، أو جميلة بنت أُبي ابن سلول، وتزوّج مريم المَغَالية مِن بني مغالة، وحبيبة بنت سهل بن ثعلبة النّجّارية الأنصارية[516].

وكانت أم الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة عمرو بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي القرشي، المعروف بالقُباع نصرانية؛ إذ يروي محمد بن الحسن بن هارون: قيل لأبي عبد الله (أي الإمام أحمد): ويشهد جنازته (أي المسلم يشهد جنازة النصراني)؟ قال: نعم، نحو ما صنع الحارث بن أبي ربيعة، كان شهد جنازة أمّه، وكان يقوم ناحية ولا يحضر لأنّه ملعون (أي مَن مات على يهودية أو نصرانية). وقال البخاري: أخبرنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، قال: حدّثنا حمّاد عن الشعبي أن الحارث بن أبي ربيعة ماتت أمّه نصرانية، فشيّعها أصحاب النبي ﷺ، قال: وزاد عبدان، عن ابن المبارك، قال سفيان: خرج عليهم، فقال: إن لها أهل دين (أو إن لها ولاة) غيركم، فقال معاوية: لقد سادَ هذا[517]. وقيل: إنّه لمّا

= (انظر: ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ج. 1، ص. 279-280؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 29، 37؛ الخطيب البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج. 8، ص. 413-416؛ المؤلف نفسه، **السابق واللاحق**، ص. 197؛ الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج. 3، ص. 60-61: العقيلي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 405-406، رقم: 485؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 9، ص. 63-66.)

(516) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 70، 81—82، 161، 316؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 10، ص. 414؛ الخطيب البغدادي، الأسماء المبهمة، ص. 415، 416؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 255، 258، 273، 304؛ النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، مج. 2، ص. 215-216، 255—256.

(517) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 3، ص. 347؛ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، مج. 1، ص. 469-470؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 1، ص. 432؛ البخاري، **التاريخ الأوسط**، مج. 2، ص. 1077-1078، رقم: 870؛ الخلاّل، **المصدر السابق**، ص. 218؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 4، ص. 412؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 6، ص. 36، رقم: 9926، ص. 38، رقم: 9933؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 5، ص. 242. وقال محقّقا كتاب **أحكام أهل الذمّة** (ج. 1، ص. 432، ح. (2)) لابن القيّم عن إسناد رواية الشعبي: إسناده حسن. وعن الشعبي أيضاً بسند فيه جابر الجعفي وهو ضعيف، وشريك النخعي: صدوق يخطئ كثيراً تغيّر حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة. والراوي عن الإمام أحمد هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن هارون بن بَدينا الموصلي، أحد أصحاب الإمام أحمد الخيّرين، توفي في شوال سنة 308 هـ. (انظر: ابن أبي يعلى، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 267-268؛ العُليمي، **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، 1984، ج. 1، ص. 317-318).

ماتت أمّه حضر القرشيون وغيرهم مِن الناس لشهود جنازتها، فأخبرهم ولدها بنصرانيتها فانصرف عنها الناس. وقيل: إنّه لما ماتت أمّه شهدها الحارث وشهدها الناس معه، فكانوا في ناحية، وجاء أهل دينها، فولوها، وشهدها مِنهم جماعة كثيرة كانوا على حدة. وقيل: إن الحارث لم يكن يعلم أن أمّه كانت نصرانية حتى ماتت، وحضر لها الناس، فخرجت إليه مولاة له فسارّته، وقالت له: اعلم أنّا وجدنا الصليب في عنق أمّك حين جرّدناها لغُسلها، فقال للناس: انصرفوا أدّى الله الحق عنكم، فإنّ لها أهل مِلّة هم أَوْلَى بها منكم، فانصرف الناس، وكَبُرَ الحارث بما فعل من ذلك عند الناس(518).

وكانت أمّه حبشية اختُلِف في اسمها، وقيل: اسمها سبحا، أو سبحاء، وقيل: سجا أو شيحا أو سيخا، وذُكر أنّها ابنة أبرهة، وقيل: كانت نصرانية سوداء مِن اليمن. وكان الحارث أسود، ولكون أمّه نصرانية عُدّ الحارث مِن الأشراف مِن أبناء النصرانيات. ويروى أن أم الحارث صادت طائراً مِن حمام مكة فأكَلته، فكان الحارث يعيّر بذلك. ويذكر البلاذري في هذا الشأن أن عبد الملك بن مروان قال للحارث: ما كان الكذّاب [يعني ابن الزبير] يقول في كذا؟ فقال الحارث: ما كان كذّاباً. فقال يحيى بن الحكم بن أبي العاص: مَن أمّك يا حار؟ قال: هي مَن تعلم؟ فقال عبد الملك ليحيى: أسكت فإنّها أنجب مِن أمّك(519). ورُوي أن عبد الله بن أبي ربيعة تزوج أم الحارث الحبشية في الجاهلية، وهي نصرانية وماتت وهي

(518) انظر: ابن حِبّان، **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، ص. 84؛ ابن حبيب، **المحبّر**، ص. 305؛ المؤلف نفسه، **المُنمّق**، ص. 400، 403—404؛ ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، ص. 147؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 32، 33؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 441-442، 445؛ ابن قدامة، **التبيين في أنساب القرشيين**، ص. 378؛ البلاذري، **أنساب الأشراف، ق. 5**، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت، 1996، ص. 251، 252—253، وكتاب: **أنساب الأشراف، ق. 4، ج. 2**، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعصام عقلة، بيروت، 2002، ص. 236؛ تقي الدين الحسيني الفاسي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 306-307؛ ابن خيّاط، **الطبقات**، ص. 234، 279؛ الزبيري، **كتاب نسب قريش**، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، 1982، ص. 318-319؛ السرخسي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 154؛ الفاكهي، **أخبار مكة**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكة، 1987، ج. 3، ص. 78، ح. (5)؛ الحافظ المزِّي، **تهذيب الكمال**، ج. 5، ص. 239-244.

(519) البلاذري، **أنساب الأشراف، ق. 5**، تحقيق: عبّاس، ص. 252؛ وكتاب: **أنساب الأشراف، ق. 4، ج. 2**، تحقيق: الدوري وعقلة، ص. 236، 396، 511—512.

على النصرانية[520]، وكان عبد الله يعدّ في أهل المدينة، وتوفي سنة 35 هـ[521]، وهذا يدلّ أيضاً على إقامة عبد الله في المدينة وسكناه بها مع زوجه الحبشية. وتشير الروايات أن رسول الله ﷺ ولّى عبد الله بن أبي ربيعة منطقة الجَنَد مِن أرض اليمن، وقيل: إن مَن ولاه هو الخليفة أبو بكر، وهو الأرجح، وقيل: الخليفة عمر[522]. ورُوي أيضا أن أباه عبد الله سباها مع ستمائة مِن الأحباش في أثناء ولايته على اليمن، في خلافة عثمان، وقد طلبت منه أن يعتق هؤلاء الضعفاء ففعل، ثم سَأَلَتْهُ ألا يمسّها حتى يقدُم بها بلده، وألا يحملها على تغيير دينها، فقدم بها فولدت له ولده الحارث. ونستبعد أن يكون عبد الله بن أبي ربيعة قد تزوج أم ابنه الحارث في خلافة عثمان؛ لأنّ ذلك لا يتّفق مع كون الحارث أحد الرواة عن الخليفة عمر وأمّهات المؤمنين، إلا أن يكون طلّقها ثمّ راجعها في خلافة عثمان.

والظاهر أن الحارث وُلد في آخر حياة النبي ﷺ، ومما يشير إلى ذلك أن أم الحارث كانت في المدينة في تلك الفترة، وأنّ أباه عبد الله عُدّ مِن أهل المدينة. ومِن الجدير بالذِكر أن الحارث عُدّ ضمن الطبقة الأولى ممن روى عن الخليفة عمر مِن أهل مكة، وذُكر أيضاً أنّه مِن الطبقة الأولى مِن تابعي أهل المدينة[523]. ويحتمل أن الحارث نشأ فيها مع أمّه ثم انتقل إلى مكة،

(520) ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 445. انظر كذلك: البسوي، **كتاب المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، 1981، مج. 3، ص. 194.

(521) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 3، ص. 32؛ تقي الدين الحسيني الفاسي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 341؛ الذهبي، العِبَر في خبر مَن غبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني، بيروت، 1985، ج. 1، ص. 26؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج. 2، ص. 34.

(522) ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 446؛ البخاري، **كتاب التاريخ الصغير**، ج. 1، ص. 62. الجَنَد أحد مخاليف اليمن. وهي أيضاً اسم عاصمة المخلاف، وكانت كبيرة خصيبة كثيرة الخيرات. وكان واليها في عهد النبي ﷺ معاذ بن جبل، وهو الذي بنى مسجدها المعروف المشهور، وتقع الجند إلى الشمال الشرقي مِن تعز على بُعد 22 كم. (انظر: أبا عبيد البكري، **المسالك والممالك**، مج. 1، ص. 280؛ إبراهيم أحمد المقحفي، **معجم المدن والقبائل اليمنية**، صنعاء، 1985، ص. 95؛ محمد محمد شُرّاب، **المعالم الأثيرة**، ص. 92؛ الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، بيروت، 1983، ص. 99.)

(523) ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 441، 444؛ البلاذري، **أنساب الأشراف، ق. 5**، تحقيق: عبّاس، ص. 251؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 266. وكان الحارث مِن خيار أهل مكة، وصالحي التابعين.وكان كبير القدر في نفوس الناس، ومما يشير إلى ذلك أن عبد الملك بن مروان كان في الطواف، فقال: قاتَلَ الله ابن الزبير يكذب على عائشة: أن النبي ﷺ قال لها: لولا حِدثان قومك بالكفر لنقضتُ البيت حتى أزيد فيه الحِجر. =

وربما عاد إلى المدينة، ويبدو أن هذا هو السبب في عده مِن تابعي أهل مكة، وفي الوقت نفسه مِن تابعي أهل المدينة؛ إذ إنه تمكّن مِن التواصل مع كبار الصحابة ومجالستهم والرواية عنهم في كلتا المدينتين(524).

ورُوي أن أم عبد الله بن ربيعة كانت نصرانية؛ إذ قال لعبد الله بن عمر: إن أمّي ماتت، وقد علمتَ الذي كانت عليه مِن النصرانية، قال: أحسن ولايتها، وكفِّنْها، ولا تقم على قبرها. وقال يوسف بن مهران راوي الحادثة: كنّا معه في ناحية، والنصارى يعجّون مع أمّه(525). والظاهر أنّه حدث في هاتين القصّتين نوع مِن الخلط فيُتوهّم أنّهما قصّتان مختلفتان؛ ولكن بعد البحث والتقصّي اتّضح أنّهما قصّة واحدة حدث فيها خطأ، إذ إن مَن كانت أمّه نصرانية هو الحارث بن أبي ربيعة كما أسلفنا، ومما يؤكّد أن القصة واحدة وأنّ المقصود هو

= فقال له الحارث: لا تقل هذا يا أمير المؤمنين، فأنا سمعتُها تقوله. فقال: لو كنتُ سمعته قُبيل أن أهدمه، لتركتُه على بناء ابن الزبير. وفي رواية أنّه وفد على عبد الملك في دمشق، وأخبره بحديث أمّ المؤمنين عائشة. (ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 437، 438؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 2، ص. 248؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 4، ص. 412.) ولّما توفي الحارث نعاه الوليد بن عبد الملك لأبيه، وقال: هلك سيّد بني مخزوم، فقال: أهكذا تقول؟ قل: مات سيّد قريش. (البلاذري، **أنساب الأشراف، ق. 5**، تحقيق: عبّاس، ص. 252).

(524) روى الحارث عن النبي ﷺ مرسلاً، ولذلك ذُكر في كتب الصحابة مع أن الأكثرين يرون أنّه لا صحبة له ولا رؤية. وقد أخرج الحاكم في **المستدرك** (ج. 2، ص. 118) في **كتاب الجهاد** مِن طريق أبي إسحاق الفزاري عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي أميّة عن الحارث أن رسول الله ﷺ مرّ في بعض مغازيه بناس مِن مزينة، فتبعه عبد امرأة مِنهم يسأله أن يأذن له في الجهاد معه، فطلب منه النبي ﷺ أن يستأذن سيّدته أولاً، فذهب إليها واستأذنها فأذنت له، وقال: صحيح الإسناد، وخفي عليه أن الحارث لا صحبة له. كما أخرج البيهقي الحديث نفسه في **السنن الكبرى** (ج. 9، ص. 22-23.) انظر كذلك: أبا زرعة العراقي، **تُحفة التحصيل في ذِكر رواة المراسيل**، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب وآخرين، القاهرة، 2000، ص. 69؛ ابن حجر العسقلاني، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، ج. 2، ص. 168-169، رقم: 1969. وقد روى الحارث عن الخليفة عمر ومعاوية بن أبي سفيان وأمّهات المؤمنين عائشة وحفصة وأمّ سلمة. وقد استعمله ابن الزبير في أثناء خلافته على البصرة، مدة سنة. ولا يُعلم تاريخ وفاته؛ فالخزرجي يحدّد وفاته فيما بعد الستّين، ويحدّدها الحافظ ابن حجر العسقلاني بأنّها قُبيل السبعين، وهذا غير صحيح؛ لأنّ الحارث التقى بعبد الملك بن مروان بعد مقتل عبد الله بن الزبير، وكان ذلك عام 73 هـ. ويحدّد الزركلي وفاته بنحو 80 هـ، بينما حدّد ابن أيبك الصفدي وفاته في حدود التسعين. والظاهر أن تحديد الزركلي هو الأرجح. (ابن أيبك الصفدي، **المصدر السابق**، ج. 11، ص. 255؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 146؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 202؛ خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 2، ص. 156.)

(525) ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 1، ص. 436؛ الخلاّل، **المصدر السابق**، ص. 218. قال محقّقا كتاب **أحكام الذمّة** (مج. 1، ص. 436، مح. (1)) عن إسناد الرواية ضعيف؛ فعلي بن زيد بن جدعان ضعيف، ويوسف بن مهران البصري لم يروِ عنه إلا ابن جدعان.

الحارث وليس غيره؛ هو أن أم أبيه عبد الله بن أبي ربيعة هي أسماء بنت مخربة أو مخرمة، وليست حبشية، وقد اختُلِف في إسلامها(526).

ويرى محقّقا كتاب أحكام الذمّة أن المقصود بعبد الله بن ربيعة هو عبد الله بن رُبَيِّعة بن فرقد السلمي، أحد الصحابة المختلف في صحبتهم، ورجّح كثيرون أنّه مِن التابعين(527)، ولكنني لم أجد فيما بين يدي مِن المصادر أن أمّه كانت نصرانية.

وروى عبد الحميد بن جعفر بن الحكم بن رافع بن سنان الأنصاري أن جده (رافع بن سنان بن خزيمة بن النّجّار بن الخزرج) أسلم، وأبَت امرأته أن تسلم، وبينهما ولد صغير فأَتيا به النبي ﷺ فقال: إن شئتما خيّرتها فجلس الأب جانباً وجلست الأم جانباً، فذهب الغلام إلى الأم، فقال النبي ﷺ: اللهمّ اهده، فرجع إلى الأب المسلم(528). وفي رواية أن الأب أسلم وأبت امرأته أن تسلم، فأتت النبي ﷺ، فقالت: ابنتي وهي فطيم، وقال رافع: ابنتي، فأقعد النبي ﷺ الأم ناحية والأب ناحية، وأقعد الطفلة بينهما، وقال لهما: ادعواها، فمالت الطفلة إلى أمّها، فقال ﷺ: اللهمّ اهدها، فمالت إلى أبيها فأخذها(529)، وقولها «فطيم» أي مفطومة عن الرضاع «أو شبهه» أي تشبه الفطيم لصغرها. وقد وُفّق الغلام أو الجارية لاختيار الأمثل ببركة دعائه ﷺ(530). ومع أنه صحّ أنهما قضيّتان مرويّتان مِن طريقين، إلا

---

(526) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 69، ج. 8، ص. 16-17؛ ابن خيّاط، **كتاب الطبقات**، ص. 21؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 3، ص. 32؛ الزبيري، **المصدر السابق**، ص. 317؛ الفاكهي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 237.

(527) ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 1، ص. 436، ح. (1). انظر كذلك: أبا زرعة العراقي، **المصدر السابق**، ص. 240-241؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 128-129؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 70-71؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 3، ص. 33.

(528) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 303؛ الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 100-101، رقم: 3089. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 133؛ ابن قدامة المقدسي، **الاستبصار في أنساب الأنصار**، ص. 337.

(529) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 10، ص. 162، رقم: 9111، ج. 11، ص. 377، رقم: 11506؛ أبو أحمد الحاكم، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 17؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 39، ص 167، رقم: 23756، ص. 168، رقم: 23757؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 8، ص. 3-4؛ الدَّارَقُطْني، **السنن**، ج. 4، ص. 43-44؛ الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 101، رقم: 3090.

(530) وقد رأى بعض الفقهاء في الحديث دليلاً على عدم جواز حضانة أحد الأبوين غير المسلمين للطفل الصغير، بينما يرى آخرون جواز أن تتولاه أمّه على كفرها، وأنّ الأَوْلَى أن يتولاه المسلم، وهو الأحوط. ومَن رأى عدم الجواز كان بسبب أن الكافر يفتن هذا الطفل عند دينه ويخرجه عن الإسلام بتعليمه الكفر، وتزيينه له وتربيته عليه. ونظراً إلى اختلاف الروايتين رأى بعض العلماء أنّهما قضيّتان خُيِّر في إحداهما غلام وفي الأخرى جارية. (انظر: ابن —

أن راويهما هو عبد الحميد الأنصاري الذي ربما روى عن طريق جدّه لأبيه، وعن طريق جدّه لأمّه. ولا يُستبَعد أن تكون الأمّ كتابية، والأرجح أنّها كانت نصرانية بدليل أن بعض العلماء احتج بهذا الحديث في موضوع أن الذمّيّة أحقّ بولدها المسلم ما لم يعقل الأديان، أو يخاف أن يألف الكفر(531). ووضع الإمام عبد الرزاق هذا الحديث تحت باب: المسلم له الولد مِن نصرانية(532)، مما يشير إلى اعتقاده أن هذه الأمّ كانت نصرانية.

أمّا فيما يتعلّق بحادثة التخيير، وهل كان المُخَيَّر غلاما أم جارية، ومَن هو صاحب الحادثة هل هو رافع بن سنان أم يزيد الأنصاري؟ فأرى- والله أعلم- أن الأصح في النسب، وأنّ صاحب الحادثة هو شخص واحد؛ وهو رافع بن سنان الأنصاري، وأنّه كان له مِن زوجته النصرانية غلام وجارية، وكان الغلام اسمه الحكم، في سنّ أقل مِن سبع سنوات، وأنّ الجارية واسمها عميرة كانت في سنّ الفطام، وكلاهما خيّرهما النبي ﷺ. ومما يدلّ على ذلك أن كتب الصحابة تذكر الصحابي رافع بن سنان، وتورد ولده الحكم وابنته عميرة ضمن الصحابة(533). ومما يدلّ على أن الغلام كان هو الحكم نفسه راوي الحادثة؛ ما ورد في إحدى

= حجر العسقلاني، تلخيص الحبير، مج. 4، ص. 1305، 1306، رقم: 1669؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، مج. 3، ص. 141-142، مج. 3، ص. 304؛ ابن قُطْلُوبُغَا، **المصدر السابق**، ص. 281-283؛ أمين محمود خطّاب، **فتح الملك المعبود تكملة المنهل العذب المورود**، القاهرة، 1959، ج. 3، ص. 224؛ الزيلعي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 269-271؛ السهارنفوري، **المصدر السابق**، ج. 10، ص. 386-388؛ الحافظ المزِّي، **تحفة الأشراف**، ج. 2، ص. 162-163.)

(531) البنّا الساعاتي، **المصدر السابق**، ج. 17، ص. 64؛ الخطّابي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 262؛ العيني، **البناية في شرح الهداية**، بيروت، 1990، ج. 5، ص. 481، 483—484؛ المرغيناني، **الهداية شرح بداية المبتدي**، باعتناء أيمن صالح شعبان، القاهرة، 1995، ج. 3، ص. 551—552.

(532) **المصنّف**، ج. 7، ص. 160—161، 12616.

(533) انظر: أبا نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 2، ص. 720، رقم: 590، 1051 رقم: 912، ج. 6، ص. 3397، رقم: 3955؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 585، مج. 2، ص. 40، مج. 6، ص. 208؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 88، 365 ج. 8، ص. 248-249؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 61؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، 173، 234، مج. 2، ص. 290؛ المؤلف نفسه، **الكاشف**، ج. 1، ص. 255؛ الحافظ المزِّي، **تهذيب الكمال**، ج. 16، ص. 432-433. لمعرفة نسب عبد الحميد بن جعفر وتوثيقه، انظر كذلك: أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، **معجم شيوخ الطبري**، عَمان، 2005، ص. 304؛ المؤلف نفسه، **المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير**، عَمان، 2005، مج. 1، ص. 275-276؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 961؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 142؛ الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، مج. 6، ص. 10.

روايات القصة– مع ضعف في السند– مِن أن الحادثة وقعت للحكم نفسه[534]، ومما يشير إلى وجود نوع مِن الاهتمام الديني لدى هذه الأسرة ويشي بوجود نوع مِن التأثير الديني الكتابي ما رواه أبو نعيم الأصفهاني[535]: عن عمر بن الحكم بن رافع بن سنان عن بعض عمومته وآبائه: أنّه كانت عند الأسرة ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الإسلام، فلما قدِم النبي ﷺ المدينة جاؤوا بها إليه، فقرأت عليه، فإذا فيها: بسم الله وقوله الحق، وقول الظالمين في نبأ، هذا ذِكر لأمّة تأتي آخر الزمان يأتزرون على أوساطهم ويغسلون أطرافهم، ويخوضون البحار إلى أعدائهم، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أُهلكوا بالطوفان، ولو كانت في عاد ما أُهلكوا بالريح، ولو كانت في ثمود ما أُهلكوا بالصيحة، بسم الله وقوله الحق. فقال رسول الله ﷺ: ضعوها ما بين ظهري ورق المصحف. وعلى الرغم مِن أن بعض الرواة فيهم مقال وجهالة، وهو قوله «بعض عمومتي وآبائي»، وغرابة في بعض ألفاظه ولاسيما القول المنسوب إلى النبي ﷺ؛ إلا أنّنا نذكر هذه الرواية مِن قَبيل الاطلاع والإحاطة بالموضوع وليس بالضرورة الاعتقاد بصحتها.

ومِن الذين كانت أمّهاتهم نصرانيات أبو وائل شقيق بن سلمه الأسدي، الذي أدرك

---

(534) الطحاوي، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 104، رقم: 3093.

(535) **معرفة الصحابة**، ج. 2، ص. 720-721 رقم: 590. وسند الرواية هو: عن أبي سعيد بن الأعرابي عن عباس بن محمد الدوري عن سعد بن عبد الحميد بن جعفر عن ابن أبي الزناد (وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن ذكوان) عن عبد الرحمن بن الحارث بن عيّاش بن أبي ربيعة عن عمر بن الحكم. ولمزيد مِن التفاصيل حول أحوال هؤلاء الرواة انظر: أبا أحمد الحاكم، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 214؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 231، 294، 338، 340، 411؛ المؤلف نفسه، **تهذيب التهذيب**، مج. 3، ص. 141—142 مج. 3، ص. 82—83، 284، ج. 4، ص. 263—264؛ الحسيني، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 948، 979—850؛ أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، **معجم شيوخ الطبري**، ص. 295؛ المؤلف نفسه، **المعجم الصغير لرواة الإمام ابن جرير**، مج. 1، ص. 190، 271، 280، 405؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 407، مج. 2، ص. 156؛ محمد صبحي بن حسن حلّاق، **المرجع السابق**، ص. 219، 300، 340، 342. أمّا أبو سعيد بن الأعرابي فهو أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم العبدي البصري، نزيل مكة وشيخها، حدّث عن الإمام أبي داود السجستاني بكتاب **السنن**. وكان في وقته شيخ الحرم المكي. وتوفي عام 340 أو 341هـ. وله العديد مِن المؤلفات في الحديث والتاريخ والتراجم. (انظر: ابن العماد الحنبلي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 61—62؛ تقي الدين الفاسي المكي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 88؛ خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 1، ص. 208؛ الذهبي، **تذكرة الحفّاظ**، مج. 2، ج. 3، ص. 47-48؛ محمد الحبيب الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، مكة، 1994، ص. 25-27).

الجاهلية، قيل: إنّه وُلد في السنة الأولى مِن الهجرة، وأسلم ولكنّه لم يَلقَ النبي ﷺ، وكانت أمّه نصرانية، وسكن الكوفة، وكان مِن ثقات التابعين. وروى عن الخلفاء الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن سعد بن أبي وقّاص وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وأبي موسى الأشعري والمغيرة بن شعبة وعائشة أم المؤمنين وأمّ سلمة أم المؤمنين(536). ولمّا توفيت أمّه أتى أبو وائل الخليفة عمر، فذكر له ذلك، فقال له: اركب دابّة وسر أمام جنازتها(537). ويحتمل أنّه قدِم المدينة مع أمّه بُعيد وفاة النبي ﷺ، وأقامت في المدينة إلى حين وفاتها في خلافة عمر.

ويروي يزيد بن قتادة العَنَزي: تُوفيت أمّي وهي نصرانية، (وفي رواية أن رجلاً، وقيل: إنساناً مِن أهله مات وهو على غير دين الإسلام، وكونها امرأة أصح)، وأنا مسلم، وإنّها تركت ثلاثين عبداً ووليدة و200 نخلة، فركبنا إلى عمر بن الخطاب، فقضى عمر أن ميراثها لزوجها ولابن أخيها، وهما نصرانيّان، ولم يورّثني شيئاً. ثم توفي جدّي (وفي رواية أنّه أبوه) وهو مسلم، وكان بايع النبي عليه الصلاة والسلام وشهد معه خيبراً وقيل: حنيناً، وترك ابنته، فركبنا في ذلك إلى عثمان، أنا وابن أخيه وابنته النصرانية، فورّثني عثمان ماله كلّه،كان نخلاً وغلاماً، ولم يورّث ابنته شيئاً ثم أنّها أسلمت فخاصمتني في الميراث إلى عثمان، فحدّثه عبد الله بن الأرقم أن عمر قضى أن مَن أسلم على ميراث قبل أن يُقسَم فله نصيبه، فقضى به عثمان، فذهبت بالميراث الأول وشاركتني في هذا(538). ويزيد بن قتادة ذُكر في الصحابة،

(536) ابن حبّان، **كتاب الثقات**، مج. 2، ص. 219؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 23، ص. 152؛ أبو زرعة العراقي، **المصدر السابق**، ص. 192-193؛ البسوي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 194؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 506؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 6، ص. 14.

(537) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 3، ص. 348؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 23، ص. 164.

(538) انظر: أبا نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 5، ص. 2799، رقم: 3069؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 85، 701؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 5، ص. 320؛ ابن عبد البر، **التمهيد لِمَا في الموطّأ من المعاني والمسانيد، المحمديّة**، 1982، ج. 2، ص. 57؛ ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 2، ص. 844-845؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 12، 139؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 22، ص. 243، رقم: 635؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 6، ص. 26، رقم: 9894. انظر كذلك: ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، مج. 9، ص. 348؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 14، ص. 494. قال ابن حجر الهيثمي عن الحديث: رواه الطبراني ورجاله رجال **الصحيح** خلا حسّان بن بلال وهو ثقة. (**مجمع الزوائد**، ج. 4، ص. 226.) وانظر كذلك تعليق محَقِّقَي كتاب **أحكام أهل الذمّة** على الحديث.

وقيل: في صحبته نظر(539).

وبما أنه كان في المدينة أتباع لأكثر دين ولا سيما اليهود والنصارى، ولتكرار قضايا التوارث بين المسلمين وبين أقاربهم مِن اليهود والنصارى؛ ورد عن النبي ﷺ قوله: لا يتوارث أهل ملّتين شتّى، وفي رواية: لا يتوارث أهل مِلَّتين مختلفتين، أو لا يتوارث المِلّتان المختلفتان، أو لا يرث الرجل غير أهل مِلّته إلا أن يكون عبد رجل أو أَمَته. وفي رواية: لا نرث أهل الكتاب ولا يرثونا إلا الرجل يرث عبده أو أَمَته. وفي رواية: لا يرث المسلم النصراني إلا أن يكون عبده أو أَمَته، وقضى بأنه لا يتوارث المسلمون والنصارى، وكذلك قضى الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان(540).

روى زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب يقول لعجوز نصرانية أسلمي أيّتها العجوز تسلمي، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحقّ. قالت: أنا عجوز كبيرة والموت لي قريب، قال عمر: اللهم فاشهد، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(541) (البقرة: 256) وتكتفي الرواية بهذه التفاصيل من دون تبيين أين كان هذا الحديث بين الخليفة عمر وبين هذه العجوز؟ ومَن تكون؟ وما هو أصلها؟ ونفترض أن هذا اللقاء كان في المدينة وليس في الشام مثلاً؛ لأنّ الشام آنذاك كان كثير مِن أهلها على النصرانية. أمّا مَن هي فلم تزودنا الرواية بذلك، وفي رأيي أن هذه المرأة النصرانية مِن بقايا

(539) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 5، ص. 320، ج. 6، ص. 525؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 4، ص. 140؛ أبو زرعة العراقي، **المصدر السابق**، ص. 583؛ مغطاي، الإنابة، ج. 2، 252.

(540) لمعرفة هذه الروايات وتخريجها، انظر: أبا داود، **السنن**، كتاب: الفرائض، باب: هل يرث المسلم الكافر، رقم: 2911؛ ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 11، ص. 370، رقم: 11483، ص. 373، رقم: 11495؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 11، ص. 245، رقم: 6664، ص. 433، رقم: 6844؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 6، ص. 218؛ الحاكم، **المستدرك**، ج. 4، ص. 345 (وعلّق الحاكم على حديث: لا يرث المسلم النصراني.... بقوله: صحيح، وأقرّه الذهبي)؛ الدَّارُقُطْني، **السنن**، ج. 4، ص. 74، رقم: 22، ص. 75، رقم: 24؛ الدارمي، **السنن**، مج. 2، ص. 465، أرقام: 2991، 2994، 2994؛ عبد الرزاق، **المصنّف**، ج. 6، ص. 16، رقم: 9857، ص. 19، رقم: 9871، ج. 10، ص. 341، رقم: 19305؛ النسائي، **السنن الكبرى (الموسوعة الحديثية)**، ج. 6، ص. 125، 125–127، رقم: 6349، 6356. وقال محقّقو **المسند** عن حديث لا يتوارث أهل ملّتين شتّى أنّه حسن لغيره. وعلّق محقّق سنن الدَّارْقُطْني على الحديث نفسه بقوله: الحديث أخرجه النسائي والحاكم مِن طريق أبي الزبير عن جابر، وأعلّه ابن حزم بتدليس أبي الزبير؛ ولكنّه مردود فقد أخرجه عبد الرزاق عن ابن جريج عن أبي الزبير أنه سمع جابراً.

(541) ابن النّحّاس، **الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم**، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، القاهرة، 1986، ص. 98.

نساء أهل الكتاب في المدينة، ولا أستبعد أنّها كانت منذ العهد النبوي، وربما قبل الهجرة، ولا سيما أن المرأة كانت كبيرة في السنّ تترقّب الموت.

ولم أتمكّن مِن العثور على معلومات واضحة تفيد كيف تعامل النبي ﷺ ماديّاً مع النصارى المقيمين في المدينة. ويشير حديث عند البيهقي[542] إلى أن النبي ﷺ فرض على شخص نصراني كان مقيماً في مكة يدعى أبا موهب (أو موهب) ديناراً، وكان ذلك قبل السنة التاسعة للهجرة، ويحتمل أن هذا الشيء نفسه كان يجري مع النصارى المقيمين في المدينة، وهذه الجزية على الأحرار المستوطنين فقط؛ أمّا العبيد فلا جزية عليهم، لأنّهم تبع لسادتهم، ولأنّهم لا يملكون شيئاً كما تذكر كتب الفقه[543]. أمّا التعامل الإنساني مع النصارى المقيمين أو الزائرين فكان بالحسنى كما أشرنا سابقاً، ونضيف أيضاً ما رواه أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا عاد رجلاً على غير الإسلام لم يجلس عنده، قال:

---

(542) **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 195. وانظر، الشافعي، **كتاب الأم (موسوعة الإمام الشافعي)**، مج. 5، ص. 76. وذكر البيهقي رواية عن الشافعي في **السنن الكبرى** (ج. 9، ص. 195) وفي **السنن الصغرى** (ج. 4، ص. 6) وفي معرفة **السنن والآثار** (مج. 14، ص. 371) أن النبي ﷺ أخذ مِن نصارى بمكة ديناراً عن كلّ إنسان. انظر كذلك: الشافعي، **كتاب الأم (موسوعة الإمام الشافعي)**، مج. 5، ص. 74؛ الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج. 8، ص. 346، 388. وقد أورد البيهقي حديث موهب في معرفة **السنن والآثار** (مج. 14، ص. 374) بسند فيه: أبو الحويرث ومحمد بن إبراهيم؛ فالأول هو: عبد الرحمن بن معاوية الزرقي المدني، قال عنه مالك والنسائي: ليس بثقة. وقال عنه ابن معين: ليس يُحتَجّ بحديثه. وقال ابن عدي: ليس له كثير حديث، ومالك أعلم به لأنّه مدني، ولم يَروِ عنه شيئاً. توفي عام 130 هـ. (انظر: ابن أبي حاتم، **كتاب الجرح والتعديل**، مج. 5، ص. 345-346؛ ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ج. 2، ص. 100؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 350؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 501-502؛ الذهبي، **الكاشف**، ج. 2، ص. 180؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 4، ص. 319؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 17، ص. 414-416.) والثاني هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي: كذّبه مالك ويحيى بن سعيد ويحيى بن معين. وقال عنه مالك: ليس بذلك في دينه، وكان ينهى عن الحديث عنه. وقال الإمام أحمد: لا يُكتب حديثه ترك الناس حديثه، كان يروي أحاديث منكرة ليس لها أصل، وكان يأخذ حديث الناس يضعها في كتبه. وقال عنه البخاري: تركه ابن المبارك، وكان يرى القدر، وكان جهمياً. وقال الذهبي: أحد العلماء الضعفاء، وقال عنه الخزرجي: أحد الأعلام على ضعفه. توفي عام 184 هـ. وقد وثّقه الشافعي، وكان حَسن الرأي فيه. (انظر: ابن أبي حاتم، **كتاب الجرح والتعديل**، مج. 1، ص. 73-74؛ ابن الجوزي، **كتاب الضعفاء والمتروكين**، ج. 1، ص. 51؛ ابن حبّان، **كتاب المجروحين**، مج. 1، ص. 102-104؛ ابن حجر العسقلاني، **تقريب التهذيب**، ص. 93؛ ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 353 فما بعدها؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 1، ص. 306؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 57؛ الذهبي، **المُغني في الضعفاء**، مج. 1، ص. 44؛ المؤلف نفسه، **الكاشف**، ج. 1، ص. 48؛ المؤلف نفسه، **ميزان الاعتدال**، ج. 1، ص. 182-186؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 2، ص. 184-191.)

(543) انظر: الماوردي، **الحاوي الكبير**، ج. 8، ص. 356، 386؛ النووي، **روضة الطالبين**، مج. 7، ص. 491.

كيف أنت يا يهودي؟ كيف أنت يا نصراني؟ بدينه الذي هو عليه. وفي رواية: إذا عاد يهودياً أو نصرانياً، قال: كيف أنتَ؟ فيقول: صالح. فيقول النبي ﷺ: جعلك الله صالحاً، ثم يخرج فلا يقعد عنده[544]. وروى الطبراني عن الصحابي عبد الرحمن بن ثوبان أن رسول الله ﷺ قال في خطبته، (وفي رواية: في آخر خطبة خطبها): إن هذه القرية (يعني المدينة) لا يصلح فيها قبلتان (وفي رواية: مِلّتان)، فأيّما نصراني أسلم ثم تنصّر فاضربوا عنقه[545]، والحديث يشير إلى وجود نصارى في المدينة، وأنّهم كانوا يسلمون، وربما ارتدّ بعضهم عن الإسلام، فكانت عقوبتهم القتل على الردّة.

دلالات الأسماء الشخصية:

للأسماء أهمّية كبيرة في تعيين مقدار أثر اليهودية والنصرانية في عرب قبل الإسلام، وعلى الرغم مِن أن لهذه الأسماء ارتباطاً بأديان حامليها؛ إلا أنّه ليس بالضرورة أن مَن سمي بها هو على دين اليهود أو النصارى. وللبيئة ولبعض العادات والاعتقادات أحياناً علاقة في

(544) البيهقي، **الجامع لشعب الإيمان**، ج. 16، ص. ص. 253، رقم: 8803؛ الطبراني، **كتاب الدعاء**، تحقيق: محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، بيروت، 1987، مج. 3، ص. 1337، رقم: 1139. انظر كذلك: ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 1، ص. 431. انظر كذلك: **فتاوي الإمام محمد رضا**، مج. 1، ص. 328. وأشار الشيخ محمد رشيد رضا إلى ضعف الحديث، وعزا إخراجه إلى البيهقي عن أنس بن مالك. وأشار محقّق الجامع إلى ضعف إسناد الحديث؛ ففي إسناده محمد بن سعيد الأنصاري الحراني البزّاز، شيخ مِن الحادية عشرة، وذكره ابن حبّان في الثقات. وفيه سيعد بن ميسرة القيسي البصري، أبو عمران البكري، منكر الحديث، كذّبه يحيى بن معين. وعلّق أيضاً بقوله: لم أجد مَن خرّج هذا الحديث بهذا الوجه. وعلّق الشيخ محمد رشيد رضا على هذا الحديث بقوله: حديث ضعيف، لا يحتجّ به. (**الفتاوي**، مج. 1، ص. 328.) وقال محقق **كتاب الدعاء**: إسناده ضعيف جدّاً. وقال محقّقا **أحكام أهل الذمّة** لم نهتدِ إلى مَن أخرجه مِن أهل العلم في تصانيفهم. وأشارا إلى ضعف الحديث مِن أجل سعيد بن ميسرة. وقد أشرنا إلى أن الحديث أخرجه البيهقي في الشعب. حول أقوال علماء الجرح والتعديل في سعيد بن ميسرة، انظر: ابن عدي، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 438-440؛ البخاري، **كتاب الضعفاء الصغير**، ص. 106؛ الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج. 3، ص. 233.) وذكر الصالحي أن حديث أنس هذا اعتمد عليه كثير مِن النّاس. (**المصدر السابق**، ج. 12، ص. 114.)

(545) ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 12، ص. 271، رقم: 12797. وذكره المتقي الهندي في **كنز العمّال** (ج. 12، ص. 250، رقم: 34902) وعزا إخراجه إلى الطبراني في الكبير. قال ابن حجر الهيثمي: رواه الطبراني وفيه مَن لم أعرفه. (**مجمع الزوائد**، ج. 6، ص. 264.) انظر كذلك: أبا نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 4، ص. 1849. رقم: 1866؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 325.

اختيار الأسماء، وربما عدت أسماء مِثل داود وعيسى وسليمان شاهداً على بعض التأثيرات النصرانية(546). وما سنذكره مِن أسماء ليس مِن قَبيل الجزم بأنّ حامليها كانوا نصارى؛ وإنّما نذكرها كإشارة إلى معرفة حامليها بأسماء النصارى(547)، أو أن مَن سمي بها كان يطلب البركة والتشبّه بأصحابها الأصليين، ويُفهم مِن حديث للمغيرة بن شعبة شيئاً مِن ذلك فيقول: بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران، فقالوا: فيم قالوا: أرأيتَ ما تقرؤون (وفي رواية: إنّكم تقرؤون) يا أخت هارون، وقد كان بين عيسى وموسى ما قد علمتم، (وفي رواية: وموسى قبل عيسى بكذا وكذا) قال: فأتيتُ النبي ﷺ فأخبرته، فقال: أَفَلا أخبرتهم أنّهم كانوا يسمّون بأسماء أنبيائهم والصالحين الذين كانوا قبلهم. (وفي رواية: إنّهم كانوا يسمّون بأنبيائهم والصالحين قبلهم)(548). وقد استدلّ العلماء مِن هذا الحديث على جواز التسمية بأسماء الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وقد سمّى النبي ﷺ ابنه: إبراهيم، وكان في أصحابه رجال مسمّون بأسماء الأنبياء ولم ينكر عليهم(549). ومِن أمثلة ذلك أسماء: إبراهيم، ومَن اشتهر بهذا الاسم مِن أهل المدينة: إبراهيم بن عبّاد بن إساف بن عدي بن زيد بن جشم

(546) لطفي عبد الوهاب يحيى، **المرجع السابق**، ص. 392. انظر كذلك: حسن ظاظا، «المجتمع العربي قبل الإسلام مِن خلال اللغة»، في كتاب: **دراسات الجزيرة العربية: ك. 2**، ج. 2، ص. 183، 148.

(547) جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 682.

(548) مسلم، **الصحيح**، كتاب: الآدب، باب: النهي عن التكنّي بأبي القاسم وبيان ما يستحبّ مِن الأسماء، ج. 3، ص. 550—551، رقم: 2135. انظر كذلك: ابن بلبان، **المصدر السابق**، مج. 14، ص. 142-143، رقم: 6250؛ الإمام أحمد، **المسند**، ج. 30، ص. 141، رقم: 18201؛ البَغَوي، **التفسير**، ج. 4، ص. 231؛ البيهقي، **دلائل النبوة**، مج. 5، ص. 298، رقم: 2111؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 20، ص. 411، رقم: 986؛ النسائي، **السنن**، تحقيق: البنداري وكسروي، كتاب: **التفسير**، باب: سورة مريم، ، ج. 6، ص. 393، رقم: . وقد ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله: تسمّوا بأسماء الأنبياء. وفي رواية: سمّوا أولادكم أسماء الأنبياء. (أبو داود، **السنن**، كتاب: الأدب، باب: في تغيير الأسماء، ج. 4، ص. 287-288، رقم: 4950؛ أبو زرعة العراقي، **المصدر السابق**، ص. 328؛ البخاري، **الأدب المفرد**، مج. 2، ص. 437، رقم: 814؛ المؤلف نفسه، **التاريخ الكبير**، مج. 8، ص. 390؛ البَغَوي، **شرح السنّة**، ج. 12، ص. 334؛ الدولابي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 104، رقم: 1./385.) والحديث صحيح. ويبدو أن المغيرة نفسه قد تكنّى بأبي عيسى بعد زيارته لنجران، وقول النبي ﷺ له ذلك. (حول كنية المغيرة، انظر: ابن حبّان، **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، ص. 43؛ ابن منده، **المصدر السابق**، ص. 460، رقم: 4169؛ الدولابي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 156، رقم: 1./540.)

(549) صدّيق بن حسن القنوجي البخاري، **السراج الوهّاج**، ج. 8، ص. 174؛ القاضي عياض، **إكمال المُعلم**، ج. 7، ص. 10، النووي، **شرح صحيح مسلم**، ج. 14، ص. 2626.

بن حارثة الأنصاري الحارثي، شهد أُحداً[550]. ويحيى أيضاً هو اسم أعجمي، وهو بالعبرانية أو بالسريانية صادف بناءً واشتقاقاً في العربية، وهو اسم عَلَم لا ينصرف[551]. ومَن سمي يحيى مِن الصحابة يحيى بن أسعد بن زرارة الأنصاري، المولود قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة، وقد توفي أبوه في السنة الأولى مِن الهجرة[552]. ويحيى بن ثابت بن قيس بن شماس[553]. وأيّوب وهو اسم عبراني يعني «المضطهد أو الفقير أو المبتلى مِن الشيطان أو الراجع والتائب»[554]، وأشهر مَن حمل هذا الاسم هو أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري، وهو مشهور بكنيته[555]. وعيسى؛ وأشهر مَن تكنّى بهذا الاسم هو أسيد بن الحضير الأنصاري الصحابي المشهور. وقيل: إنّه تكنّى أيضاً أبا يحيى[556].

وعمرو بن حَنّة الأنصاري، وهو مختلف في اسمه[557]، وعُرف الصحابي عمرو بن غزية النجّاري الأنصاري بأبي حَنّة، وقيل: إن ثابت بن النعمان بن أمية الأوسي الأنصاري كان يكنّى أبا حَنّة. وقيل: مالك بن عمرو بن ثابت الأنصاري[558]، وحَنّة هي أم مريم عليها

(550) ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 1، ص. 158؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 2.

(551) الآلوسي، **روح المعاني**، مج. 2، ص. 234؛ ابن جزي الغرناطي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: رضا فرج المهماي، بيروت، 2003. **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 247؛ البِشْبِيشي، **المصدر السابق**، ص. 328؛ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: فوّاز أحمد زمرلي، بيروت، 1999، ج. 2، ص. 298؛ Jeffery, A., op.cit., pp. 290-291.

(552) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 6، ص. 503، 504.

(553) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 6، ص. 544.

(554) حسن نور الدين، **المرجع السابق**، ص. 200، 235؛ **قاموس الكتاب المقدّس**، تحرير: بطرس عبد الملك وجون الكساندر طمن وإبراهيم مطر، القاهرة، 1997، ص. 146. انظر كذلك: ابن بَرِّي، **المصدر السابق**، ص. 28؛ Jeffery, A., op.cit., p 37.

(555) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 199-200؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 9، ج. 4، ص. 169؛ أبو أحمد الحاكم، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 266؛ أبو نعيم، **معرفة الصحابة**، ج. 5، ص. 2817، رقم: 3093.

(556) ابن حِبّان، **كتاب مشاهير علماء الأمصار**، ص. 13؛ ابن منده، **المصدر السابق**، ص. 270، رقم: 2304؛ الدولابي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 176، رقم: 1/599؛ الذهبي، **المقتنى في سرد الكنى**، ج. 1، ص. 444، رقم: 4854.

(557) أورد ابن الأثير (**أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 715) هذه الصيغة وذكر أن الطبراني أوردها في معجمه (**المعجم الكبير**، ج. 17، ص. 37) بالصيغة نفسها. انظر كذلك: ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 4، ص. 516-517.

(558) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 5، ص. 65؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 1، ص. 512، ج. 7، ص. 71؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 444؛ ابن ماكولا، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 321، 322؛ الدَّارَقُطْنِي، **المؤتَلِف والمختلف**، مج. 2، ص. 385 ،582؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 65، مج. 2، ص. 46، 157؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 164؛ القيسي الدمشقي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 82، 83.

السلام[559]، ويقول القرطبي: إن اسم حَنّة ليس بعربي، ولا يُعرف اسم امرأة في العرب حملت هذا الاسم[560]، ويحتمل أيضا أن اسم «حَنّة» تحريف مِن اسم يوحنا، وكان حاكم أيلة الذي صالحه النبي ﷺ يدعى يوحنّا أو يُحنّة بن رُوْبَة[561]. وجُريج (وقيل: خَديج)، أبو شاة (وقيل: أبو شباث)، بن سلامة (أو سالم) بن أوس بن عمرو بن كعب بن القُراقر بن الصَّحبان (أو الضَّحيان) مِن بلي، حليف بني حرام بن كعب مِن الأنصار، شهد العقبة الثانية وبايع فيها، ولم يشهد بدراً ولا أحداً وشهد ما بعدهما[562]، وجريج اسم رومي نصراني

---

(559) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 30؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 163؛ ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 13، ص. 160؛ الدَّارَقُطْني، **المؤتَلِف والمختلف**، مج. 2، ص. 584؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 513؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 433. وحُن بطن مِن بني عذرة، وممن عُرف بهذا الاسم حُن بن زيد العذري. (ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 13، ص. 161؛ أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، مج. 10، ج. 9، ص. 18، 129؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 166.) وهناك ديران باسم حَنّة كلاهما في منطقة الحيرة؛ الأول مِن بناء تنوخ ذكره الشاعر الكوفي محمد بن عبد الرحمن الثرواني في قوله: (يومي بهيكل دير حنّة لم يزل / غر السحاب تجود فيه وتمرع). كما أشار إليه الشاعر المشهور أبي نواس بقوله:
(يا دير حَنّة مِن ذات الأُكَيْراج / مَن يَصْحُ عنك فإنّي لستُ بالصاحي). والثاني المعروف بدير حنّة الكبير الذي بُني حين بُنيت الحيرة، وكان مِن أنزه الأديرة لكثرة بساتينه وتدفّق مياهه. (انظر: أبا عبيد البكري، **معجم ما استعجم**، مج. 1، ج. 2، ص. 191-192؛ أبا نواس، **الديوان**، تقديم وشرح: علي نجيب عطوي، بيروت، 1995، ص. 89؛ ابن فضل الله العمري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 394-304، 395—406؛ ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، 2، ص. 576.) ثمة معانٍ أخرى للفظة «حنن» في اللغة العربية. (انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مج. 13، ص. 154-159؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 163 فما بعدها؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 432-433.)

(560) **التفسير**، مج. 2، ج. 5، ص. 70. وقد تسمّت باسم حَنّة عدد مِن النساء الأوربيات. (انظر: زينب بنت علي بن حسين فوّاز العاملي، **معجم أعلام النساء**، تحقيق: منى زياد الخرّاط، بيروت، 2000، ص. 280، 281، 282، 283، 284، 286، 288.)

(561) ابن شاكر الكتبي، **المصدر السابق**، ص. 487؛ ابن كثير، **الفصول في سيرة الرسول ﷺ**، ص. 212؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 142؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 165؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 433. وآل حَنّا أسرة قبطية مصرية مشهورة دخلت الإسلام، وتبوّأ أفرادها مراتب عليا في الدولة المملوكية. وكانوا مِن الكتّاب المشهورين. (انظر: خير الدين الزركلي، **المرجع السابق**، ج. 7، ص. 32؛ الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 167؛ الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص. 433.) وثمة دير بظاهر الكوفة يُعرف بدير حنّا. (الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 18، ص. 167.)

(562) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 1، ص. 379، 686—687؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 230؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 4، ص. 400؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 82.

معروف[563]، وقيل: إن المقوقس حاكم مصر كان اسمه جريج[564]، ويحتمل أن الاسم تحريف مِن جريجوريس.

وشمعون؛ وأشهر مَن سميٍّ بهذا الاسم مِن أهل المدينة هو أبو ريحانة شمعون بن زيد (أو يزيد) الأنصاري الأزدي، وقيل: هو مِن موالي الأنصار، ويقال: إنّه كان مولى رسول اللهﷺ، وهو مشهور بكنيته، وقيل: اسمه سمعون، وقيل: شمغون، وشمعون أصح[565].

---

(563) ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 6، ص. 594؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 5، ص. 265؛ الذهبي، **تذكرة الحفّاظ**، مج. 1، ج. 1، ص. 128؛ القيسي الدمشقي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 298؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 18، ص. 933، 338).

(564) ابن ماكولا، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 66؛ الدَّارْقُطْنِي، **المؤتَلِف والمختلف**، ج. 1، ص. 533؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 92.

(565) اختلف الرواة والمؤرخون ومصنّفو السيرة حول اسم شمعون، وقد فرّق بعضهم بين شمعون وبين أبي ريحانة، ومِنهم مَن وحّد بينهما. وعلى الرغم مِن أن ابن عبد البر قد جزم بأن شمعون مِن بني قريظة، وأنّه هو والد ريحانة سرية رسول الله ﷺ التي اصطفاها مِن سبي بني قريظة؛ إلا أنّه في كتابه **الدرر** سمّاها: ريحانة بنت عمرو بن خُنافة. وجزم أيضا أن رسول الله ﷺ قد أمر بقتل كل مَن أنبتَ مِن بني قريظة وترك مَن لم ينبت. وصحّ عن ابن عمر أن نفراً مِن بني قريظة أسلموا فأمّنهم الرسول ﷺ. وأكّد السهيلي أن الإنبات أصل في معرفة البلوغ، فكيف يكون شمعون والد ريحانة؟ وحتى مَن أسلم مِن بني قريظة لم يكن مِنهم مَن اسمه شمعون، مما يؤكّد أنّه لم يكنْ مِن يهود المدينة. ويبدو أن مصدر الخلاف هو الاختلاف في نسب ريحانة، والراجح أنّها ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن شمعون بن زيد. وحتى مَن قال إن ريحانة بنت شمعون كانت مِن بني النضير بمعنى أن شمعون قد أسلم، ولكن مِن الثابت أنّه لم يسلم مِن بني النضير غير سعد بن وهب وسفيان بن عمير. (انظر: أبا نعيم الأصفهاني، **حِلية الأولياء**، مج. 2، ص. 35؛ المؤلف نفسه، **معرفة الصحابة**، ج. 3، ص. 1488، رقم: 1438؛ ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، مج. 4، ص. 351؛ ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 286-287 ،مج. 5، ص. 129؛ ابن إسحاق، **المصدر السابق**، ص. 251، فقرة: 406؛ ابن الجارود، **المصدر السابق**، ص. 348-349، رقم: 1045؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 74، 106، 154، 289، 290، ج. 8، ص. 146؛ المؤلف نفسه، **تقريب التهذيب**، ص. 268؛ ابن الجوزي، **صفة الصفوة**، تحقيق: محمود فاخوري، بيروت، 1979، مج. 1، ص. 147؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 10، ص. 125، 126؛ ابن سيّد النّاس، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 98—99، 103، 384، 390، 393؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 2، ص. 268؛ المؤلف نفسه، **الدّرر في اختصار المغازي والسير**، ص. 181، 182؛ ابن قانع، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 2517؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 3، ج. 5، ص. 316، 328، 350؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 194، 199، 200؛ البخاري، **التاريخ الكبير**، مج. 4، ص. 217؛ أبو إسحاق الحويني الأثري، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 299-200؛ البسوي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 269؛ الخزرجي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 511؛ الخطيب البغدادي، **الأسماء المبهمة**، ص. 227؛ الدَّارْقُطْنِي، **المؤتَلِف والمختلف**، ج. 3، ص. 1321، 1323؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 259، مج. 2، ص. 167، 270؛ المؤلف نفسه، **الكاشف**، ج. 2، ص. 15؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج. 1، ص. 445؛ السهيلي، **الروض الأُنف**، مج. 3، ص. 448؛ الصالحي، **المصدر السابق**،=

وهو اسم نصراني معروف، وسميٌّ به عدد مِن رموز النصارى وأعلامهم على مرّ التاريخ[566]، وإن كان أيضاً مشهوراً لدى اليهود. وميناء أو مينا، أحد موالي الأنصار، كان غلاماً لأبي عامر الراهب، فوهبه لأبي سفيان بن حرب، فوهبه أبو سفيان (وقيل: باعه) للعبّاس بن عبد المطّلب، فأعتقه؛ وشهد مينا تبوك مع النبي ﷺ. وقيل: إنّه أحد الذين صنعوا المنبر لرسول الله ﷺ[567]. وكان أحد موالي رسول الله يدعى سعيد بن مينا[568]. ولعل اسم مينا محرّف مِن الاسم اليوناني مينيس (Menes)، وهو الصيغة اليونانية لاسم مينا أو ميني (Meni) المصري الأصل[569]. وهو في اللاتينية ميناس (Menas)، ومِن

= ج. 5، ص. 15، ج. 10، ص. 429، ج. 11، ص. 408، 413؛ الطبري، **التاريخ**، ج. 2، ص. 592؛ المؤلف نفسه، المنتخب مِن كتاب ذيل المذيّل، ص. 596؛ عبد القادر بدران، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 312-313؛ مغلطاي، الإشارة إلى سيرة سيّدنا محمد المصطفى ﷺ، ص. 260؛ مهدي رزق الله أحمد، **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**، الرياض، 1992، ص. 461، 463، 705، 710.) أخرج حديث ابن عمر: البخاري، **الصحيح**، كتاب: المغازي، باب: حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا مِن الغدر برسول الله ﷺ، ج. 3، ص. 22، رقم: 4028؛ مسلم، **الصحيح**، كتاب: الجهاد، باب: إجلاء اليهود مِن الحجاز، ج. 3، ص. 245، رقم: 1766. أخرج الحديث أيضاً أبو داود في **سننه**، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في خبر بني النضير، رقم: 3005؛ وابن الجارود، **المصدر السابق**، ص. 370-371، رقم: 1100؛ والبيهقي في **السنن الكبرى**، ج. 9، ص. 233. وانظر كذلك: أبا إسحاق الحويني الأثري، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 349-350. قال الصالحي: أمّا والد ريحانة سريّة النبي ﷺ فلم يقل أحد إنّه أزدي أو قرشي أو أنصاري، وهو مِن بني إسرائيل، ولا قال أحد إنّه أسلم، ولا إنّه خدم رسول الله ﷺ. (**المصدر السابق**، ج. 11، ص. 220.)

(566) ابن الجوزي، **المنتظم**، ج. 2، ص. 35؛ ابن فضل الله المحبي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 206؛ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مج. 1، ج. 1، ص. 271-272؛ أبو البقاء الحلي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 268؛ الطبري، **التاريخ**، ج. 2، ص. 236؛ قاموس الكتاب المقدّس، ص. 521؛ **المنجد في اللغة والأعلام، (جزء الأعلام)**، ص. 335.

(567) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 4، ص. 494؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 95-96، ج. 6، ص. 191؛ المؤلف نفسه، **فتح الباري**، ج. 2، ص. 506؛ ابن زَبَالَة، **المصدر السابق**، ص. 88؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 306؛ ابن عساكر، **المصدر السابق**، ج. 15، ص. 68؛ الخطيب البغدادي، **الأسماء المبهمة**، ص. 293، 294؛ سبط بن العجمي، **التوضيح**، ص. 51؛ السمهودي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 115؛ الحافظ المِزِّي، **تهذيب الكمال**، ج. 7، ص. 145، 145—146؛ النهرواني، **المصدر السابق**، ص. 86. أشارت المصادر إلى عدد مِن الرجال بلغوا سبعة أو ثمانية صنعوا المنبر، وإن صحّ هذا العدد؛ فإنّه يشير إلى كثرة عدد النّجّارين في العهد النبوي. (انظر: ابن حجر العسقلاني، **تلخيص الحبير**، مج. 2، ص. 577؛ المؤلف نفسه، **فتح الباري**، ج. 2، ص. 506-507؛ السمهودي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 115-118؛ السيّد أبو عاصم نبيل الغمري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 330-331؛ عبد العزيز إبراهيم العمري، **المرجع السابق**، ص. 202؛ محمد محمد شُرّاب، **المدينة النبوية**، مج. 1، ص. 339.)

(568) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 2، ص. 265؛ ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 3، ص. 97؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 224.

(569) جورج بوزنر وآخرون، **معجم الحضارة المصرية القديمة**، ترجمة: أمين سلامة، القاهرة، 1996، ص. 328.

الجدير بالذِّكر أن أحد قادة البيزنطيين في معارك الشام كان يدعى ميناس[570]. ونسطاس، وهو اسم أحد موالي سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري[571].

وشمّاس (أو الشمّاس) بن ثعلبة بن زهير (أو ظهير بن مالك) بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر، جد الصحابي المشهور ثابت بن قيس، ولم يدرك قيس ولا والده الإسلام[572]. والشمّاس مِن رؤوس النصارى الذي يحلق وسط رأسه لازماً للبيعة، واللفظ ليس بعربي محض أو ليس بعربي صحيح، والجمع شَمَامِسَة[573]، ومرتبة الشمّاس في الكنيسة دون القسيس، ولكنّها تعد إحدى رتب التنظيم الكنسي[574]. ولفظة شمّاس سريانية الأصل مِن chamocho[575]. واسم شمّاس اسم نادر في العرب؛ ومِن أمثال مَن سمي به: شمّاس بن لأْي التميمي[576]، وأبو شمّاس بن عمرو الجذامي، وكان ضمن وفد جذام الذين قدِموا على النبي ﷺ بإسلام قومهم[577]، وجذام مِن القبائل الشمالية المتنصّرة. وشمّاس بن عثمان بن الشريد بن هَرْمي بن عامر بن مخزوم، وأمّه صفيّة بنت ربيعة بن عبد شمس، واسمه الأصلي عثمان؛ ولكن غلب عليه اسم شمّاس، ويروى في سبب ذلك أن شمّاساً نصرانياً أتى مكة في الجاهلية، وكان جميلاً فعجب الناس من جماله، فقال عتبة بن ربيعة خال عثمان: أنا آتيكم بشمّاس أحسن مِنه، فأتى بابن أخته، فسُمّي شمّاساً من يومها، وغلب ذلك عليه[578]. وهذا

---

(570) الطبري، **التاريخ**، ج. 3، ص. 601. لمزيد مِن الأمثلة، انظر: قاموس الكتاب المقدّس، ص. 941؛
Shahid, I., Byzantium and the Arabs in the 4th Cent., p. 174, f,n, 130, p. 304, f.n. 76.

(571) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 6، ص. 335.

(572) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 5، ص. 420، ج. 8، ص. 91؛ الحافظ المِزّي، **تهذيب الكمال**، ج. 24، ص. 56؛ مغلطاي، الإنابة، ج. 2، ص. 108-109.

(573) الزبيدي، **المصدر السابق**، مج. 8، ص. 329؛ البِشْبيشي، **المصدر السابق**، ص. 187.

(574) جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 640؛ **قاموس الكتاب المقدّس**، ص. 519؛ المسعودي، **أخبار الزمان**، الناشر: حسين عاصي، تقديم: عبد الله الصاوي، بيروت، 1978، ص. 99؛ وليد ناصيف، **الأسماء ومعانيها**، حلب/دمشق، 2005، ص. 110. انظر كذلك: ابن قيّم الجوزية، **أحكام أهل الذمّة**، مج. 1، ص. 162.

(575) جواد علي، **المُفصّل**، ج. 6، ص. 640؛ Smith, J. P., op.cit., p. 585

(576) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 2، ص. 531؛ ابن دريد، **الإشتقاق**، ص. 255؛ أبو الفرج الأصفهاني، **كتاب الأغاني**، مج. 1، ج. 2، ص. 448.

(577) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 7، ص. 175؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 178.

(578) ابن الأثير، **أُسد الغابة**، مج. 3، ص. 479؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 3، ص. 155، ابن حجر العسقلاني، **كشف النقاب**، ص. 111؛ ابن قدامة المقدسي، **التبيين في أنساب القرشيين**، ص. 400؛ ابن هشام، **المصدر السابق**، =

ما يرجّح كون الاسم مأخوذاً مِن لفظة «شمّاس» الكنسية.

ومِن النساء حواء بنت يزيد بن السكن، وحواء بنت يزيد بن سنان بن كُرز الأنصارية، ومريم بنت أبي سفيان بن الحارث بن قيس الأنصارية، ومريم بنت عثمان الأنصارية زوج ثابت بن قيس، وهي المعروفة بالمغالية أو الموالية. ومريم بنت عصمة بن زيد بن غَنْم بن وعوف، وأمّ يحيى زوج أسيد بن حضير[579]. ويقال إن مريم بالسريانية الخادم أو العابدة، وهو اسم أعجمي. وقيل: إن الاسم عبراني الأصل مِن لفظة «رئم»؛ بمعنى المحبة أو مِن العلو والارتفاع والشرف، ويبدو أن الاسم دخل العربية مِن السريانية[580]، ويحتمل أن النصرانية قد أدخلت على العربية ألفاظاً وتراكيب لم تكن تعرفها العرب[581].

آيات قرآنية مدنية والنصارى:

ثمة آيات كثيرة في القرآن الكريم تشير إلى وجود جالية أجنبية في المدينة غير اليهود وهم النصارى، إذ وجّه إليهم الخطاب، وحكت الروايات مواقف مستحبّة لهم مِن الإسلام، كما ندّدت بعقائدهم في المسيح عليه السلام، وأشارت إلى مواقف مكابرة وجحود ونكران

= ج. 1، ص. 349؛ البلاذري، **أنساب الأشراف**، ق. 5، تحقيق: عبّاس، ص. 293؛ تقي الدين الحسني الفاسي المكي، **المصدر السابق**، مج. 4، ص. 264؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 1، ص. 259.

(579) ابن حجر العسقلاني، **الإصابة**، ج. 8، ص. 90، 91، 315، 316، 490؛ ابن سعد، **المصدر السابق**، ج. 10، ص. 327، 356؛ ابن عبد البر، **الاستيعاب**، ج. 4، ص. 375، 376؛ أبو نعيم الأصفهاني، **معرفة الصحابة**، ج. 6، ص. 3300، رقم: 3838، ص. 3453، رقم: 4027؛ الذهبي، **تجريد أسماء الصحابة**، مج. 2، ص. 260، 304، 338.

(580) ابن جزي الغرناطي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 246؛ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، ج. 6، ص. 580؛ البِشْبيشي، **المصدر السابق**، ص. 298؛ حسن نور الدين، **الأسماء العربية: معانيها ومدلولاتها**، بيروت، 2004، ص. 200، 235؛ محمد السيّد على بلاسي، **المرجع السابق**، ص. 300. انظر كذلك: ابن دريد، **الاشتقاق**، ص. 347. يقال إن والدة الملك الساساني شيرويه بن أبرويز هي مريم بنت الإمبراطور البيزنطي موريق. (ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مج. 1، ص. 316؛ ابن قتيبة الدينوري، **الأخبار الطوال**، تحقيق: عمر فاروق الطبّاع، بيروت، 1995، ص. 87، المسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص. 155.) حول تتبّع معاني اسم مريم، انظر:

Horovitz, J., "Jewish Proper Names", p. 154; Jeffery, A., op.cit., p. 262.

(581) أحمد محمد الحوفي، **المرجع السابق**، ص. 149؛ محمد الخطيب، الدين والأسطورة عند العرب في الجاهلية، دمشق، 2004، ص. 30؛ Jeffry, A., op.cit., p. 290. انظر كذلك : أحمد هبو، **المرجع السابق**، ص. 97.

لبعضهم، وأمرت المسلمين بترك موالاتهم[582].

ومِن الجدير بالذِكر أن الروايات تؤكّد قدوم وفود نصرانية إلى المدينة، مِن نجران والحبشة والشام، والتقت بالنبي ﷺ، فمنها مَن دخل معه في جدال وحوار وبقي على دينه، ومِنها مَن آمن به. وأنّ الإشارة إلى أقوال النصارى ومواقفهم وعقائدهم في الآيات القرآنية التي نزلت في أوائل العهد النبوي المدني توحي بأنّه كان في المدينة طائفة مستقرّة مِن النصارى، بغضّ النظر عن قلّة عددها أو كثرته، ولكن لا تشير الآيات إلى قوّة هذه الجالية النصرانية، ومدى تغلغلها في المجتمع اليثربي كما هو الحال مع اليهود[583]، ومِن المحتمل أنّه كان مِن هؤلاء النصارى عرباً متنصّرين مِن أهل المدينة، أو عرباً مِن غير أهلها، قدموا إليها للإقامة فيها، لظروف اقتصادية أو اجتماعية أو دينية أو سياسية. ولا يُستَبعد أن يكون مِنهم أجانب مِن الروم والأقباط والأحباش وغيرهم مِن الأعاجم. وإذا اضطرت الظروف أن يجلب تجّار مكة رقيقاً مِن الشام لحاجاتهم الخاصة؛ فإنّ الظروف نفسها ربّما قد حدثت في المدينة، ولاسيما أن المدينة أقرب إلى الشام مِن مكة، وظروفها البيئية أنسب[584]. وتشير آية سورة الحديد إلى صفة شاملة بما جعله الله تعالى في نفوس أتباع عيسى عليه السلام مِن رأفة ورحمة، بما فرضوا على أنفسهم مِن رهبانية، رغبة مِنهم في ابتغاء رضوان الله سبحانه. وفي الوقت نفسه تضمّنت الآية استدراكاً؛ وهو ترك رعايتهم لأحكام الرهبنة، وانحراف كثير مِنهم عن جادّة الحق والهدى. ويُفهَم مِن هذه الآية أن ما فيها مِن وصف ينطبق على حالة النصارى المعاصرين للنبي ﷺ[585]، وبسبب هذه الصفة المحبّبة نهى النبي ﷺ عن قتل الرهبان أصحاب الصوامع؛ لأنّهم قصروا أنفسهم على العبادة، ولم يبدر منهم عداوة للمسلمين[586]. وبصورة عامّة كان النصارى المعاصرون للنبي ﷺ يقابلون الدعوة بشيء مِن

(582) محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، ج. 6، ص. 264-265، المؤلف نفسه، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 210. انظر كذلك تعليقات سيّد قطب رحمه الله، **في ظلال القرآن**، مج. 3، ص. 1539 فما بعدها، 1625 فما بعدها.

(583) محمد عزة دروزة، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 215—216، 752.

(584) محمد عزة دروزة، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 216.

(585) محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، ج. 6، ص. 266.

(586) الشوكاني، **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية مِن علم التفسير**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، المنصورة، 1997، مج. 4، ج. 7، ص. 248؛ عبد الله محمد الرشيد، **القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ**، دمشق، 1990، ص. 103.

الرضى والقبول، في مقابل معاندة مِن اليهود، وكما يقول العلامة ابن القيّم: «وثبت عنه ﷺ أنّه صالح اليهود وعاهدهم لما قدِم المدينة، فغدروا به ونقضوا عهده مراراً، وكلّ ذلك يحاربهم ويظفر بهم»[587]. وفي المقابل فإنّ حالة النصرانية كانت شيعاً سياسية ومذاهب متنازعة لم تكن حالة صدامية مع جيرانها ومحيطها الذي تعيش فيه[588].

وبلا شك فإنّ آية الموادّة تعني النصارى المعاصرين للنبي ﷺ الذين كانوا أقلّ مظاهرة على المؤمنين، وأسرع استجابة للإسلام[589]، وقد مدحهم الله تعالى لتمسّكهم بدين عيسى عليه السلام، وكانوا على عِلم بما أوصى به عيسى عليه السلام في أمر محمد ﷺ. وهذا المدح خاص بمن آمن مِنهم[590]، وهذا الوصف يصدق بوضوح على أهل عصر التنزيل، ولا سيما إذا جعلنا الخطاب للنبي ﷺ؛ فإنّ أشدّ ما لاقى مِن العداوة والإيذاء قد كان مِن يهود الحجاز ومشركي العرب عامة وأهالي مكة خاصة. ولم يُرَ مِن النصارى في بداية الدعوة مثل تلك العداوة والإيذاء[591]، وقد رآها بعضهم: وصفاً لشدّة شكيمة اليهود، ولِلِين عريكة النصارى[592]. ومِن هنا نفهم أن التعاليم القرآنية توجب حُسن المعاملة مع النصارى مِن منظور ديني، وفي الوقت نفسه ثمة أسباب سياسية متمثّلة في تجربة المهادنة مع النصارى للدعوة الإسلامية، وتجنّبهم– بصورة عامّة– الصدام معها كما حدث مع يهود. وشعور النبي ﷺ بالحاجة إلى البناء وفق معطيات هذه التجربة؛ ربما لكسب تحالف مع القوى النصرانية المجاورة جغرافياً لبلاد العرب، ولذلك فَمِن المحتمل أن العلاقة مع الجانب النصراني كانت مناسبة ابتدائية لممارسة نوع مِن السياسة الخارجية في دولة المدينة النبوية[593].

---

(587) **جامع الفقه**، ج. 4، ص. 88.

(588) عبّاس محمود العقّاد، **«مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية»**، مج. 7، ص. 271. يقول جيفري باريندير إن لفظة نصارى في القرآن تشير إلى كل فِرق النصارى البيزنطية والنسطورية والمونيفيزية. انظر:
Parrinder, G., op.cit., p. 153.

(589) السمرقندي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 453. انظر كذلك: محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج. 9، ص. 203.

(590) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 575.

(591) محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 4، ج. 7، ص. 4-5.

(592) القمّي النيسابوري، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 10.

(593) عبد الإله بلقزيز، **المرجع السابق**، ص. 158.

ومِن أبدع التعليقات على موضوع العلاقة بين المسلمين والنصارى ما أشار إليه الجاحظ بأنه ثمة أشياء صارت بسببها النصارى أحبّ إلى العوام مِن المجوس، وأسلم صدوراً عندهم مِن اليهود، وأقرب مودّة وأقلّ غائلة وأصغر كفراً وأهون عذاباً. ثم يعدّد هذه الأشياء: أولاً: أن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الأقارب في شدّة التمكّن وثبات الحقد، فلمّا صار المهاجرون لليهود جيراناً حسدتهم يهود على النعمة في الدين، والاجتماع بعد الافتراق. فاستمالوا الضَّعَفَة ومالؤوا الأعداء، ثم جاوزوا الطعن وإدخال الشبهة إلى المناجزة والمنابذة بالعداوة، فجمعوا كيدهم وبذلوا أنفسهم وأموالهم في قتال المسلمين، فترادف ذلك الغيظ وتضاعف البغض وتمكّن الحقد. وثانياً: كانت النصارى ولِبُعد ديارهم (بصورة عامة) مِن مبعث النبي ﷺ ومهاجره لا يتكلّفون طعناً، ولا يثيرون كيداً ولا يجمعون على حرب، ثم ما كان مِن أمر مهاجري الحبشة. وثالثاً: وهو تأويل آية غلطت فيها العامّة، وحفظتها النصارى واحتجّت بها، وهو قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾؛ ففي الآية نفسها أعظم دليل على أن الله تعالى لم يَعنِ هؤلاء النصارى، ولا أشباههم الملكانية واليعقوبية؛ وإنّما عنى نوع بحيرا وضرباً مِن الرهبان الذين خدمهم سلمان الفارسي[594].

ومِن المؤكَد أنّه لم يُرِد جميع النصارى؛ لأنّ فئات وجماعات مِن النصارى كانوا في عداوتهم للمسلمين كاليهود في قتالهم، وأَسْرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم[595]، ومما يؤكّد ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير مِن صحيحه، باب: فضل مَن أسلَم مِن أهل الكتابين؛ أن النبي ﷺ ذكر ثلاثة يُؤتَوْن أجرهم مرّتين، وذكر مِنهم: «مؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي ﷺ»، ويعلّق الحافظ ابن حجر العسقلاني على هذا الحديث بقوله: «ويحتمل أن يكون تعدّد أجره؛ لكونه لم يعاند كما عاند غيره ممن أضلّه الله على علم، فحصل له الأجر بمجاهدته نفسه على مخالفة أنظاره»[596]. ويشير قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾— وبصرف النظر

(594) الجاحظ، **الرسالة العاشرة من كتابة في الرد على النصارى**، مج. 2، ج. 3، ص. 234، 235، 236.

(595) البَغَوي، **التفسير**، ج. 2، ص. 74. انظر كذلك: محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 4، ج. 7، ص. 6-7.

(596) ابن حجر العسقلاني, **فتح الباري**، ج. 6، ص. 180.

عن اللفظ– إلى أنّهم على تعاليم المسيح ودينه حقيقة لكنّهم مِن أقرب الناس حبّاً للمسلمين. وقوله: ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ أي عن اتّباع الحق والانقياد إليه إذا علموه وبهذه الصفة خرج مَن لم يكن كذلك مِن النصارى[597].

ويُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾.(آل عمران: 113–114) أنّه ليس أهل الكتاب متساوين؛ بل مِنهم المؤمنون وهم الأقلّون، ومِنهم الفاسقون وهم الأكثرون. ويحتمل أن هذه الأمّة هم المتمسّكون بما حفظوا مِن كتابهم، والقيام بما عرفوا مِن دينهم، وهم الذين أسلموا بعد ذلك. ومعنى «قائمة» أي موجودة ثابتة تقوم بالأعمال الصالحة، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيما بينهم، وإن لم يكن لهم صوت في جمهور أمّتهم لغلبة الفساد والفسق عليها[598]. ورُوي أن النبي ﷺ استدلّ على الصالحين المؤمنين مِن الرهبان الذين التقى بهم سلمان الفارسي بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾.(القصص: 52–55)[599]. وذُكر أن المقصودين في هذه الآيات هم جماعات مِن النصارى، ولكن اختلفت الروايات في تحديد جنسيتهم؛ فقيل: إنّهم مِن الذين كانوا مقيمين في مكة، وقيل: إنهم وفود قدِمت مكة لاستطلاع خبر النبي ﷺ مِن الحبشة أو بلاد الروم أو اليمن أو الشام[600]. ولكن ما يُفهَم مِن الآيات أن المقصودين أناس يفهمون لغة القرآن مباشرة

(597) الشيرازي، **تقريب القرآن إلى الأذهان**، بيروت، 1980، مج. 4، ج. 6، ص. 131.

(598) الجلالان، **التفسير**، بهامش القرآن الكريم، بيروت، 1989، ص. 64؛ محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 2، ج. 4، ص. 59، 60، 61، 85.

(599) السخاوي، **التحصيل والبيان**، ص. 211.

(600) ابن جماعة، **غُرَر التبيان في مَن لم يُسمّ في القرآن**، تحقيق: عبد الجواد خلف، بيروت/دمشق، 1990، ص. 395؛ الجلالين، **المصدر السابق**، ص. 392.

ويتأثّرون به، مما يرجّح عروبة هؤلاء الناس، أو أنّهم مستعربون مقيمون في مكة، أو أنّهم قدِموا مِن الخارج ربما مِن عرب الشام أو عرب اليمن[601].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَۖ وَمِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ مَن يُنكِرُ بَعۡضَهُۥۚ قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ﴾. (الرعد: 36) قيل في تفسير هذه الآية هم مَن آمن مِن أهل الكتاب، كعبد الله ابن سلام وغيره مِن مؤمني اليهود يفرحون بما أُنزِل على النبي ﷺ لموافقته ما عندهم، على نقيض مَن تحزّبوا على النبي عليه الصلاة والسلام بالمعاداة مِن المشركين واليهود، والمعنى أنّه مدحهم بأنّهم لشدّة إيمانهم يسرّون بما يَرِد على النبي ﷺ مِن مباحات الشرع. وذُكر أن هذه الآية تعني مَن أسلم مِن النصارى وهم ثمانون رجلاً، أربعون في نجران وثمانية في اليمن واثنان وثلاثون في الحبشة. وقيل: هم اليهود والنصارى وذلك بأنّهم لهم فرح بما ينزل على النبي عليه الصلاة والسلام مِن تصديق شرائعهم وذِكر أوائلهم. وقيل: إن هذا التأويل ضعيف بسبب أن همّهم به أكثر من فرحهم، وأنّ اليهود والنصارى ينكرون بعضه. وقيل: إن المقصودين هم مَن يفرح به مِن أهل الكتاب لتصديقه لِمَا بين يديه وتعظيمه له وإن لم يؤمنوا به. وقيل: إن المعني بالأحزاب هم اليهود والنصارى والمجوس، أو هم بقيّة أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام وسائر المشركين. ومِن أمثلة أهل الكتاب الذين تحزّبوا على النبي عليه الصلاة والسلام بالعداوة كعب بن الأشرف وأصحابه، والسيّد والعاقب أُسْقُفا نجران وأشياعهما[602].

ومِن الملاحظ أيضاً أن الآيات القرآنية الواردة في حقّ النصارى مطلقة مِن جهة، وهي في

(601) محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج. 9، ص. 203، المؤلف نفسه، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 753-754.

(602) ابن عطيّة، **المصدر السابق**، ج. 8، ص. 179؛ ابن كثير، **التفسير**، مج. 3، ص. 652؛ أبو حيّان الأندلسي، **النهر الماد مِن البحر المحيط**، تحقيق: عمر الأسعد، بيروت، 1995، مج. 3، ص. 390؛ البيضاوي، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 333؛ الجلالان، **المصدر السابق**، ص. 254؛ الزمخشري، **الكشّاف**، ج. 2، ص. 501؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 8، ص. 464-465؛ الفخر الرازي، **المصدر السابق**، مج. 9، ج. 19، ص. 47؛ القاسمي، **التفسير (محاسن التأويل)**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، 1994، ج. 4، ص. 454؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 362.

الوقت نفسه تمزج بين حاضرهم وماضيهم مِن جهة أخرى. كما تحتوي على بعض الصور الأخلاقية والفكرية ولاسيما فيما يتعلّق بالخلافات بين الطوائف النصرانية إلى جانب أن عدداً مِن الآيات تشير صراحة إلى عقيدة التثليث والقول في المسيح عليه السلام وأمّه(603). ففي الآية (253) مِن سورة البقرة يقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾. ففي هذه الآية وَصْف لواقع حال أهل الكتاب مِن لدن عيسى عليه السلام، وما آل إليه مِن خلاف ونزاع. وهذا الواقع يشمل اليهود والنصارى، وهو في الوقت نفسه وصْف للفريقين في العهد النبوي، وهي حالة كان يشاهدها الناس في تلك الفترة ومِنهم العرب، وتبيّن الآية حكم الله تعالى في البعثة المحمدية التي استهدفت إنهاء النزاع والخلاف بين أهل الكتاب، وحلّ مشاكلهم المذهبية والفكرية. وتضمنت الآيات مِن 14 إلى 16 مِن سورة المائدة تقريراً مطلقاً عن انحراف النصارى عن بعض عهود الله سبحانه ووصاياه، فانحرفوا وانشقّوا وتنازعوا، وهي وصف حالتهم عند نزول القرآن الكريم. وفي الوقت نفسه فإنها تحتوي على دعوة لأهل الكتاب، وهي الدعوة التي وردت في الآيات مِن 171 إلى 173 مِن سورة النساء؛ إذ تهيب بالنصارى المعاصرين إلى الانتهاء عمّا هم عليه مِن باطل لا يتّسق مع عظمة الله وصفاته الكمالية، وآيات سورة النساء هذه تطلب من النصارى الانتهاء عن غلوّهم وتطرّفهم وقولهم غير الحقّ على الله وعيسى عليه السلام، والإيمان بالله منزّهاً عن التعدّد، والاستجابة لدعوة رسوله عليه السلاة والسلام الذي جاء مِنه بالحق. وأما ما يتعلق بقوله سبحانه: «...ولا تقولوا ثلاثة..». فإنّه مِن المعروف أن جمهور النصارى اليوم يعتقدون بإله واحد في ثلاثة أقانيم متساوية بما يُعرف بالأب والابن والروح القدس؛ غير أن العبارة القرآنية هنا تفيد أن النصارى الموجّه إليهم الخطاب كانوا يقولون إن الآلهة ثلاثة، وهذا ما ذكرته بعض المدوّنات النصرانية القديمة أن مِن النصارى مَن لم يعتقد بالمساواة

(603) محمد عزة دروزة، **سيرة الرسول** ﷺ، ج. 2، ص. 215.

التامّة بين الأقانيم الثلاثة مع عدّهم الثلاثة واحداً، وأنّ أكثر النصارى في الشام والعراق ومصر أو كثيراً مِنهم كان على ذلك؛ بحيث يصحّ القول إن الخطاب القرآني قد وُجّه إليهم في الدرجة الأولى والمباشرة، لأنّهم الذين كان لهم صلة بالبيئة النبوية[604]. وهذه الآيات تلت آيات أَنْصَفَ فيها القرآن الكريم عيسى بن مريم وأمّه الطاهرة مِن الافتراءات والأكاذيب، وأَنْصَفَ العقيدة الصحيحة في قصّة صلب المسيح عليه السلام. وفي هذه الآيات يتّجه القرآن إلى إنصاف المسيح عليه السلام مِن غلوّ النصارى في شأنه، وتنقية العقيدة مِن الأساطير التي تسرّبت إلى النصرانية السمحة مِن شتّى الأقوام والمِلل. والقضية التي تناولتها الآيات هي قضية التثليث، وتقرير وحدانية الله سبحانه على الوجه الصحيح، وتفتتح الآيات بنداء لأهل الكتاب بترك الغلوّ وتجاوز الحد، وتواصل الآيات التأكيد أن المسيح عليه السلام كان عبد الله ورسوله فلا ألوهية له ولا تقديس، بل الألوهية لله وحده الذي يخضع له المسيح نفسه ويتعبّد ويتقرّب إليه[605].

ويتضمن عدد مِن الآيات تنديداً وإنكاراً لأفكار نصرانية غير صائبة؛ ففي الآية 17 مِن سورة المائدة تحتوي تقريراً تنديدياً مطلقاً بكفر القائلين بألوهية المسيح عليه السلام، وهو تنديد يشمل النصارى المعاصرين للنبي ﷺ والقائلين بهذه الألوهية. وفي الآيات من 72 إلى 76 تنديد أقوى وأوضح وأصرح، وشامل للنصارى المعاصرين للنبي ﷺ. ويُفهَم مِن الآية 76 أنّها نزلت معقّبة على مشهد حجاج ومواجهة بين النبي ﷺ وفريق مِن النصارى[606]. وتبيّن الآيات مواقف متفاوتة لهؤلاء النصارى؛ فمِنهم المستجيب، ومِنهم المنقبض المتمسّك، بل المجادل المخاصم الصادّ عن سبيل الله. ومِن أمثلة ذلك الآيات مِن 82 إلى 86 مِن سورة المائدة التي احتوت على وصف محبّب للنصارى بصورة عامة، ومشهد رائع واقعي مِن

(604) محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج. 8، ص. 290، 291، ج. 9، ص. 84؛ المؤلف نفسه، **سيرة الرسول** ﷺ، ج. 2، ص. 216–217، 223 يقول القاضي عبد الجبّار: إن مِن آيات النبي عليه الصلاة والسلام وأعلامه إخباره عن النصرانية ومذاهب النصرانية. (**المصدر السابق**، ج. 1، ص. 91.)

(605) انظر: سيّد قطب، **المرجع السابق**، مج. 2، ص. 815 فما بعدها.

(606) محمد عزة دروزة، **سيرة الرسول** ﷺ، ج. 2، ص. 220، 221، 222. انظر كذلك: خالد بن عبد الله القاسم، **الحوار مع أهل الكتاب: أُسسه في الكتاب والسّنّة**، الرياض، 1414 هـ، ص. 164 فما بعدها؛ محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 3، ج. 6، ص. 253 فما بعدها.

مشاهد استجابة فريق مِنهم للدعوة، ومِن المؤكّد أن هذه الآيات تتحدّث عن مشهد واقعي كان في حضرة النبي ﷺ. والجزء الأوّل مِن الآية يُلهِم أن الآية نزلت في وقت كان العداء بين المسلمين واليهود في المدينة على شيء مِن القوّة، وهذا يمكن أن يكون قَبل أواسط العهد المدني، وقَبل إبعاد اليهود عن المدينة، ومن ثم قَبل رجوع مهاجري الحبشة الذي كان بعد الحديبية(607).

وفي قوله تعالى: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾. (المائدة: 62—63) الخطاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام، والمراد بالإثم هو الخوض في آيات الدين النازلة على المؤمنين، والقول بما يوجب الكفر والفسوق. والربّانيون هو علماء النصارى، والأحبار هم علماء اليهود. وقوله ﴿ يُسَٰرِعُونَ ﴾ بمعنى يبادورن، وهي تفيد سرعة التحرّك والإقبال بشهوة وشَرَه. وقوله ﴿ يَصْنَعُونَ ﴾ مِن الصنع، وهي درجة لا تكون إلا لِمَن أتقن عمله اتقاناً جيّداً، ويُفهَم مِنها أنّه توبيخ مِن الله سبحانه للخاصّة مِن أهل الكتابين، وهم العالمون التاركون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والساكتون عن ارتكاب الموبقات مِن الآثام والمعاصي(608). ويُفهَم مِن هذه الآية حدوث نوع مِن التصرّفات الدينية والاجتماعية السيئة التي ربّما أسهم فيها فئات مِن النصارى حالهم حال اليهود. وهؤلاء النصارى كانوا تحت بصر المسلمين وسمعهم، مما يشير إلى وجودهم في المجتمع الإسلامي، أو على الأقلّ كانوا على علم بهم وبتصرفاتهم وسلوكياتهم. ومما يشير إلى ذلك أنّه مما كتب النبي ﷺ لنصارى نجران: إن مَن بايع منكم بالربا فلا ذمّة له، ومع ذلك فإنّهم نقضوا العهد وأكلوا الربا(609).

(607) محمد عزة دروزة، **سيرة الرسول** ﷺ، ج. 2، ص. 224، 225.

(608) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 572؛ البَغَوِي، **التفسير**، ج. 2، ص. 66؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 78-79؛ الطباطبائي، **الميزان في تفسير القرآن**، بيروت، 1983، مج. 6، ص. 30-31؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. 3، ج. 6، ص. 225.

(609) أبو داود، **السنن**، كتاب: في الخراج والإمارة والفيء، باب: في أَخْذ الجزية، رقم: 3041. انظر كذلك: ابن أبي شيبة، **المصنّف**، ج. 14، ص. 550، رقم: 18861؛ ابن قيّم الجوزية، **جامع الفقه**، ج. ، ص. 82؛ ابن الملقّن، **البدر المنير**، مج. 6، ص. 195. وقد ضعّف الشيخ الألباني هذا الحديث. (**ضعيف سنن أبي داود**، الرياض، 2000، ص. 243).

وتشير الآية 34 مِن سورة براءة إلى نوع مِن السلوكيات السيئة التي كان يمارسها فئات مِن أهل الكتاب مِن اليهود والنّصارى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾، فهي نزلت في العلماء والقرّاء مِن أهل الكتاب الذين كانوا يأخذون الرشوة مِن عوامهم، وهذه الآية توضّح أثر هؤلاء في إفساد المجتمع الإنساني الصالح، وإبطال غرض الدين[610]. وتصوّر الآية واقعاً معاشاً في كيفية تعظيم اليهود والنصارى للأحبار والرهبان، وهو بلا شك تعظيم زائد عن الاحترام المعتاد، تعظيم يؤدّي إلى اعتقاد أنّهم مصدر نفع أو ضرر، وأنّ لهم حقّ التشريع والتحريم والتحليل وفق أهوائهم بغير سلطان أتاهم، أو حجّة مِن الله بين أيديهم. ومما يزيد الأمر تعقيدا أن الأحبار والرهبان كانوا مِن خيار أهل الكتاب، ومع ذلك فإنّ المال قد فَتَن كثيراً مِنهم، فانحرفوا عن قدسية الزهد في الدنيا والعزوف عن زينتها، وتهافتوا على جمع الثروات والأموال طلباً للثراء الباطل. وأكل أموال النّاس بالباطل له صُوَر شتّى مِثل تقديم القرابين والهدايا والضرائب لرجال الدين، ومنها ما يقدّم لقاء المغفرة وضمان الجنّة، ومِنها الربا، ومِنها المكافآت على الفتاوى الباطلة. ومع ذلك فإنّ التعبير بالكثير من دون التعميم عدل وإنصاف يلازمان دائماً أحكام القرآن. وجاءت هذه الآية بوصف آخر مِن الشرك والانحراف، وهو اتّخاذ العلماء أرباباً مِن دون الله[611]. وقد أشرنا سابقاً إلى دخول عدي بن حاتم على النبي ﷺ وهو يعلق صليباً في عنقه، وتكملة الحديث أن عديّاً سمع النبي ﷺ يقرأ في سورة براءة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾، قال: ما اتّخذناهم أرباباً. (وفي رواية: قلتُ: يا رسول الله إنّهم لم يكونوا يعبدونهم، وفي رواية: إنّا لسنا نعبدهم) فقال: أمَا إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنّهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه؛ فتلك عبادتهم لهم. وفي رواية: أَلَيسَ يحرّمون ما أحلّ الله فتحرّمونه ويحلّون ما حرّم الله

---

(610) الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 508؛ الطباطبائي، **المرجع السابق**، مج. 9، ص. 248-249؛ عبد الرزاق، **التفسير**، ج. 2، ص. 272؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 202.

(611) انظر: حسن البنّا، **مقاصد القرآن الكريم**، الكويت، 2004، ص. 207–208، 211–212. انظر كذلك: الخطيب الشربيني، **التفسير**، مج. 1، ص. 605؛ الشاطبي، **المصدر السابق**، مج. 3، ص. 459؛ الطباطبائي، **المرجع السابق**، مج. 9، ص. 249؛ الفخر الرازي، **المصدر السابق**، مج. 6، ج. 16، ص. 30–31، 34؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. 4، ج. 8، ص. 116.

فتستحلّونه، قلت: بلى، قال: فتلك عبادتهم[612]. وسأل رجل حذيفة بن اليمان فقال: يا أبا عبد الله أرأيتَ قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾. أكانوا يعبدونهم؟ (وفي رواية: أَكانوا يصلّون لهم؟) قال: لا، ولكنّهم كانوا إذا حلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه، وفي رواية أنّه قال: أَمَا إنّهم لم يكونوا يعبدونهم؛ ولكنّهم أطاعوهم في معصية الله (أو في المعاصي)[613].

ومما يؤكّد هذا الرأي قوله في الآية 64 مِن سورة المائدة: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾. يقول المفسّرون إنه هذه الآية نزلت بسبب أن الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا مِن أكثر النّاس مالاً وأخصبهم أرضاً وناحية، فلمّا عصوا الله في محمد عليه الصلاة والسلام وكذّبوا به؛ كفّ الله عنهم ما بسط عليهم مِن السعة فعند ذلك قال أحدهم وهو فنحاص بن عازوراء: يد الله مغلولة؛ أي محبوسة مقبوضة عن الرزق[614]. ومما يشير إلى ذلك أيضاً الآيتان التاليتان مِن السورة نفسها: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٦٥ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ﴾. بمعنى أنّه لو أن أهل التوارة والإنجيل آمنوا بمحمد، وأقاموا أحكام الكتابين وحدودهما وعملوا بما فيهما، وآمنوا بالقرآن أو بقيّة كتب أنبياء بني إسرائيل من دون تحريف ولا تغيير ولا تبديل؛ لأتتهم خيرات السماء؛ وأخرجت لهم الأرض نباتها وخيراتها، وهذا الخطاب يشمل أسلاف أهل الكتاب

(612) الترمذي، **السنن**، كتاب: تفسير القرآن، باب: ، ج. 5، ص. 122، رقم: 3095. قال عنه الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا مِن حديث عبد السلام بن حرب. وقال محقّق **السنن**: قد انفرد به الترمذي. انظر كذلك: ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 6، ص. 1784؛ البيهقي، **السنن الكبرى**، ج. 10، ص. 116؛ الطبراني، **المعجم الكبير**، ج. 17، ص. 92.

(613) ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 6، ص. 1784؛ البيهقي، **الجامع لشعب الإيمان**، ج. 16، ص. 423، رقم: 8938؛ المؤلف نفسه، **السنن الكبرى**، ج. 10، ص. 116؛ سعيد بن منصور، **المصدر السابق**، ج. 5، ص. 245-246؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 7، ص. 323-324؛ عبد الرزاق، **التفسير**، ج. 1، ق. 2، ص. 272. وقال محقّق الجامع للبيهقي: إسناده حسن.

(614) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 573؛ البَغَوي، **التفسير**، ج. 2، ص. 66-67؛ البلنسي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 409؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 5، ص. 374؛ نصر أبو عطايا، **فيض الرحمن بمن أُبهم في القرآن**، الرياض، 1995، ص. 111.

والمعاصرين مِنهم للنبي عليه الصلاة والسلام[615].

ومما يؤكّد ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ (البقرة: 181) إذ يذكر المفسّرون والرواة أن أبا بكر الصديق دخل بيت المدراس فوجد جمعاً مِن يهود، فدعاهم إلى الإسلام، فتجرّأ أحدهم وهو فنحاص بن عازوراء وقال: إن الله فقير ونحن أغنياء، فضربه أبو بكر على وجهه ضرباً شديداً غضباً لله تعالى. فذهب فنحاص إلى النبي ﷺ يشتكي، وأنكر أنّه قال تلك العبارة، فأنزل الله سبحانه هذه الآية[616]. بما يعني أن مثل هذه الحوارات والتحديات بين المسلمين وفئات مِن أهل الكتاب مِن اليهود والنصارى كانت تتكرّر بين الفينة والأخرى.

ويرد في الآية 116 مِن سورة البقرة: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ ﴾، والقائلون بالتأكيد هم طائفة مِن النصارى، ولا يمنع أن أناساً مِن اليهود يقولون ذلك أيضاً[617]. ويَرِد في الآيات 72 إلى 76 مِن سورة المائدة صراحة أن أناساً مِن النصارى كانوا يقولون ويتحدّثون بمقولتهم، وأنّ هذه المقولة وهذا الحديث كان على مسمع الآخرين ومرآهم، والأرجح أن ذلك في المجتمع الإسلامي المدني وليس بعيداً عنه. يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾. ومن المؤكد أن هذه الآيات تعني طوائف مِن النصارى، ربّما كانوا يقومون بالدعاية لبدعتهم الدينية في المجتمع الإسلامي، وإلا ما كان قال الله عز

(615) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 574-575؛ أبو حيّان الأندلسي، **النهر الماد**، مج. 2، ص. 275؛ البَغَوي، **التفسير**، ج. 2، ص. 67-68؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 82-83.

(616) البلنسي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 313؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 4، ص. 158-159؛ نصر أبو عطايا، **المرجع السابق**، ص. 71-72؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 112-113.

(617) الجلالان، **المصدر السابق**، ص. 18؛ نصر أبو عطايا، **المرجع السابق**، ص. 39.

وجل ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ﴾، وهذه العبارة توحي بأنّهم كانوا يسمعون ما ذُكر مِن التفنيد لآرائهم والوعيد عليها، ثمّ لا يحملهم ذلك على التوبة والرجوع إلى التوحيد، واستغفار الله سبحانه عمّا فرط مِنهم. ولو دقّقنا التفكر في قوله عزّ وجلّ: ﴿ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ أي انظر كيف نبيّن لهم الدلالات، وكيف ينصرفون عن الحق بعد هذا البيان، ولفظة ﴿ ٱنظُرْ ﴾ تفيد التعجّب، ويشير حرف العطف ﴿ ثُمَّ ﴾ إلى بُعد ما تدلّ عليه الآيات، وحال هؤلاء النصارى الذين يرون الحقّ إنساناً يولد، ثم يفرضونه إلهاً بزعمهم. وقوله عزّ وجلّ ﴿ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ يشير إلى التفاوت بين العجبين؛ أي أن بيان الله للآيات عجب، وإعراضهم عنها أعجب، وتفيد ﴿ ثُمَّ ﴾ التراخي. وقوله: ﴿ أَفَلَا ﴾ هو مِن قَبيل الاستفهام للتوبيخ. وقوله سبحانه ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ ﴾. هو أمر مِن الله تعالى لنبيّه ﷺ أن يقول لهؤلاء النصارى الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وتعني أيضاً: انظر أيّها السامع نظرة عقل، وفكر كيف، وبعد أن نبيّن لهؤلاء النصارى الآيات والبراهين البالغة أقصى درجات الوضوح على بطلان ما يدّعون في أمر المسيح عليه السلام، ثم هم بعد ذلك يعرضون عنها[618]. وأظن أن هذه الآية تصوّر واقعاً عمليّاً لفئة مِن النصارى وفدت إلى المدينة أو كانت مقيمة فيها، وقد سمعت الدلائل والبراهين الدالّة على الحقّ ومع ذلك انصرفوا، وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه ينظر إليهم.

ويُفهَم مِن قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾. (البقرة: 111) حدوث نوع مِن الحوار والجدال بين المسلمين وبين فئات مِن اليهود والنصارى في المدينة، وكأنّ هؤلاء الناس يبثون دعاويهم في المجتمع، ويعلنون ذلك من دون خوف. ويقول ابن عطية في هؤلاء القائلين مِن اليهود والنصارى: قد دلّ تفرّق نوعيهم على تفرّق قوليهم؛ بمعنى أن قولهم هذا ليس بالضرورة في مجلس واحد جامع. وفي هذه الآية يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ يقول الطبري في

(618) انظر: أبا حيّان الأندلسي، **النهر الماد**، مج. 2، ص. 289؛ ابن عجيبة، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 66؛ الجلالين، **المصدر السابق**، ص. 120؛ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مج. 3، ج. 6، ص. 238؛ محمد أبو زهرة، **المرجع السابق**، مج. 5، ص. 2312، 2313؛ المراغي، **المرجع السابق**، مج. 3، ص. 444، 479.

تفسرها: هذا أمر مِن الله جلّ ثناؤه لنبيه ﷺ بدعاء الذين قالوا ﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾ إلى أمر عدل بين جميع الفِرق مسلمها ويهودها ونصاراها[619]. وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾. (البقرة: 135—137) إشارات إلى حدوث نوع مِن الجدال والحوار بين المسلمين وبين فئات مِن اليهود والنصارى في المدينة كانوا يدعون إلى عقائدهم ومبادئهم. ويقول الطبري مفسّراً: وقالت اليهود لمحمد ﷺ وأصحابه مِن المؤمنين: كونوا هوداً تهتدوا، وقالت النصارى لهم: كونوا نصارى تهتدوا، تعني بقولها تهتدوا: أي تصيبوا طريق الحقّ. وقد احتجّ الله لنبيه ﷺ أبلغ حجّة، وعلّمه إيّاها فقال: يا محمد قل للقائلين لك مِن اليهود والنصارى ولأصحابك: كونوا يهوداً أو نصارى تهتدوا؛ بل تعالوا نتّبع مِلّة إبراهيم التي تجمع بيننا على الشهادة لها بأنّها دين الله. وقوله سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ يقول فيه الطبري: قولوا أيّها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم ذلك: آمنّا، أي صدّقنا بالله. وفي قوله سبحانه: ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ يقول الطبري: وإن تولّ هؤلاء الذين قالوا لمحمد ﷺ وأصحابه كونوا هوداً أو نصارى، فأعرضوا ولم يؤمنوا بمثل ما آمنتم به أيها المؤمنون، فاعلموا أنّهم إنّما في عصيان وفراق وحرب لله ولرسوله ولكم. وأكّد السعدي ما ذكره الطبري بقوله: ﴿ قُولُوٓاْ ﴾ أي بألسنتكم متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام المترتّب عليه الثواب والجزاء. وتشير هذه اللفظة إلى الإعلان بالعقيدة والصدع بها والدعوة إليها[620].

(619) الطبري، **التفسير**، ج. 2، ص. 430. وانظر: ابن عطية، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 449.

(620) الطبري، **التفسير**، ج. 2، ص. 589، 595، 601. وانظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، تحقيق: سعد بن فوّاز الصميل، الرياض، 1426 هـ.، ص. 62. يقول العلامة محمد عزة دروزة أن المقصود في الدرجة الأولى هم اليهود، وأنّ جمع النصارى معهم هو تعبير عن لسان الحال الذي يشمل الطائفتين. (**التفسير الحديث**، ج. 6، ص. 245.)

ومِن هـذا القَبيـل قوله تعـالى في سـورة البقـرة آية: 140: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْـقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ ﴾. ويوحي قوله سبحانه ﴿ قُلْ ﴾ إلى أنّه خطاب مباشر للنبي ﷺ لهؤلاء اليهود والنصارى وغيرهم، الذين يحاجّون في أمر الأنبياء ويقولون إنّهم كانوا يهوداً ونصارى، وهذا اشتباه مِنهم إذ إن اليهودية والنصرانية تولّدتا بعد إبراهيم والأنبياء بعده عليهم الصلاة والسلام[621]. ومِن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾. (البقرة: 159-160) قال عدد مِن المفسّرين إن الذين يكتمون البيّنات هم مِن اليهود والنصارى، والكتاب هو التوراة والإنجيل. وكانوا ينكرون بعثة النبي ﷺ ونعته وصفته. وذكر بعض العلماء رجالاً بأعيانهم مِن علماء اليهود؛ مِثل: كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وابن صوريا، وقيل: وغيرهم مِن علماء النصارى[622]، من دون ذِكر أي مِن أسمائهم، ولكن الطبري يذكر أن معاذ بن جبل وسعد بن معاذ وخارجة بن زيد سألوا نفراً مِن أحبار يهود عمّا في التوراة، أو عن بعض ما في التوراة فكتموهم إيّاه، وأبوا أن يخبروهم عنه، فأنزل الله الآية. ولم يذكر الطبري ما هو هذا الشيء الذي سأل عنه هؤلاء النفر الثلاثة؛ إلا أن يكون صفة رسول الله ﷺ. وفي الآية الثانية كما يقول أولئك المفسّرون يستثني الله تعالى مَن تاب عن كتمانه، وراجع التوبة والإيمان بمحمد عليه الصلاة والسلام، وأقرّ بنبوّته وصدّق ما جاء به مِن عند الله. ويحدّد الطبري عبدَ الله بن سلاّم وذووه مِن أهل الكتاب الذين أسلموا فحسن إسلامهم، واتّبعوا رسول الله ﷺ. وفسّر الشيخان محمود وأحمد محمد شاكر لفظة «ذووه» بمعنى أصحابه وأهل ملّته.

(621) انظر: الشيرازي، **المرجع السابق**، مج. 1، ج. 1، ص. 128-129.

(622) أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، مج. 1، ص. 491؛ الطبرسي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 441؛ الطبري، **التفسير**، ج. ، ص. ؛ الطوسي، **المصدر السابق**، مج. 2، ص. 48؛ المراغي، **المرجع السابق**، مج. 1، ص. 213. وانظر كذلك **تفسير الطبري** بتحقيق وتعليق وتخريج الشيخين محمود وأحمد محمد شاكر، القاهرة، 1969، ج. 3، ص. 261، ح. (2).

وفي رأيي أن الآيتين لهما صلة أوثق باليهود، وفي الوقت نفسه لا يُستبعد أن أناساً مِن النصارى كانوا كذلك، ولكنْ لم تحدّد الروايات هوياتهم أو أسمائهم.

وتؤكّد هذا المعنى الآية 20 مِن سورة آل عمران: ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. وهو أيضاً خطاب للنبي ﷺ بأنْ يقول لأهل الكتاب مِن اليهود والنصارى ﴿ءَأَسْلَمْتُمْۚ﴾ أي بمعنى أَسْلِموا[623] ويشير قوله: ﴿وَّإِن تَوَلَّوْاْ﴾ إلى حركة تفيد الرفض العملي والنفسي. مِن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾. آل عمران: 69) قال الصاوي: أي أحبّت جماعة مِن اليهود والنصارى إضلالكم؛ أي رجوعكم عن الإسلام إلى الكفر، وكانوا يتودّدون إليهم بالهدايا. ولم يعيّن مَن مِن هؤلاء النصارى الذين يفعلون ذلك، إلا أن غيره ذكروا أن أناساً مِن اليهود وهم الذين دعوا عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان إلى دينهم[624]. وهذا يشير إلى أن بعض المفسّرين يدخلون النصارى ضمن أهل الكتاب مِن قَبيل تعميم المسمى وشموله لهم، حتى ولو لم يكن لهم ذكر في سبب النزول.

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾. (المائدة: 14) يقول المفسّرون إن أخذ الميثاق هو في التوحيد والإيمان والتصديق بمحمد ﷺ وبما جاء به، وهذا الميثاق وارد في الإنجيل. وقوله ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ فهو لم يقل مِن النّصارى للإيذان بأنّهم قالوها دعوى، ولم يحقّقوها في حياتهم واقعاً،

(623) الجلالان، **المصدر السابق**، ص. 52؛ الشيرازي، **المرجع السابق**، مج. 1، ج. 3، ص. 64؛ الصاوي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 193؛ الطبرسي، **مجمع البيان في تفسير القرآن**، بيروت، 1986، ج. 2، ص. 719؛ الطوسي، **التبيان في تفسير القرآن**، النجف، 1957، مج. 3، ص. 592. يعلّق شيخ الإسلام ابن تَيْميَّة على هذه الآية: وأمثال ذلك إنّما هو خطاب لهؤلاء الموجودين وإخبار عنهم، والمراد بالكتاب هو الكتاب الذي بين أيديهم الذي جرى عليه مِن النسخ والتبديل ما جرى، وليس المراد به مَن كان متمسّكاً به قبل النسخ والتبديل فإنّ أولئك لم يكونوا كفّاراً، ولا هم ممن خوطبوا بشرائع القرآن، ولا قيل لهم في القرآن يا أهل الكتاب، فإنّهم قد ماتوا قبل نزول القرآن. (**التفسير الكبير**، ج. 4، ص. 39.)

(624) الصاوي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 214. انظر كذلك: الجلالين، **المصدر السابق**، ص. 58.

ولأنّهم ابتدعوا هـــذا الاســـم مِن عند أنفسهـــم، ونسوا نصيباً وافراً مِن هذا الميثاق. وقوله ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ أي ألصقنا ذلك بهم بالأهواء المختلفة، وهم اليهود والنصارى جميعاً، أو أنّه بين فِرق النصارى خاصّة، ولا يزالون كذلك إلى يوم القيامة. وكون الخلاف بينهم في قولهم في المسيح عليه السلام فإنّ ذلك مِن الأهواء وليس وحياً مِن الله، وهذه العداوة والبغضاء صارتا مِن الملكات الراسخة بين هذه الفِرق النصرانية، وهي في الوقت نفسه عقوبة لهم لنسيانهم حظّاً مِن أوامر الله(625). ويوحي قوله ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ بوجود أناس بأعيانهم كانوا يقولون ذلك، ويتلفّظون بهذا القول في العصر النبوي وقبله، وهي في الوقت نفسه آية عامّة تشمل هؤلاء النصارى في كل زمان ومكان، وهذا يُفهَم مِن تفسير الطبري لقوله تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾: يقول الله جلّ ثناؤه لنبيّه محمد اعفُ عن هؤلاء الذين بسطوا أيديهم إليك وإلى أصحابك، واصفحْ فإنّ الله مِن وراء الانتقام مِنهم، وسينبّئهم الله عند ورودهم عليه في معادهم بما كانوا في الدنيا يصنعون مِن نقضهم ميثاقه، ونكثهم عهده وتبديلهم كتابه وتحريفهم أمره ونهيه، فيعاقبهم على ذلك حسب استحقاقهم(626).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾(المائدة: 18) يذكر المفسّرون سبب نزولها أن جماعة مِن يهود المدينة كأمثال نعمان بن أضاء وبحري بن عمرو وشأس بن عدي، أتوا النبي عليه الصلاة والسلام فكلّموه وكلّمهم، فدعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته، فقالوا: ما تخوّفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه(627). ولكن لم يذكر المفسّرون والرواة مَن مِن أعيان النصارى كان حاضراً وتلفّظ بمثل ذلك، إلا إذا كانت الآية شملت أهل

(625) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 505؛ الجلالان، **المصدر السابق**، ص. 120؛ الخطيب الشربيني، **التفسير**، مج. 1، ص. 363؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 32-33؛ سيّد قطب، **المرجع السابق**، مج. 2، ص. 860؛ الشيرازي، **المرجع السابق**، مج. 4، ج. 6، ص. 64-65؛ صدّيق بن حسن القنوجي البخاري، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 233؛ الطباطبائي، **المرجع السابق**، مج. 5، ص. 241؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 256-257؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 400.

(626) **التفسير**، ج. 8، ص. 261.

(627) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 507؛ ابن عسكر، **المصدر السابق**، ص. 112؛ الأُدكاوي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 149؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 36؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 269. وأشار محقّق **تفسير** ابن كثير إلى ضعف الحديث.

الكتابين بصورة عامّة ، إذ إن الجميع يدّعون مثل هذا الادعاء، بغضّ النظر عن سبب النزول. ومِن المحتمل أيضاً أن هذه الآية تثبت قولاً عامّا لأتباع الديانتين بأنّهم أبناء الله، أو بمعنى أنّهم مِن الله تعالى بمنزلة الأبناء، والمراد مِن هذه البنوّة خصوصية القرب المقتضية للمعاملة الخاصّة المستثناة مِن تطبيق الأحكام خلاف الآخرين المحاسَبين والمُآخَذين. وقوله في الآية نفسها: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ يشير إلى ما تعرّض لهم أهل الكتابين مِن مصائب وبلايا وفتن عَبْر التاريخ(628). وكأنّ هذه الآية تطالب مَن سمعها أو قرئت عليه مِن اليهود والنصارى المعاصرين أن ينظر في تاريخ أسلافهم كيف كانوا يعانون ويُعَذّبون.

ثمّ نلاحظ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥﴾. (المائدة: 15)، وقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾: (المائدة: 19) أنّه خطاب مباشر ومتمّم للخطاب السابق، وهو دعوة لأهل الكتابين مِن اليهود والنصارى المعاصرين لرسول الله ﷺ والمقيمين في المدينة أو خارجها. والرسول المقصود في الآية هو محمد عليه الصلاة والسلام الذي ابتعثه الله عزّ وجلّ ليبيّن شرع الله لعباده، وهو النور الذي أنار الله به الحقّ وأظهر به الإسلام. وغالباً ما يذكر المفسّرون سبب نزول هذه الآية الأولى هو إخفاء اليهود لآية الرجم في التوارة، ولكن الصواب أن الآية على إطلاقها؛ فقد كان محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ قد بيّن لأهل الكتابين كثيراً مِن الأحكام والمسائل التي كانوا يخفونها مما أنزل الله عليهم مِنها(629). وقوله ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾ يوحي بقرب الخطاب لأناس يسمعون مِثل هذه الآيات، ويعون مراميها. وفي قوله سبحانه: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ

(628) الخطيب الشربيني، **التفسير**، مج. 1، ص. 364؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 235؛ الطباطبائي، **المرجع السابق**، مج. 5، ص. 248، 250؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 401-402.

(629) لتفسير الآية، انظر: الجلالين، **المصدر السابق**، ص. 110، 111؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 37؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 236؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 261—262، 273؛ محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 6، ص. 303 فما بعدها؛ محمد عزة دروزة، **التفسير الحديث**، ج. 9، ص. 80، 291، النسفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 400.

يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾. (المائدة: 46–47) يعني أن الله تعالى جعل عيسى عليه السلام يقفو آثار الأنبياء السابقين مِن بني إسرائيل، وهو مصدّق بالتوراة، أي مؤمن بها حاكم بما فيها، وأوتي الإنجيل وهو مشتمل على الهدى والنور. وفي الآية أمر لأهل الإنجيل وهم النصارى بأنْ يحكموا بما في كتابهم وهو الإنجيل، ويؤمنوا بجميع ما فيه، وليقيموا ما أُمِروا به فيه، وتؤكّد الآية تبعيّة الإنجيل لشريعة التوراة والدعوة إليها إلا ما استثناه عيسى عليه السلام في بعض الأحكام[630]. وفي الآيات 65 و66 و68 مِن السورة نفسها يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾. وهم اليهود والنصارى فلو أنّهم آمنوا الايمان الذي طلبه الله سبحانه مِنهم واتّقوا المعاصي والشرك والجحود، ولو أنّهم أقاموا التوراة والإنجيل بما فيهما مِن الأحكام والإيمان بمحمد ﷺ والعمل بما فيهما مِن أوامر الله ونواهيه لوسّع الله عليهم الرزق وفتح لهم أبوابه، وفي الآية الثانية يستثني الله أمّة عادلة معتدلة غير غالية ولا مقصّرة، وقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ظاهره نداء لأهل الكتاب الحاضرين زمان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وهم الذين نزلت عليهم التوراة والإنجيل، ويتناول مَن جاء بعدهم[631]. وقوله ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ﴾ يشير إلى أمر واقع يراه المؤمنون المعاصرون لهؤلاء

(630) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 556؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 273، 274؛ الطباطبائي، **المرجع السابق**، مج. 5، ص. 346، 347؛ محمد رشيد رضا، **التفسير**، مج. 6، ص. 401-402؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 413.

(631) ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 574، 575؛ أبو حيّان الأندلسي، **النهر الماد**، مج. 2، ص. 290؛ الجلالان، **المصدر السابق**، ص. 119؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 83؛ صدّيق بن حسن القنوجي، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 290–291، 294؛ الطباطبائي، **المرجع السابق**، مج. 6، ص. 37، 38، 64–65؛ محمد مصطفى الزحيلي، «الإسلام والذّمّة»، في كتاب: **معاملة غير المسلمين في الإسلام**، تحرير: ناصر الدين الأسد، عَمان، 1989، ج. 1، ص. 112؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 422، 423.

النصارى، ولا يمنع أن تكون الآية عامّة لجميع النصارى.

ومِن الملاحظ أن ذِكر النصارى في بعض الآيات قد جاء استطراداً أو تعبيراً عن حال؛ ولكن أكثرها يحتوي على دلالات قوية وصريحة على أن النبي ﷺ قد التقى في المدينة بطوائف مِن النصارى في أوقات متفاوتة، ودعاهم إلى الإسلام، وشرح لهم الدين، فمِنهم مَن آمن ومِنهم مَن كفر وعاند(632)، ومِن هـذه الآيات قولـه عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾. (المائدة: 51) أورد المفسّرون روايات لسبب نزولها يشير أغلبها إلى تواصل بعض المسلمين مع عدد مِن اليهود طلباً للولاية والحماية، ولكن لم تذكر كيف كانت موالاة المسلمين مع النصارى سوى ما رواه السدّي: لمّا كانت وقعة أُحد اشتدّ على طائفة مِن الناس، وتخوّفوا أن يدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أمّا أنا فأَلحقُ بدَهْلَك اليهودي، فآخذ منه أماناً وأتهوّد معه، فإنّي أخاف أن تدال علينا اليهود، وقال الآخر: أمّا أنا فأَلحَقُ بفلان النصراني ببعض أرض الشام، فآخذ مِنه أماناً وأتنصّر معه(633). واقتصرت الرواية على ذلك من دون تفصيل، أو من دون ذِكر مَن هما هذان الرجلان. ولذا يختم الطبري تفسير الآية بقوله: والصواب مِن القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى نهى المؤمنين جمعيا أن يتّخذوا اليهود والنصارى أنصاراً وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأخبر أنّه مَن اتّخذهم نصيراً وحليفاً ووليّاً مِن دون الله ورسوله والمؤمنين.... وقد يجوز أن تكون نزلت في شأن عبادة بن الصامت وعبد الله بن أُبيّ بن سلول وحلفائهما مِن اليهود، ويجوز أن تكون نزلت في أبي لبابة بسبب فعله في بني قريظة، ويجوز أن تكون نزلت في شأن الرجلين الذين ذكرهما السدّي..... ولم يصح بواحد مِن هذه الأقوال الثلاثة خبر يثبت حجّة فيسلم لصحّته القول بأنّه كما قيل.... والصواب أن يحكم لظاهر التنزيل بالعموم.... غير أنّه لا شك أن الآية نزلت في منافق كان يوالي اليهودَ أو النصارى خوفاً على نفسه مِن دوائر

(632) محمد عزة دروزة، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 215.

(633) ابن أبي حاتم، **التفسير**، مج. 4، ص. 1155-1156؛ الطبري، **التفسير**، ج. 8، ص. 504–505، 506، 507؛ الماوردي، **التفسير**، ج. 1، ص. 472.

الدهر[634].

وتشير تعليقات سيّد قطب على هذه الآية إلى فهمه العميق للواقع التاريخي للمجتمع الإسلامي في الفترة الأولى؛ إذ يقول تعقيباً على روايات أسباب نزول هذه الآية: إن هذه الأخبار في مجموعها تشير إلى تلك الحالة التي كانت واقعة في المجتمع المسلم، والمتخلّفة عن الأوضاع التي كانت قائمة في المدينة قبل الإسلام، وكذلك عن التصوّرات التي لم تكن قد حُسمت في قضيّة العلاقات التي يمكن أن تقوم بين الجماعة المسلمة واليهود، والتي لا يمكن أن تقوم، غير أن الذي يلفت النظر أنّها كلها تتحدّث عن اليهود، ولم يجئ في الوقائع ذِكر للنصارى، ولكن النصّ يجمل اليهود والنصارى ذلك أنّه بصدد إقامة تصوّر دائم وعلاقة دائمة، وأوضاع دائمة بين الجماعة المسلمة وسائر الجماعات الأخرى، سواء مِن أهل الكتاب أو مِن المشركين، ومع اختلاف مواقف اليهود مِن المسلمين عن مواقف النصارى في جملتها في العهد النبوي، ومع إشارة القرآن في موضع آخر إلى مودّة النصارى للمسلمين، ومع هذا الاختلاف الذي كان يومذاك؛ فإن النصّ هنا سوّى بين اليهود والنصارى كما يسوّي النصّ القادم بينهم جمعياً وبين الكفّار. وقد أظهر التاريخ الواقع فيما بعد أن عداء النصارى لهذا الدين وللجماعة المسلمة في معظم بقاع الأرض لم يكن أقلّ مِن عداء اليهود، وإذا استثنيا موقف نصارى العرب، ونصارى مصر في حُسن استقبال الإسلام؛ فإنّنا نجد الرقعة النصرانية في الغرب قد حملت للإسلام- في تاريخها كلّه منذ أن احتكّت به- العداوة والضغن، وشنّت عليه مِن الحرب والكيد ما لا يفترق عن حرب اليهود وكيدهم في أي زمان[635].

ويُفهَم مِن قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ ﴾(المائدة: 77) أنّه لمّا أبطل الله تعالى جميع ما تعلّقوا به مِن الشبه الباطلة نهاهم عن الغلوّ في دينهم، وهو المجاوزة للحدّ.

(634) **التفسير**، ج. 8، ص. 507، 512، 513. انظر كذلك التعليق الرائع لسيّد قطب رحمه الله على هذه الآية، **في ظلال القرآن**، مج. 2، ص. 911 فما بعدها.

(635) **في ظلال القرآن**، مج. 2، ص. 913-914. انظر كذلك: **فتاوي الإمام محمد رضا**، مج. 6، ص. 2470-2471.

والخطاب لليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي ﷺ نُهوا عن اتّباع أسلافهم فيما ابتدعوه مِن ضلالات. وقوله ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ ﴾ أي قبل البعثة المحمدية، وهم رؤساء الضلالة مِن فريقي اليهود والنصارى أو هم أئمّة النصارى تحديداً. وقوله:﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا﴾ مِن الناس إذ ذاك، وقوله: ﴿وَضَلُّواْ﴾ أي زمن البعثة، إمّا بأنفسهم أو جعل ضلال مَن أضّلوه ضلالاً لهم لكونهم سنّوا لهم ذلك(636). وقيل: إن المقصود بقوله تعالى:﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ هم نصارى نجران فحسب(637).

ويُفهَم من قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾. (البقرة: 116): أن قوماً بأعيانهم كانوا يقولون ذلك في المدينة مما يوحي أنّهم كانوا يعلنون ذلك على الملأ، وربّما كان يحدث نوع مِن الحوار بين هؤلاء القائلين وبين المسلمين. وذكر عدد مِن المفسّرين أن هذه الآية نزلت في اليهود الذين قالوا إن عزيراً ابن الله، وفي نصارى نجران الذين قالوا: المسيح ابن الله. واقتصر بعضهم على أن هذه الآية تشير إلى نصارى نجران الذين أتوا المدينة في وفدهم الذي ذكرناه سابقاً، وقال بعض المفسّرين هم النصارى عامّة الذين زعموا أن عيسى ابن الله(638)، والظاهر أن الرأي الثالث هو الأصوب. وفي رأيي أن هذه الآية ربما كانت تشير إلى فئة مِن النصارى كانت مقيمة في المدينة غير نصارى نجران الذين لم يكونوا مقيمين فيها، ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى

(636) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 573؛ ابن كثير، **التفسير**، مج. 2، ص. 584-585؛ البَغَوي، **التفسير**، ج. 2، ص. 72؛ الزمخشري، **الكشّاف**، ج. 1، ص. 698-699؛ الشوكاني، **فتح القدير**، ج. 2، ص. 93؛ صدّيق بن حسن الحسيني القنوجي، **فتح البيان**، مج. 2، ص. 299-300؛ النسفي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 427.

(637) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 573؛ ابن قيّم الجوزية، **بدائع الفوائد**، تحقيق: بشير محمد عيون، دمشق، 2004، ص. 204؛ القمّي النيسابوري، **المصدر السابق**، ج. 7، ص. 9؛ **التفسير**، مج. 6، ص. 488-489؛ المراغي، **المرجع السابق**، مج. 2، ص. 480. ويعلّق شيخ الإسلام ابن تَيْميَّة على هذه الآية بقوله: والنصارى أكثر غلوّاً في الاعتقادات والأعمال مِن سائر الطوائف، وإيّاهم نهى الله تعالى عن الغلو في القرآن. (انظر: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، مج. 1، ص. 329.)

(638) ابن الجوزي، **زاد المسير**، مج. 1، ص. 104؛ ابن حجر العسقلاني، **العُجاب في بيان الأسباب**، ص. 81؛ ابن كثير، **التفسير**، مج. 1، ص. 346؛ البَغَوِي، **التفسير**، ج. 1، ص. 158؛ الثعلبي، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 264؛ النيسابوري، **المصدر السابق**، ج. 1، ص. 152.

كَثِيرًاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾. (آل عمران: 186) التي أشرنا إليها سابقاً.

وفي الآيات 78 إلى 83 من سورة آل عمران يتحدّث الله تعالى عن موقف واقعي يتناول القول والعمل وأحاديث النفس: ﴿وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾. يقول أهل التفسير إن الذين يلوون ألسنتهم بالكتاب هم مِن اليهود، مِن أمثال كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب ومالك بن الصيف وأبو ياسر، وكانوا يلوون ألسنتهم عند قراءة التوراة، فيميلون عن المنزّل إلى المحرّف، ليظنّ المسلمون أن ذلك المحرّف مِن التوراة، وأنّ الآية التي تليها نزلت في نصارى نجران حين زعموا أن عيسى أمرهم أن يتّخذوه ربّاً. وعن ابن عبّاس أن الآية نزلت في اليهود والنصارى جميعاً إذ حرّفوا التوراة والإنجيل، وألحقوا بهما ما ليس فيهما. وبلا شك فإنّه كان مِن أظهر تلك التحريفات تحريف النصارى حول المسيح عليه السلام وادعاؤهم أنّه شريك مع الله، وأنّ ذلك مكتوب في كتابهم، فردّ الله سبحانه عليهم بأنّ ذلك مستحيل في حقّ المسيح عليه السلام لأنّ الله تعالى لا يعطي النبوة لرجل كاذب يدّعي لنفسه الربوبية[639]، وفي رأيي إن الآيات التي تخصّ مجادلة نصارى نجران للنبي عليه الصلاة والسلام قد مرّت، وهذه الآيات تحاور أناساً آخرين مِن النصارى، وهم أيضاً مِن القائلين بألوهية المسيح عليه السلام، ربّما كانوا مِن النصارى

(639) ابن عجيبة، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 372، 373؛ الجلالان، **المصدر السابق**، ص. 60؛ الشيرازي، **المرجع السابق**، مج. 1، ج. 3، ص. 100-101؛ الطبرسي، **المصدر السابق**، ج. 2، ص. 780، 782.

الشماليين مِن العرب وغيرهم. وقوله ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ ﴾ تشير إلى حركة بدنية وعقلية وقلبية فعلها بعض هؤلاء النّاس لمّا سمعوا الحق، فلم يقبلوه، ولهذا ابتغوا ديناً غير الإسلام، وهي رغبة كانوا عليها في الأصل وبقوا عليها، ولم يغيّروها بعدما سمعوا الحق.

ومِن المؤكّد أن الآيات 29 إلى 34 مِن سورة التوبة قد نزلت بُعيد غزوة تبوك التي قادها النبي ﷺ ضدّ نصارى الشام وحلفائهم البيزنطيين أو في أثنائها، بسبب ما أبدوه مِن عداوة ضدّ المسلمين. ولكن الآيات الأخرى لا تشير إلى أن النصارى الذين كانوا في المدينة متكتّلون ضدّ الإسلام، أو أنّهم ذوو أثر ملموس في حياة العرب الاقتصادية والاجتماعية والدينية. كما أنه ليس في هذه الآيات إلى ما يشير إلى شيء مِن صور المكر والدسّ والتآمر والحسد والبغي كما جرى مع اليهود؛ بل نجد وصفاً شاملاً للنصارى بأنّهم أقرب مودّة للمسلمين، وأنّهم لا يستكبرون، وأنّ في قلوبهم رأفة ورحمة. ويُفهَم مِن الآيات أيضا أن هؤلاء النصارى على الإجمال كانوا ذوي أخلاق حسنة وعواطف رقيقة، بعيدين عن العداوة والعنف في الخصومة. وهذه الآيات وآية سورة التوبة لا تشمل جميع أهل الكتاب؛ وإنّما الفريق الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر، ولا يحرّم ما حرّم الله ورسوله(640).

وفي قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾: (البقرة: 138)، يقول ابن عباس: إن النصارى كان إذا وُلد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام صبغوه في ماء لهم يقال له «المعمودي» ليطهروه بذلك، ويقولون هذا طهور مكان الختان، ويقولون: الآن صار نصرانياً حقاً، فأنزل الله سبحانه هذه الآية(641)، ويُفهَم مِن تفسير ابن عباس أن أناساً مِن النصارى المعاصرين والمقيمين في المدينة كعادة بقيّة النصارى يفعلون مثل هذه الطقوس الدينية، وكان الناس يشاهدونهم.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ ﴾. (آل عمران: 75): قال عكرمة:

(640) محمد عزة دروزة، **تاريخ الجنس العربي**، ج. 6، ص. 268-269؛ المؤلف نفسه، **عصر النبي ﷺ وبيئته قبل البعثة**، ص. 216-217. وانظر التعليق الجميل للإمام حسن البنّا على هذه الآيات، **المرجع السابق**، ص. 200-201.

(641) الماوردي، **التفسير**، ج. 1، ص. 162؛ الواحدي، **المصدر السابق**، ص. 41. ومما يؤكّد ما قاله ابن عبّاس أن لفظة صبغة هي في الآرامية والسريانية «صبع» بمعنى الغمس بماء المعمودية. (Jeffery, A., op.cit., p. 192.)

هذا مِن النصارى، وفي قوله ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ ﴾ قال هذا مِن اليهود، إذ إن المؤتمنين على الكثير النصارى لغلبة الأمانة عليهم، والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم(642)، ومِن المؤكّد أن في الآية دلالة على انقسام أهل الكتاب إلى قسمين: أهل للأمانة وأهل للخيانة، فقيل: إن أهل الأمانة هم الذين أسلموا، أمّا الذين بقوا على اليهودية فهم مصرّون على الخيانة. وقيل: إن أصحاب الأمانة هم النصارى لغلبة الأمانة عليهم، وأهل الخيانة اليهود لكثرة ذلك فيهم(643)، وأكّد العلامة محمد عزة دروزة هذا المعنى بقوله: إنّه قول وجيه تطمئنّ إليه النفس، وتكون الآيات بذلك قد احتوت– وهي مستمرّة على التنديد باليهود– مقايسة بينهم وبين النصارى لتقوية التنديد، على أن هذا إذا لم يصح، وكانت الفئتان مِن اليهود؛ فإنّ أسلوب بقيّة الآية ومضمونها يلهمان أن الفئة الأولى هي الأقلّيّة، والأخرى هي الأكثرية من اليهود(644)، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾: خطاب مِن اللـه تعالى للمعاصرين مِن أهل الكتاب، وفُسّرت لفظة ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ أي تشهدون نعت نبي الله محمد ﷺ في كتابكم، ثم تكفرون به وتنكرونه ولا تؤمنون به، وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل أنّه هو النبي الأمّي(645).

(642) البلنسي، **المصدر السابق**، مج. 1، ص. 290؛ السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 628-629.

(643) القمّي النيسابوري، **المصدر السابق**، ج. 3، ص. 227-228.

(644) محمد عزة دروزة، **التفسير** الحديث، ج. 7، ص. 175.

(645) السيوطي، **الدُّر المنثور**، ج. 3، ص. 623.

الخاتمة:

استعرضنا فيما مضى الوجود النصراني في المدينة في فترتين متداخلتين؛ هما الفترة السابقة للإسلام والعهد النبوي، وأشرنا إلى نوع مِن الحضور النصراني الاجتماعي والاقتصادي في المدينة. ومما لا شكّ فيه أن في هذه الدراسة كثيراً مِن الاستنتاجات والافتراضات والفرضيات والمقارنات، وهذه طبيعة هذه الدراسة، ولكن أثبتت أن يثرب كانت موطناً عامّاً لأصحاب الديانات المختلفة اليهودية والنصرانية والوثنية، مع اختلاف كلّ مِنها في عمق وجودها في البلدة. وعلى الرغم مِن أن كثيراً مِن المصادر ترجّح أن الوجود اليهودي أكثر عمقاً وحضوراً؛ إلا أن طبيعة الوجود النصراني كان واضح المعالم، ويشير إلى عدم تفرّد اليهود في يثرب. فقد وَفَدَ عدد مِن النصارى مِن الشام والعراق ومصر فأقاموا فيها مستوطنين أو مبشّرين بالنصرانية. كما كان فيها عدد مِن أبناء البلدة المتنصّرين، وكانت يثرب موطناً لأعداد كبيرة مِن العبيد والإماء مِن النصارى الذين امتهنوا الغناء والرقص والحرف اليدوية والصناعية، وكانوا مقرّبين مِن ساداتهم ولهم حظوة لديهم. وأتى إلى يثرب أيضاً تجّار نصارى مِن الأقاليم الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية مِن شبه الجزيرة العربية.

وأشارت الروايات والقصص إلى أن عدداً مِن الرهبان ورجال الدين النصارى كانوا يصرّحون بأنّ يثرب ستكون موطن هجرة النبي الخاتم وأصحابه، وذكرت بعض القصص والحكايات أن بعض المدنيين عثر على نقشين حجريين يشيران إلى قِدِم التواصل بين يثرب والنصرانية، الذي يعود إلى عهد المسيح عليه السلام، ولكن الآثار لا تسعفنا أبداً في تحديد أي مِن الآثار النصرانية في يثرب مثل الكنائس والبِيَع والأديرة، إلا ما ورد في بعض الأشعار المتفرّقة أو الإشارات المقتضبة، ولا يُستَبعد وجود مثل هذه المباني ولا سيما أنه كان في البلدة نصارى مقيمون أو زائرون، ولكن هذه العمائر الدينية زالت بانتشار الإسلام في المدينة.

وأشار القرآن الكريم في عدد مِن الآيات المدنية إلى النصارى والديانة والعقيدة النصرانية، وتحدّث عن طبيعة النصارى ومذاهبهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، وأكّد القرآن العزيز وجود حوار وجدال بين النبي ﷺ والمسلمين مِن جهة، وبين عدد مِن الوافدين النصارى مِن جهة

أخرى، وبين هؤلاء النصارى وبين اليهود مِن جهة ثانية. ومَن يتتبّع الآيات القرآنية المدنية التي تتحدّث عن النصارى يلاحظ أنّها تتحدّث عن أناس محاورين ومجادلين قابلين ورافضين، لهم سلوكيات اجتماعية ودينية مشاهدة مِن قِبل المسلمين في المجتمع المدني. وكان هؤلاء النصارى يعون ويفهمون جيّداً لغة القرآن الكريم، ويتأثّرون بها ويتجاوبون معها. وثبت مِن خلال الروايات التاريخية زيارة أعداد مِن نصارى العرب القادمين مِن أطراف الشام والعراق والبحرين للمدينة للقاء النبي ﷺ، والتحاور معه في مسائل العقيدة والسلوك والأخلاق، ويعد وفد نصارى نجران أشهر مَن زار مِن النصارى المدينة، وكانت زيارات متكرّرة ومتتابعة بهدف لقاء النبي ﷺ. وتؤكد الأحاديث والآثار والروايات حدوث حوار عقدي وفكري بين المسلمين وبين نصارى نجران. وكانت الوفود تقول رأيها بكل حرية؛ على الرغم مِن مخالفة النصارى للمسلمين في كثير مِن المبادئ والأفكار، وكان يحضر أفراد مِن اليهود مثل هذه اللقاءات. ومِن الجدير بالذِكر أن كثيراً مِن النصارى الوافدين إلى المدينة كانوا يؤمنون بالإسلام بمجرد أن يحاوروا الرسول ﷺ.

ووُجدت في يثرب / المدينة قبائل وعشائر عربية شمالية تحالفت مع الأوس والخزرج، ولا يُستبَعد أن تكون هذه القبائل لها علاقة بالنصرانية، وهذا افتراض يؤيّده كون القبائل العربية الشمالية على النصرانية. كما وُجدت في المدينة أمّهات ليثربيين كنّ على النصرانية، أو ينتمين إلى قبائل عربية شاعت فيها النصرانية، أو قدِمن مِن مناطق خارجية عُرفت بأنّها بلدان نصرانية مثل مصر والحبشة. وتشير بعض الأسماء الشخصية للكثير مِن اليثربيين إلى الأصل النصراني لهذه الأسماء، مثل يحيى ومريم وحَنّة، وليس بالضرورة أن يكون حاملوها نصارى، ولكنّها تشي بنوع مِن المعرفة بأصل هذه الأسماء لدى مَن سمّى بها.

أمّا تعامل المسلمين مع النصارى المقيمين في المدينة أو الزائرين أو التّجّار فقد كان هادئاً مراعاة للمصلحة العامّة للدولة الإسلامية لأنّه لم تبدر مِنهم أي مظاهر عدائية تجاه الدولة الإسلامية، ولذا عاشوا في أمن وأمان. بينما الوضع يختلف مع القبائل اليهودية في المدينة وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء، التي كان لها كيان سياسي وتنظيم ديني واضح المعالم، وهو وضع يختلف أيضاً عن موقف النبي ﷺ والمسلمين مِن نصارى العرب الشماليين

والبيزنطيين الذين كانوا أكثر وضوحاً في عدائهم للمسلمين، وبدت مِن جانبهم مظاهر العداوة العسكرية والسياسية والاقتصادية، مما أدّى إلى حدوث مواجهات عسكرية وسياسية بين الفريقين، وكان مِن ضمنها حملة النبي عليه الصلاة والسلام على تبوك التي عدت مواجهة ضدّ الروم ونصارى العرب بالشام[643]، والعلاقات بين المسلمين والبيزنطيين ونصارى العرب ليس هنا مجال بحثها.

وأكرّر ما ذكرتُه سابقاً مِن أن جزءاً مِن هذه الدراسة يبقى قائماً على الاستنتاجات والافتراضات والاحتمالات، ومع ذلك فهي محاولة لتلمّس الأوضاع الدينية والثقافية والاجتماعية للمدينة في فترة ما قبل الإسلام وفي العهد النبوي.

---

(646) مسلم، **الصحيح**، كتاب: التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، ج. 4، ص. 426، رقم: 53 (2769).

الوجود النصراني في المدينة

اختلفت الآراء حول طبيعة الوجود النصراني في المدينة، وعلاقة ذلك الوجود بالوجود اليهودي والوثني فيها قبل الاسلام وبعده، ولاسيما أن المعلومات عن تاريخ يثرب - المدينة المنورة ما قبل الاسلام - قليلة ومشتتة. ولذا فإن هذا البحث يهدف إلى بيان أهمية المدينة بوصفها موطناً لأتباع الديانات المختلفة. وبيان أن النصارى كانوا أكثر استجابة وأسرع إقبالاً على الإسلام، في مقابل تعنت اليهود ونكرانهم وجحودهم، كما يهدف إلى استجلاء إشارات القرآن الكريم إلى الديانة النصرانية.

وتحدث الكتاب عن معرفة النصارى لدار الهجرة، وبين أن رجال النصارى كانوا على علم بدار الهجرة، مما يعني احتمال مجيء بعض هؤلاء إلى المدينة لعلمهم بقدوم النبي المنتظر إليها كما فعل أحبار اليهود. وتؤكد الأخبار والروايات حدوث حوار عقدي وفكري بين المسلمين وبين نصارى نجران، وكانت الوفود تقول رأيها بكل حرية؛ على الرغم من مخالفة النصارى للمسلمين في كثير من المبادئ والأفكار.



السعر 60 درهماً



ISBN 9948-01-215-1